المشروع السياسي
للحوزة العلمية في العراق
في مواجهة الاستكبار

بسم الله الرحمن الرحيم

- المشروع السياسي للحوزة العلمية في العراق في مواجهة الاستكبار ـ عرض وتحليل ـ 1914 ميلادية ـ 1980 ميلادية
- صادق جعفر الرّوازق
- الناشر: مركز العراق للدراسات
- المطبعة: الساقي للطباعة والتوزيع
- تصميم الغلاف والإخراج الفني: أحمد الهاشمي
- عدد الطبعات : ٣٠٠٠ نسخة

المشروع السياسي
للحوزة العلمية في العراق
في مواجهة الاستكبار

عرض وتحليل

١٩١٤ ميلادية ـ ١٩٨٠ ميلادية

تأليف

صادق جعفر الروازق

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

2015 م ـ 1436 هـ

مـركز العـراق للدراســات

Center Of Iraq For Studies

www.markazaliraq.net +964 7710558123

info@markazaliraq.net +964 7707961315

المحتويـات

المحتويات ٥

الإهداء ١١

المقدمة **١٣**

الفصل الأول: حركة الجهاد عام ١٩١٤ ميلادية **١٩**

الفصل الأول ١٩

حركة الجهاد ١٩

عام ١٩١٤ ميلادية ١٩

١ـ الطابع الديني للحركة ٢٢

٢ ـ الإحداث ٢٥

أـ معركة الروطة ٢٧

ب ـ معركة الغدير ٢٨

جـ ـ معركة الشعيبة ٣١

٣ ـ مواقف علمائية ٣٧

٤ ـ حركة الجهاد الثانية ٤٠

أسباب النكسة (الانكسار) ٤٢

٥ ـ ثورة النجف ٤٣

الفصل الثاني: ثورة العشرين ٤٩

١ ـ الأثر العلمائي في التعبئة ٥٤
٢ ـ الشرارة الأولى من أحداث الثورة ٦٣
٣ـ الولاء الديني للعشائر العراقية وموقف علماء الدين ٧٠
تعقيب ٧٥
٤ ـ مواقف علمائية ٧٧

الفصل الثالث: مقاومة الحوزة العلمية السياسية ٧٩

الفصل الرابع: نشاط الحوزة في المطالبة بالاستقلال ١٠٣

١ ـ جهود العلماء في رفد حركة ١٩٤١م من مايس ١٠٥
الأحداث ١٠٦
موقف علماء الدين ١٠٧
موقف العلماء في التصدي لحزب البعث ١٠٩
أ ـ المواجهة عام ١٩٦٣م ١٠٩
ب ـ المواجهة عام ١٩٦٨م ١١٣
جـ ـ المواجهة بعد وفاة آية الله الحكيم ﵀ ١٢٠
د ـ انتفاضة ٢٠ صفر عام ١٩٧٧م ١٢١
وقفة على انتفاضة صفر ١٢٣
هـ ـ انتفاضة رجب ١٩٧٩م ١٢٤
المحتوى السياسي للانتفاضة ١٢٨
و ـ حقيقة النظام بعد الانتفاضة الرجبية ١٢٩
ز ـ التحرك الإسلامي بعد استشهاد السيد الصدر ﵀ ١٣٠

الفصل الخامس: الطائفية ١٣٣

١ ـ ظهور الدستورية ١٣٧
٢ ـ التصدي والخوف من التغلغل الغربي ١٤٠
٣ ـ أفكار المصلحين الإسلاميين. ١٤١
رؤية الحوزة في تشكيل الدولة الحديثة ١٤٤
أ ـ الطائفية في تشكيل الوزارات ١٥٣
الوزارات النقيبية ١٥٧
الوزارات السعدونية ١٥٨
وزارت جعفر العسكري ١٥٩
ب ـ دور القومية والأثر الطائفي ١٥٩
جـ ـ موقف العلماء قبال طائفية الحكم ١٦٣
تعليق ١٦٧
١ ـ تعليقة السيد الخراساني ١٦٧
٢ ـ ميثاق النجف أو مشروع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في
عام ١٩٣٥م. ١٧٠
٣ ـ موقف علماء الشيعة عام ١٩٦٥م ١٧٤
مذكرة الشبيبي ١٧٦
نص المذكرة[٥] ١٧٧
الانتفاض على سياسة التفرقة ١٨٠
القطاع الزراعي ١٨٣
٤ ـ مواقف آية الله السيد الحكيم من الطائفية ١٨٥
ألف ـ البيانات التي كان يوجهها للمسلمين. ١٨٦
ب ـ لقاءاته مع المسئولين ١٩١
جـ ـ الفتاوى ١٩٣

د ـ الرسائل المتبادلة ١٩٤
وقفة مع المشاريع الأربعة ١٩٥
مرجعية آية الله السيد محمد باقر الصدر ١٩٧
نسبه الشريف ١٩٨
سيرته الطاهرة ٢٠١
أ- العاطفة ٢٠٢
ب- المواساة والزهد ٢٠٤
ج- أخلاقه ٢٠٨
د- عبادته ٢١٠
أساتذته ٢١١
علميته ٢١٣
محمد باقر الصدر... والوحدة الإسلامية ٢١٧
التحرك السياسي عند السيد الشهيد ٢٢٥
محمد باقر الصدر وحزب الدعوة ٢٢٩
التقاء الخواطر ٢٣٢
السيد الصدر.. وحزب البعث ٢٣٥
بداية المواجهة من حزب البعث ٢٣٧
اليوم الأخير ٢٤١

الخاتمة **٢٤٣**

الملحق رقم (١) **٢٤٧**

الملاحق ٢٤٧
أسماء الثوار المنفيين إلى الهند ٢٤٧
أثر ثورة النجف عام ١٩١٨م ٢٤٧

الملحق رقم (١) ٢٤٧

الملحق رقم (٢) ٢٥١

الملحق رقم (٢) ٢٥١
فتاوى العلماء بجهاد الإنجليز عام ١٩٤١م ٢٥١
فتوى السيد أبو الحسن الأصفهاني ٢٥١
فتوى الشيخ عبدالكريم الجزائري ٢٥٢
فتوى آية الله الهادي كاشف الغطاء ٢٥٣

نداء النجف العام إلى العالم الإسلامي ٢٥٥

نداء النجف العام إلى العالم الإسلامي ٢٥٥
فتوى الحجة الكبير الشيخ محمد الجواد الجزائري ٢٥٥
فتوى المجاهد الكبير الشيخ عبدالحسين الشيرازي ٢٦٠
فتوى آية الله المصلح الأكبر حجة الإسلام والمسلمين ٢٦١
السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني. ٢٦١

نداء الكاظمية العام إلى العالمين الإسلامي والعربي ٢٦٣

نداء الكاظمية العام إلى العالمين الإسلامي ٢٦٣
والعربي يصدره أعلام الأسرة الخالصية ٢٦٣
مؤيدين ثورة الجيش المباركة. ٢٦٣
فتوى العالم الجليل الأستاذ السيد إسماعيل الواعظ ٢٦٤
نداء عام ٢٦٤
فتوى حجة الإسلام العالم النحرير، والمصلح الكبير السيد
عبدالحسين الحجة الطباطبائي الحائري ٢٦٦

فتوى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ٢٦٧
فتوى حجة الإسلام ٢٦٩
العلامة السيد حسين القمي الطباطبائي الحائري ٢٦٩
فتوى حجة الإسلام ٢٧٠
العلامة الشيخ محمد الخطيب الحائري ٢٧٠
خطاب نائب عميد جمعية الدفاع عن فلسطين السيد نجم الدين
الواعظ ٢٧١
فتوى الخطيب المصلح العلامة الكبير ٢٧٤
الشيخ قاسم القيسي ٢٧٤
فتوى العلامة الكبير المجاهد ٢٧٥
السيد علاء الدين النقشبندي (رئيس الطريقتين النقشبندية
والقادرية). ٢٧٥

فهرس المصادر ٢٧٧

فهرس المصادر ٢٧٧
الصحف ٢٨١
المجلات ٢٨١
اللقاءات ٢٨٢

الإهداء

إلى كُلِّ الذين يَرون نصف الكأس مملوءاً وليس فارغاً.

ويقرأون الحدث التأريخي بظرفيه الزماني والمكاني ... قراءة موضوعية ومنصفةً، ويؤثرون بها على أنفسهم رغم خصاصات ومرارات أبناء جلدتهم فهم طلاب الحق والحقيقة.

فإلى كُلِّ أولئك أهدي ثمرات هذا الكتاب

المقدمة

مع ما يمرّ به العراق من ظروف استثنائية قاهرة، وربما هي الأشدُ رُعباً والأكثر خطراً من كلّ ما مَرَّ من تاريخ العراق الحديث، بعد أنّ تكشفت الكثير من أدوار اللُّعَب والأطماع السياسية والفئوية، والذاتية للذين يمتهنون السياسة أسلوباً للتسلط والقهر لإقصاء الآخر، حتى وإن كلّف ذلك الجديد من حمامات الدم!!، طالما لم يكن هناك تحفظاً للأساليب والممارسات اللامسئولة وبالأخص بعد محاولات البعض في تفعيل إنجرار الطائفية السياسية إلى طائفية عقائدية، ملؤها الشعور بالكراهية والحقد بين أبناء العراق؛ في الوقت الذي أفصح فيه الواقع ان العراقيين أشد لحمةً وأكثر وعياً وأبلغ حُباً ووداعة وسلام.

ومما يؤسف له أن تظهر ـ مؤخراً ـ معالم التنابز التأريخي وصور المراهنة الوطنية وتداعيات المظلومية، وجاهزية منظومة الاتهامات الخطيرة في هدم بُنية هذا المجتمع المتماسك بوحدته وأهدافه وتطلعاته، ولا يخفى أن لظروف الاحتلال معالم سلبية عديدة قد

ساهمت في تفعيل ما يسمى بشق لحمة هذا الوطن، وسهولة السيطرة على المكونات والأجنّدة السياسية التي تُمثّل ربما، أغلب مكونات هذا المجتمع تماشياً مع ما تطمح إليه إدارة الاحتلال في برامجها لتحقيق خارطة شرق أوسط جديد، نواته العراق، والذي لابد لهذه النواة من مراحل المخاض والعسر، وإن سفكت الدماء وانتهكت خدور النساء، ومع فداحة هذا الخطر، لابد أن يكون هناك مأوىً آمنٍ يلجأ إليه الوطنيون الصادقون، ولا نرى من معادلة اصطفاف الأجندة إلا موقع المرجعية الدينية؛ لما لها من تأثير روحي كبير، ونشاط وحرص على حقن دماء أبناء العراق، ولا يخفى على أحد عظمة الدور الذي لعبته المرجعية الدينية الشيعية على مرّ العصور في الحفاظ على عنصر ثبات الأمة دينياً وسياسياً، وهي تخوض غمار الحياة وتجاربها المرّة.

وقد حدثنا التأريخ عن هذا الدور المهم، ودور النوادر من هذه المؤسسة الذين تألقوا نجوماً في سمائها، وهم يخطون بفكرهم وحُلمهم وصبرهم سلوكاً صادقاً، مَثَّل أروع لوحات الذوبان في المبدأ والإخلاص للعقيدة والدين والوطن، وكانوا بحق أعمدة هذه المؤسسة التأريخية، وكيانها المرجعي، الكيان: الذي طالما أبدى الشهيد محمد باقر الصدر تخوفه المعلن من خسارته الذي يعني لديه القيادة الوحيدة الحقيقية للأمة، فهو يقول «امتحنا في كيان، امتحنا في هذا الكيان الذي ورثناه منذ مئات السنين، هذا الكيان

الذي بُذل في سبيله من جهود سلفنا الصالح الطاهر من أصحاب الأئمةعليهم السلام ومن أجيال الفقهاء، بعد ذلك جيلاً بعد جيل، بذل في سبيل هذا الكيان وتدعيمه وتطويره وتنميته وجعله مشعلاً للإسلام في كلّ أرجاء العالم الإسلامي، بذل في سبيل ذلك الدم الطاهر والوقت الطاهر والعمر الطاهر ما امتلأ به تاريخ سلفنا الطاهر، المشكلة هي مشكلة هذا الكيان، وهذا الكيان ـ كما قلت ـ والقول لا زال للسيد الصدر ـ ليس كياناً وصل إلينا مجاناً حتى نستطيع أو حتى يجوز لنا ـ بمبررات الهزيمة النفسية ـ أن نسلمه بسهولة أن ننسحب عنه باختيار، أن نضيّعه بأنفسنا، وإنّما هو كيان وصل إلينا عبر تاريخ مليء بالتضحيات، بالعمل الصالح والجهاد الصالح، هذا هو الكيان الذي تشربت في كل أرجائه الآلام ... وألوان المحنة والاضطهاد ألوان البلاء»[1] ويتضح من حرص الشهيد الصدرقدس سره أن هذا الكيان كيان الأمة لا يمكن أن يفصل نفسه عنها، ولا هي بالقادرة على هذا الفصل بدعوى فصل الدين عن الدولة أو المرجعية عن السياسة؛ ولذا يأتي هذا الكتاب موضحاً دور المخلصين من العلماء ـ أبناء هذا الكيان المهم ـ في المجابهة والتصدي لحفظ الدين والوطن، كما أنّه عبّر عن حقائق تأريخية كُتبت بعيداً عن رقابة السلطة وتأثير الطواغيت والجبابرة الأقوياء، بل جاء انسياباً مع الحكمة ونزاهة الحكماء وأمانة

(١) كتاب المحنة للسيد محمد باقر الصدرقدس سره، طبع قم: ٣٣ ـ ٣٤.

التوثيق الصادق مع ما نطمح أن لا يكون قد يسيء مع وجهة نظر أي عراقي، وكما يقول المثل الشائع: الخلاف لا يُفسد في الود قضية، بل هو من ركائز البُنية التقويمية، وحالة عالية من نضوج الوعي وإتمام الفكرة وطريق للتكامل، والوصول إلى ما يقرب إلى الحقيقة إن لم يكن الوصول إلى الحقيقة بعينها.

ومع كُلّ إيماننا بالنقد، سوف يرى القارئ الكريم في هذا الجهد ابتعادنا عنه، والتركيز على الوجه الإيجابي دون الغور في الأبعاد النقدية والتقويمية، لهذه الجهة وهذا الشخص أولتلك المواقف، بعد أن أشبع الآخرون من الكتاب العراقيون هذا الجانب، ومع إيماننا بأن الحدث التأريخي ربما يحتمل وجهان، فلذا اقتصرنا على ما يمكن أن يكون هو الوجه الإيجابي، لأننا أحوج ما نكون لهذا الوجه في هذه المرحلة العصيبة الراهنة من تاريخ العراق، وربما قد يختلف البعض من الكتاب مع هذه الرؤية! التي نرى فيها كامل المسئولية الشرعية وترجيح ما نصت عليه قاعدة التزاحم في تفضيل الأهم على المهم.

ومع كل إيماناً بتعدد القراءات التأريخية الأخرى، ندع ما جاء في هذه القراءة، بعد أن وضعنا وبتواضع أمام القارئ صور من التوثيق للحقائق الناصعة التي لا يمكن للعقلاء غضّ الطرف وممارسة الإلتواء وشطب الآخر تهميشاً وإقصاء، وما نبتغي من ذلك إلا مساهمة صادقة متواضعة لإعادة نصاب

الوعي إلى ما هو أنضج وأرشد وأنفع لواقع العملية السياسية الحاكمة ـ اليوم ـ في العراق.

اللهمَّ نسألك الثبات على ما هو حق، اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا. اللهم أنت أرحم الراحمين.

صادق جعفر الرّوازق

١ / ٢ / ٢٠٠٧ ميلادية

الفصل الأول

حركة الجهاد

عام ١٩١٤ميلادية

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، نجحت بريطانيا العظمى في بسط نفوذها وسيطرتها على العديد من الدول، وبالخصوص الإسلامية منها، ففي العراق ... تقدمت القوى العسكرية البريطانية واحتلت البصرة في ٥ تشرين الأول ١٩١٤م، وكانت هذه الحملة البريطانية على العراق هي أولى عملياتها الحربية ضد الدولة العثمانية، يوم كان العثمانيون حلفاء لألمانيا.

الجيش العثماني الذي واجه الغزو البريطاني، ضمّ ـ إضافة إلى الجيش النظامي ـ مجاميع كبيرة من المجاهدين العراقيين بزعامة علماء الدين الذين وجدوا أن مصلحة الإسلام والوطن الإسلامي وأبنائه توجب الوقوف مع الدولة العثمانية في مواجهة الغزو البريطاني، انطلاقاً من الرؤية الإسلامية الجامعة بينهما.

حركة الجهاد بدأت في العراق في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤م[١] عندما أبرق أهالي البصرة إلى علماء الدين في النجف ومختلف المدن العراقية، يستنجدونهم لمقاومة الخطر المهدد لكيان العراق والكيان الإسلامي بالذات، فقد نصت البرقية: «ثغر البصرة، الكفار

(١) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤: ١٢٧.

محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع[1]».

تليت هذه البرقيات في المساجد والأسواق وألهبت مشاعر الناس أثر ما قام به الوعاظ والخطباء من إلقاء خطب حماسية أكدوا فيها أن الإنجليز إذا دخلوا العراق سيهدمون المساجد والعتبات المقدسة ويحرقون القرآن وينتهكون حرمات النساء ويذبحون الأطفال والشيوخ. فقد كان لهذه الخطب أثراً كبيراً وفاعلاً في نفوس الناس مما أدى إلى الاستجابة الكبيرة لفتاوى العلماء الفاعلين العاملين الذين تقدموا الجموع الغفيرة في ساحات الجهاد فأعادوا بذلك ذكريات صدر الإسلام مستصحبين تلك المواقف في أروع حركة جهادية معاصرة، حاكت العقول البشرية بقوة المبادئ وفاعليتها في اتخاذ الموقف في بناء المجتمع الإسلامي.

ا ـ الطابع الديني للحركة:

إنَّ عملية تعبئة الجماهير المسلمة ـ بمختلف الطوائف ـ في بداية التصدي لدخول الإنجليز لثغر البصرة تمَت من خلال الشعور الإسلامي والواجب الشرعي الذي يحتم على الفرد المسلم اتخاذ موقف الجهاد، فلم تتم التعبئة عن طريق المفاهيم الوطنية المجردة،

(١) المصدر السابق.

أو عن طريق استمالة العشائر بالترغيب والترهيب، وإنما كان انقياداً تاماً للفتوى والأحكام الشرعية، فصدرت ـ في الشهر الأول من دخول تركيا في الحرب ـ عن شيخ الإسلام فتوى الجهاد باعتباره صاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية، أنه (فرض عين) على جميع المسلمين في العالم، ومن بينهم الذين يعيشون تحت حكم بريطانيا وفرنسا وروسيا أن يتحدوا لمقاومة هذه الدول الثلاث عدوة الإسلام وان يحاربوها ويحاربوا حلفاءها[1] وما يهمنا هو موقف العلماء والمسلمين في العراق.

فقد أثبت علماء الشيعة مواقف جهادية رائعة باعتراف كبار قادة الجيش العثماني، فحينما أصيب (سليمان عسكري بك) في المعركة وحمل إلى بغداد للمعالجة، وبينما هو راقد في المستشفى دخل عليه أحد الزعماء الروحانيين ـ من موظفي الدولة ـ عائداً له، فلما وقع نظر القائد عليه قال له وهو يهز يديه مستنكراً من قعوده عن الجهاد: أنت هاهنا ترفل بالراحة والطمأنينة والنعيم مع أنك تتقاضى راتباً ضخماً من الدولة طيلة عمرك، وإنّ آية الله السيد مهدي السيد حيدر يحارب بنفسه الإنجليز على شيخوخته وعظمته، وهو الآن في الصفوف الأُولى، مع أنه لم يقبض من

(١) العلوي، حسن: التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق: ١٦٤، نقلاً عن حسن الأسدي (ثورة النجف).

أموال الدولة قليلاً ولا كثيراً طيلة عمره)[1].

هذه الصورة تستوجب الوقوف، والتحليل، خاصة حينما يكون لدينا الإلمام الكامل بظروف الشيعة في زمن الدولة العثمانية ، فهكذا تصريح من كبار القادة العسكريين يعطي مؤشرات عديدة للفارق الاجتماعي السياسي الذي وضعته الدولة العثمانية للتمييز بين علماء السُّنّة وعلماء الشيعة، فمن حديث القائد العسكري تنبعث رائحة السياسة التي استخدمتها الحكومة التركية تجاه علماء الشيعة من حيث اللامبالاة وإقصاؤهم من المواقع الحساسة في الدولة، وكذلك يرسم هذا التصريح صورة العزوف التام لعلماء الشيعة عن الارتباط بالسياسة غير العادلة للحكومة التركية (العثمانية) وإدانة سياستها الترغيبية والترهيبية.

لقد كانت المرجعية الشيعية ترى في جهاد الإنجليز حكماً قاطعاً لا يمكن التخلي عنه أو التردد فيه، فلم تكن حركتها (الجهاد) منبعثة من نظرة سياسية بحتة ولا أبعاد طائفية تستوقفها أو تجعلها تشك في وجوب الجهاد ضد الإنجليز، وإنّما كانت النظرة شاملة وكاملة في الحفاظ على بيضة الإسلام، بغض النظر عن السياسة الطائفية التي مورست وتمارس من قبل سلطات الدولة العثمانية، وبشكل إجمالي لا يختلف فيه (اثنان) فإن التعبئة

(١) الحسيني، أحمد: الأمام الثائر: ٤٣.

الجماهيرية لم تتم بدافع قومي ولا بدافع وطني مجرد، وإنّما كانت بدافع ديني كبير، ودليل ذلك هو جهد العلماء التاريخي في تعبئة الجماهير، فقد أكّدت المصادر التاريخية هذا الجهد العلمائي ـ سواء كان شيعياً أو سنياً ـ في عملية التعبئة، وصمود الجماهير المسلمة والتفافها حول قادتها من العلماء.

٢ ـ الإحداث:

في فجر يوم ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥م تحركت القوات البريطانية تساندها الزوارق الحربية البحرية متجهة نحو منطقة (الروطة)، بعدما كانت متجحفلة في منطقة (المزيرعة)، وعند شروق الشمس بدأت بقصفها المدفعي الكثيف على قوات الدولة العثمانية (الجيش والمجاهدين) وأوقعت خسائر كبيرة في صفوف العثمانيين، فيما كانت خسائر الانجليز قليلة قياساً بالعثمانيين .. دامت المعركة أربع ساعات.

كانت هذه المعركة أول معركة حصلت بعد تجمع القوات العثمانية والمجاهدين بقيادة العلماء الأعلام والقادة العسكريين من الأتراك، ومما يذكر أن القائد العسكري سليمان عسكري بك أصيب بجروح في ساقه فنقل على أثرها إلى بغداد للمعالجة.

قوات المجاهدين وزعت مع القوات النظامية للجيش التركي، على ثلاثة محاور: محور الشعيبة، ومحور القرنة، وخوزستان ..

فاعتبرت منطقة (القرنة) بمثابة القلب، ورابط فيها من العلماء والمجاهدين كل من المجاهد آية الله السيد مهدي الحيدري ومعه أولاده، السيد أسد الله، والسيد أحمد، والسيد راضي وبعض أقربائه كالسيد عبدالكريم والبطل الشهيد السيد عبدالحسين، وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني، والسيد علي الداماد والسيد عبدالرزاق الحلو، ومعهم جموع غفيرة من المجاهدين قدّر عددهم بأربعين ألفاً[1] وقد تضمن هذا المحور مجاهدين أكراداً برئاسة الشيخ كاكا أحمد.

أما الجناح الأيمن وهو (الشعيبة) فقد كان على رأس المجاهدين فيه كل من السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر والسيد آية الله محسن الحكيم، ومعهم العديد من القبائل المجاهدة.

أما الجناح الأيسر وهو (الحويزة)، خوزستان .. فقد كان على رأس المجاهدين فيه الشيخ مهدي الخالصي ومعه ولده الكبير الشيخ محمد، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والسيد محمد نجل آية الله اليزدي، والسيد عيسى كمال الدين الحلي وغيرهم العديد من المجاهدين، وقد كان معهم الشيخ عبدالكريم الجزائري الذي قطع علاقته الحميمة مع الشيخ خزعل إثر برقيته له طالباً منه الاشتراك في جهاد الإنجليز وعدم استجابة الأخير لها.

(١) الحسيني، أحمد: الأمام الثائر: ٣٧.

أـ معركة الروطة:

هذه المعركة الصغيرة، القصيرة العمر، معركة (الروطة) قدمت فيها دراسات وبحوث وتعددت فيها الآراء كل حسب ما يراه من الطرفين، فالإنجليز أكّدوا أنها معركة استطلاعية قدمت فيها الجيوش والمدافع لضرب العثمانيين ومن ثم الانسحاب، وقد أكدوا أن الانسحاب كان مقرراً منذ البداية، والدليل كما يؤكده الإنجليز الخسائر التي مني بها العثمانيون.

أما التحليل العثماني لهذه المعركة، فقد اعتبرها انتصاراً رائعاً للعثمانيين، وهزيمة كبرى لقوات الإنجليز، ودليل ذلك هو الانسحاب البريطاني من المعركة وعزل الجنرال البريطاني (باريت) من منصبه نتيجة اخفاقه في هذه المعركة.

وقد كان للمجاهدين الرابضين في أرض هذه المعركة بالذات، رأيٌ آخر نابع من صميم الفطرة والولاء الديني، فالمعركة كانت انتصاراً رائعاً، فهم يتفقون مع الأتراك على النصر، ولكنهم يختلفون عنهم في تحليل هذا الانتصار.

فالمجاهدون يعزون هذا النصر لثبات العلماء المجاهدين في قلب المعركة، وأنه السبب الأساسي للانتصار، ولا سيما آية الله السيد مهدي الحيدري الذي كانت المعركة تدور في جبهته، فقد كان ناصباً خيامه في قلب المعركة، وظل ثابتاً رغم قساوة القصف

المدفعي، وهذا مما شجع المجاهدين والجيش التركي على الوقوف والثبات أمام القوات البريطانية الغازية.

ومما يذكر أن أحد المقربين من السيد الحيدري عرض عليه تقويض الخيام؛ لأنّها كانت هدفاً للقصف، فأبى السيد أن يقوّض الخيام وقال: «إنَّ معنويات الجيش كلّه ستنكسر إذا قوضتم خيامنا، وربما ظنوا أننا قد انسحبنا عن مراكزنا، فتضعف عزيمتهم وتنهار قوتهم؛ بل يجب أن تبقى هذه الخيام قوة للجيش وراية للإسلام وهيبة للمسلمين ورهبة للكافرين».

ويذكر المؤرخون أنه نهض كالليث الهصور وهو شيخ ابن ثمانين عاماً، وتقلد سيفه، وحمل قرآنه، وندب أصحابه، وحثهم على الثبات وحرَّضهم على القتال وأمرهم بالثبات، ودعا لهم بالنصر على الأعداء.

إنَّ تحليل المجاهدين اعتمد على الغيب الإلهي الذي كان مصداقه السيد الحيدري رحمه الله.

ب ـ معركة الغدير:

أما الجناح الأيسر ـ خوزستان ـ وقد كان الحاكم الفعلي فيها الشيخ خزعل، وان كانت تابعة إدارياً إلى الحكومة الإيرانية، فقد أبرق العلماء المجاهدون برقيتين إلى الشيخ خزعل تحثه على جهاد الإنجليز، ولكنه رفض مجاهدتهم، ولم يعمل بالبرقيتين اللتين وقع

في الأُولى منها كل من الشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بـ (شيخ الشريعة) والسيد مصطفى الكاشاني والميرزا مهدي الخراساني والسيد علي التبريزي والشيخ محمد حسين المهدي، فيما كانت البرقية الثانية من قبل السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي.

وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ خزعل مصمماً على عدم مجابهة الإنجليز، قام البعض من العلماء بحث الشيخ عبدالكريم الجزائري على إبراق فتواه إلى الشيخ خزعل؛ لا سيما وإن الأخير من مقلدي الشيخ الجزائري، وقد أبرق فعلاً الشيخ الجزائري بفتواه، ولكن الشيخ خزعل أصرَّ على رفضه، مما أدى بالشيخ الجزائري إلى قطع علاقته الحميمة مع الشيخ خزعل، وقد حاول الشيخ خزعل بعد الحرب أن يرجع علاقاته بالجزائري، إلاّ أنّ الأخير ردَّ عليه قائلاً: «فرَّق ما بيني وبينك الإسلام[١]».

بعض العشائر كبني لام وبني طرفة وربيعة وكعب والزرقان انضمت إلى حركة الجهاد بفعل فتوى العلماء، لا سيما وان كبير علماء خوزستان ـ آنذاك ـ السيد عيسى كمال الدين، قد استجاب لدعوة الجهاد بحماس على منوال زملائه علماء النجف وأخذ يجول في مدن وعشائر خوزستان[٢] ـ الأهواز ـ وقد كانت هذه العشائر

(١) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١٤١: ٤.

(٢) الوردي، علي / ٤:١٤١، نقلاً عن (تاريخ الكويت السياسي) حسين خلف الشيخ خزعل ٤:٣٢ـ بيروت ١٩٦٥م.

ترى في حركة الجهاد فرصة للقضاء على الشيخ خزعل؛ لبغضها الشديد له، لشدته في جباية الضرائب.

إنَّ انضمام هذه العشائر أدى إلى إحراج موقف الشيخ خزعل وفقدان سيطرته، فقام بدحرها، وأرسل قسماً آخر بقيادة ابنه الأكبر (چاسب) نحو عشيرة (كعب) فدحرها هي الأخرى، وكانت القوات البريطانية مرابطة في المنطقة بقيادة الجنرال (روبنسون) والقوات التركية كانت قريبة ومعسكرة في منطقة (الغدير) التي سميت المعركة باسمها.

وعندما أرادت القوات البريطانية مباغتة القوات التركية، بوغتت من قبل العشائر بقيادة المجاهدين من العلماء، والحقت خسائر فادحة كبيرة بالطرفين، مما أدى إلى انسحاب القوات البريطانية سريعاً وبصعوبة بالغة، ومما سهل عليهم الانسحاب، غلطة القوات التركية في ضرب العشائر العراقية بالمدافع لشدة حماسهم الذي أدى إلى اقتراف هذه الغلطة الكبرى، وكانت القوات البريطانية واضعة أمامها مصلحتها الكبيرة في حماية آبار نفط خوزستان، ويؤكد بعض الباحثين أن تواجد القوات البريطانية في المنطقة لم يكن في الفترة يستهدف الدخول إلى العراق؛ وإنما كانت خطتهم منصبة على آبار نفط خوزستان، ومن ثم تأتي مرحلة التوسع في احتلال البصرة.

بالتأكيد إنَّ هذا الرأي لا يخلو من محاولة لاختلاق تبرير عدم مشاركة البعض في حركة الجهاد! فالتبرير ـ هذا ـ لم يكن مقنعاً؛ لا سيما وان القوات البريطانية كانت تهدد أمن المنطقة كاملاً.

جـ ـ معركة الشعيبة:

أما الجانب الأيمن، فقد ضمَّ من العلماء السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر وآية الله السيد الحكيم، ومعهم العديد من القبائل المجاهدة.

وكانت جبهتهم هي منطقة (الشعيبة)، وهي المنطقة التي تقع على بعد تسعة أميال من الجنوب الشرقي للبصرة، وفيها كانت المعركة الحاسمة والفاصلة بين طرفي الصراع، هذه المنطقة (الشعيبة) كانت تحتوي قلعةً كبيرة قديمة وبعض الدور الواسعة التي اتخذها بعض الأغنياء مصائف لهم، حاول القائد البريطاني العسكري الجنرال (باريت) تحصين هذه المنطقة بالخنادق والأسلاك الشائكة وأكياس الرمل، مما جعلها منيعة وأمينة من كل غارات الأتراك والمجاهدين، لقد تجحفل المجاهدون والجيش التركي في أدغال البرجسية التي تقع على بعد ستة أميال من الجنوب الشرقي لمنطقة الشعيبة، وقد قدر عدد الجيش التركي النظامي بأكثر من ستة آلاف جندي وأكثر من خمسين ألفاً من المجاهدين.

كانت الخطة التي وضعها القائد العسكري سليمان بك أن

يقوم بهجوم واسع على مواقع القوات البريطانية المحصَّنة، على أن يكون القلب بقيادة الجيش التركي والمجاهدون على جانبيه في الميمنة والميسرة، ولكن كان هنالك رأي وضعه الألمان حلفاء الدولة العثمانية على أن يكون الهجوم محاصرة القوات البريطانية في مواقعها من جميع الجهات، وكان هذا الرأي أيضاً للقائد المجاهد المتمرس بالحروب (عجمي السعدون)، فقد كان يرى الاكتفاء بمحاصرة العدو وشن الغارات عليه وقطع خطوط مواصلاته، إلاّ أن القائد سليمان عسكري بك الذي كان محمولاً بنقالته بعد إصابته في المعركة الأُولى ـ معركة (الروطة) ـ كان مصرّاً على مهاجمة البريطانيين مباشرة.

وفي الصباح الباكر من يوم ١٢ نيسان ١٩١٥م بدأت القوات التركية بهجومها الواسع على مواقع القوات البريطانية وفي ضوء خطة القائد العسكري سليمان بك.

استمر القتال بين الطرفين مدة يومين، ولم يتحقق النصر لأحدهما، وقد أبدى الجيش التركي بسالة نادرة، وكذلك بعض المجاهدين أمثال عجمي السعدون[1].

(١) الوردي، علي ٤:١٤٦.

قال فيه شكري محمود نديم: «كان عجمي باشا السعدون أبرز قادة المجاهدين وغدا اسمه مضرب الأمثال في الشجاعة والشهامة، وحكيت حول أعماله

وفي نهاية اليوم الثاني من المعركة وصل الجنرال (ميس) من مصر وهو رجل شجاع إلى حدّ البطش فتولى قيادة القوات البريطانية، فأصدر أوامره بخروج الجيش من الخنادق والهجوم على القوات العثمانية، ونشب بذلك قتال ضارٍ بالسلاح الأبيض، وفي أثناء تواصل هذه المعركة الدامية، أكّدت بعض المصادر البريطانية لاحقاً أن القائد (ميس) كان في نيته الانسحاب، ولكنه لم يصدر أمره بذلك؛ وإنما أراد فسح المجال لنقل جرحاه من أرض المعركة، فأمر قواته باستخدام كافة العجلات والبغال بغية نقل الجرحى، وقد أثارت هذه العملية غباراً كثيفاً، فظن الأتراك والمجاهدون أن نجدة من القوات البريطانية الكبيرة قد وصلت أرض المعركة، مما خلق رعباً في صفوف المجاهدين والقوات النظامية التركية؛ لا سيما وان هناك شائعة أخذت مداها الواسع وهي: أن القائد التركي سليمان بك قد قتل في المعركة، وقد أدت تلكما الحالتان إلى ضعف العزيمة في نفوس المقاتلين الأتراك،

أساطير كثيرة لا تزال تتناقل جيلاً بعد جيل، فقد كان يهاجم المفارز البريطانية؛ ولا سيما الخيالة منها فينقض عليها على رأس فرسانه المنتفكين المنتشرين بمسافات متباعدة لتجنب تأثير نار المدافع البريطانية، وكان هؤلاء الفرسان يتجمعون في لحظة الهجوم بإشارة من عجمي السعدون بسرعة البرق الخاطف فيوقعون بالبريطانيين خسائر فادحة ثم يقودهم عجمي بسرعة مذهلة إلى حيث تبتلعهم الصحراء ...».

وحدث من جراء ذلك هزيمة كبرى في صفوف القوات العثمانية، ومما يذكر بهذا الصدد أن آية الله السيد محسن الحكيمﷺ هو أحد العلماء المجاهدين في معركة الشعيبة، وكان أمين سر ومعتمد السيد محمد سعيد الحبوبي، وقد وصف هذه الهزيمة مؤلف كتاب (آية الله السيد محسن الطباطبائي)[1] بقوله: «وكانت القنابل تتطاير في الفضاء وتثير الرمال حول المضارب وهما لا يريان ـ الحبوبي والحكيم ـ والحال هذا .. وأخيراً استقر الرأي على أن يذهب السيد الحكيم إلى القائد العثماني ليستوضح الموقف، فأراد فرساً ليركبه، فلم يسمح له أحد الحاضرين بجواده لعظم الخطب وتبلبل الأفكار، وكان كل واحد من المجاهدين بين ممتط صهوة جواده مستعد للفرار وبين آخذ بشكيمته منتظراً أمر السيد بفراق الجبهة، فترجل الشيخ رحوم الظالمي عن فرسه وقدمها للسيد، فتعجب منه بعض الحاضرين، وعاتبه على ذلك، لأن السخاء بالجواد في مثل تلك الساعة سخاء بالنفس! ... فقال:« لا أبالي إذا سلم هذا السيد وهلكت، لأن وجوده أنفع من وجودي، وسيأتي يوم يقود فيه العراق، وكانت هذه نبوءة مقدسة لا تستكثر على عربي صميم، فالعربي يقرأ في ملامح الصور جمل المستقبل الغامض، ولا تستكثر على مؤمن بر، فأن المؤمن ينظر بعين الله،

(١) الحسيني، أحمد: الإمام الحكيم السيد محسن الطباطبائي: ٧٦.

فامتطى الحكيم صهوة الجواد، وتخطى الجثث المبعثرة والأشلاء المحطمة الموزعة، والمطاعين المتململين، حتى انتهى إلى مضرب القائد، فوجد حوله جملة مضارب مبعثرة هنا وهناك، ووجد الحجاب على مراتبهم وقد أحاطت مضاربهم بمضارب القائد شبه الهلال الذي يهم طرفاه بالتلاقي فوجده على أتم حال وأكمل اتزان، يكتب ويدون، ويضع الخطط، فقال القائد: ما فعل المجاهدون؟ فقال السيد: تفرقوا لأنه شاع بينهم أنه قد قتل القائد وقتل جميع الضباط حتى لم يبق من يقود اثنين.

فأخرج له القائد ما عنده من المعلومات، فإذا بالإشاعات لا تقوم على أساس؛ وإنما هي غلطة أو خديعة، أدت إلى الهزيمة.

لقد حاولت قوات الجيش التركي والمجاميع الغفيرة من المجاهدين الانسحاب من أرض المعركة دون أوامر صادرة بالانسحاب، مما أدّى إلى انتصار ساحق للقوات البريطانية على القوات العثمانية، فانتحر القائد العسكري سليمان عسكري بك من عار الهزيمة التي لحقت بالجيش والمجاهدين.

ويذهب البعض من المحللين العسكريين إلى أن معركة الشعيبة كانت (معجزة الشعيبة) بالنسبة للإنجليز (فلو أنهم كانوا قد انكسروا فيها لما تمكنت قواتهم من القيام بانسحاب منتظم إلى البصرة لوجود مياه الفيضان والأوحال الواسعة بينهم وبين

البصرة، ولربما أدى ذلك بهم إلى هزيمة منكرة).

في هذه المعركة (الشعيبة) من المعارك الثلاث (الروطة) و (الغدير) منيت القوات العثمانية بخسارة فادحة بالأرواح والمعدات، وكانت هذه المعركة هي فاتحة الطريق للقوات البريطانية للدخول إلى العراق واحتلاله، فالمجاهدون والقوات التركية في المعركتين الأوليين (الروطة) و (الغدير) أبدوا بسالة رائعة وألحقوا خسائر كبيرة في صفوف القوات البريطانية، ويعزى ذلك إلى أن القوات العثمانية وقوات المجاهدين كانتا في باكورة استعدادهما للتصدي من حيث الجانب المعنوي والمادي، إلا أنه في هذه المعركة ـ الشعيبة ـ كان للجانبين المعنوي والمادي أثر كبير في انكسارهم، ذلك أن الفترة الأمنية (الانتظار) قد طالت، وقد أصاب المجاهدين الملل، إضافة إلى ما كان يعانيه المجاهدون من التذمر من قبل أفراد الجيش التركي، إضافة إلى أن في هذا الانتظار تبلورت هواجس مخيفة حول نفاد العشب وموارد التغذية لخيولهم ودوابهم، ثم أن أسلحة الجيش العثماني لم تكن حديثة ومتطورة قياساً إلى أسلحة البريطانيين، وهناك أسباب عدة منها : وجود الجواسيس للبريطانيين في صفوف المجاهدين والجيش النظامي التركي، و الفراغ القيادي، حينما كان القائد سليمان عسكري بك تحت المعالجة في بغداد، وفي هذه الفترة حاولت القوات البريطانية

إعادة تحصين مواقعها بالعدة والأعتدة والمؤن الكافية.

٣ ـ مواقف علمائية:

حينما انكسر الجيش العثماني في (القرنة) اندحرت القوات العثمانية، وفرَّت من أرض المعركة، وقد أشار البعض على السيد مهدي الحيدري بالمكوث في مدينة العمارة؛ لأنها مركز القوة وموطن العشائر، فوافق السيد وعاد إلى العمارة بعدما كان مصمماً على التقدم إلى مجابهة قوات الاحتلال، وما أن حلَّ فيها حتى جاءه القائد العسكري وأبلغه بإخلاء مدينة العمارة والانسحاب منها، فرفض السيد الحيدري أوامر القائد وقال كلمته الخالدة:«أما أنا فلا أتحرك من هذا المكان وأحاربهم هنا حتى أُقتل أو أنتصر»، فلمّا سمع القائد ذلك بُعثت فيه روح القوة والعزم وألهبت فيه النخوة والحماس، وعدل عن رأيه في الانسحاب.

حينما تمت تعبئة المجاهدين من مختلف العشائر العراقية في مدينة العمارة، تحرك السيد الحيدري والمجاهدون إلى ساحة الحرب باتجاه القرنة، ونزل السيد في مقرّ القيادة العسكرية، فجاءه القائد العسكري سليمان بك لزيارته والسلام عليه، ثم عرض القائد على السيد الحيدري أن يقدم ما يحتاجه المجاهدون من المؤن والأموال، فرفض السيد الحيدري ذلك وقال له: «إننا مستغنون عن مساعدتكم، ولو تمكنا نحن على مدكم بالمال والطعام لفعلنا»،

فشكر القائد له هذا الشمم العلوي والإباء الهاشمي.

لقد كان موقع المجاهدين في معركة (القرنة) في مكان ليس بالمتقدم من المعركة؛ وإنّما كان موقع تعزيز للقوات النظامية التركية، السيد الحيدري انتبه إلى ذلك وقال: « أن المصلحة الإسلامية تتطلب تقدم قوات المجاهدين إلى عمق ساحة المعركة، وسوف أكون أنا ومن معي من العلماء في مقدمة المجاهدين»، وقد أشار عليه البعض بأن موقعه خلف المعركة سوف يكون ذا تأثير وسيطرة من حيث التعبئة والتهيئة والتنظيم، فقال رحمه الله: «إنَّ هذه الجموع الغفيرة إنّما جاءت للحرب والدفاع، ولا تتقدم إلى القتال ما لم نتقدم بأنفسنا أمامهم ونكون معهم في السراء والضراء»، ولمّا رأى إصرار البعض عليه جعل من الاستخارة الفصل بذلك فكانت الآية الكريمة ﴿**وَمَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ**﴾[1] وكأن هذه الاستخارة هو الوحي المنـزل، ومن ثم قرروا الزحف معه إلى الميدان.

حينما نُصبت خيام السيد الحيدري رحمه الله في قلب المعركة وكانت هدفاً لقذائف المدفعية والقنابل القريبة، كان بعض العسكريين من الأتراك يقولون ـ بعد انتهاء المعركة ـ حينما اشتد الضغط علينا هممنا بالانسحاب، ولكننا كلما رأينا خيام السيد وأصحابه

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦.

المجاهدين قائمة بمكانها، تقوى عزيمتنا ويشتد بأسنا، ونستحي من الانسحاب، ونقول في أنفسنا: كيف ينسحب الجيش والسيد وأصحابه المجاهدون ثابتون في ميدان المعركة؟!.

يذكر السيد أحمد الحسيني[1] عن آية الله السيد الحكيم﵀ : «قال لي أكثر من مرة: كنت وأنا في النجف أخشى من ضابط التجنيد، وبعد هذا أصبح القائد العثماني الذي هو أعلى منه بمراتب لا يتمكن من الدخول عليَّ إلاّ مستأذناً .. وقال: أرسل إليَّ أحمد أوراق قمنداني قائد الجبهة مرة يرجو أن أذكره بخير عند اجتماعي بالقائد الأعلى عسكري بك الذي جاء يتفقد الجبهة».

وقال لي: «ركبت الجواد مرة فأخذ بالركاب عدد من سراة الزعماء الحاضرين، فلم يوجب ذلك في نفسي إلاّ خوف الله وخشيته، حتى أني بعد مفارقتهم، ربما دمعت عيناي؛ لأني لا أرى نفسي تستحق أقل من هذا عند الله وعند الناس».

هذه مقتطفات من سيرته العظيمة التي كان يقصها بإسهاب في مقام الشكر تارة، وفي مقام إقناع خاصته .. ينهاهم عن الاغترار بالدنيا، وعن الاعتزاز بغير الله، وربما أعادها ليعرفّهم عواقب الصبر، والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى.

وبالطبع كانت تلك مواقفه رغم صغر سنة، ولم يكن بعد قد

(١) الحسيني، أحمد: الإمام الحكيم السيد محسن الطباطبائي: ٧٨.

تصدى للعلمائية فضلاً عن المرجعية، ولكن كان في الجانب العلمي نابهاً ذكياً وفي مرة قد نازع أستاذه السيد محمد سعيد الحبوبي في مسألة وتصلب في الجدل، فقيل للحبوبي في ذلك، فقال: «إنّه أعلم مني، ولكني لو قلت ذلك للناس لم يقبلوه مني لصغر سنه»[1].

٤ ـ حركة الجهاد الثانية:

بعد دحر القوات البريطانية في موقع الكوت، بعثت روح الأمل في نفوس العثمانيين من جديد، وقبل هذا النصر كان العثمانيون يعيشون حالة اليأس والتذمر، وقد بلغ التشاؤم بين الأتراك أقصاه في أيلول وتشرين الأول ١٩١٥م عندما كانت قوات طونزند تزحف نحو الكوت مستهدفة بغداد، في هذه الفترة خطر لبعض المسئولين أن يلجأوا إلى دعوة الجهاد مرة أخرى عسى أن تنفع في الدفاع عن بغداد، وقد ارتأى المسئولون في هذه المرة أن تكون دعوة حركة الجهاد تحت شعار جديد هو (العلم الحيدري الشريف) وكأن الأتراك أرادوها شيعية ليس مثلما كانت في الأُولى ذات صبغة إسلامية عامة، وقد أوفدت الحكومة العثمانية القائد محمد فاضل الداغستاني على رأس مجموعة كبيرة من الخيالة، وقد شارك في هذه الحركة الثانية كل من السيد محمد

(١) المصدر السابق نفسه: ٧٦.

بن السيد كاظم اليزدي والشيخ محمد جواد الجزائري والشيخ فتح الله الأصفهاني والسيد هبة الدين الشهرستاني والسيد علي التبريزي، ثم توجه العلم الحيدري الشريف إلى بغداد، وفي بغداد زار علماء الشيعة علماء الأعظمية وألقى الشيخ أحمد الشيخ داود دعاءً أمّن عليه الحاضرون.

في هذه الفترة تحركت القوات الروسية إلى إيران واحتلت كرمنشاه، واقتربت من مدينة خانقين، فاضطربت بغداد بذلك اضطراباً شديداً ومن ثم غادر العلماء موقع الكوت ـ بعد أن أرسلتهم الحكومة العثمانية لإعلان الجهاد في إيران ـ فمنهم من توجه إلى الكاظمية ومنهم من ذهب إلى الغراف لمعاونة الشيخ خيون العبيد رئيس عشيرة العبودة الذي كان مشغولاً بمحاربة القوات البريطانية، وكان على رأس من ذهب إلى الغراف السيد علي التبريزي.

أما القوات الإنجليزية فأنها بعد أن انكسرت في جبهة الكوت حاولت تعزيز موقفها، مما جعل القوات أكثر فاعلية وسيطرة في هذه المنطقة، ففي ١١ آذار ١٩١٦م شنَّ الإنجليز هجوماً شديداً على العشائر التي كانت بقيادة القائد محمد فاضل الداغستاني.

هذا الهجوم فاجأ العشائر فجراً بإطلاق النار، فانسحبت نحو نهر الغراف، وقد هلك عدد كبير منهم، وقد خلّف هذا الهجوم انكساراً فظيعاً في صفوف العشائر.وجحافل من الجيش التركي

وحينئذ هب الداغستاني يريد إثارة حمية العشائر للصمود تجاه الهجوم الإنجليزي، وقد ذكر الوردي أن الداغستاني: «رمى كلاوه على الأرض وأخذ يلطم رأسه، ثم أسرع إلى فرسه يريد امتطاءها، وبينما هو يضع رجله في الركاب سقط ميتاً»[1].

أسباب النكسة (الانكسار):

كان لكل معركة من تلك المعارك أسباب ونتائج، وتختلف الواحدة عن الأُخرى حسب طبيعة الوضع السياسي والوضع العسكري، إضافة إلى متطلبات آنية لساحة المعركة، ولكن على الإجمال نذكر الأسباب الظاهرة والمشتركة في كل معركة تقريباً، ومنها:ـ

١ـ التعنت والغرور لبعض العسكريين الأتراك.

٢ـ التململ والتذمر في صفوف العشائر؛ سواء كان ذلك من جراء البعد في الفترة الزمنية من معركة إلى أخرى، أو كان ذلك نتيجة المعاملة السيئة من قبل الأتراك.

٣ـ أسلحة القوات العثمانية قديمة، وغير متطورة قياساً لحداثة الأسلحة البريطانية.

٤ـ جواسيس الإنجليز المنبثين في صفوف المجاهدين.

---

(١) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٤:٢٤٥.

٥ ـ ثورة النجف:

بعد دخول القوات البريطانية إلى بغداد في الحادي عشر من شهر آذار سنة ١٩١٧م رأوا من حسن السياسة والمصلحة ترك بعض مدن الفرات الأوسط، ولاسيّما مدن العتبات المقدسة تدار من قبل زعمائها وشيوخها، كما كانت في الأيام الأخيرة لحكم العثمانيين في العراق[١].

ظهرت في مدينة النجف الأشرف ـ بعد الاحتلال ـ جمعية إسلامية سرية تدعى جمعية النهضة الإسلامية، استهدفت تخليص العراق من براثن السيطرة البريطانية، وبث الوعي السياسي في صفوف المسلمين لمحاربة الكافرين، ومن أعضاء هذه الجمعية العاملين: السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد علي الدمشقي، والسيد إبراهيم البهبهاني والشيخ عباس الخليلي، وكان الخليلي من أشدّ الأعضاء حماسة وأكثرهم حركة[٢].

نشطت الجمعية في توزيع المنشورات ولصق الإعلانات المنددة بسياسة الاحتلال البريطاني، وانتهاز كل مناسبة للتشهير بسوء

(١) الحسني، السيد عبدالرزاق: ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال: ٩ الهامش رقم٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٣.

إدارة الاحتلال، ثم أنّها حاولت توسيع نطاق عملها بنشر دعوتها بين القبائل المحيطة بالنجف والكوفة وأبي صخير والشامية، وبين حملة السلاح من أهالي النجف.

وقد انضم إليها من الشيوخ كل من: الشيخ مرزوگ گ العواد رئيس العوابد، والشيخ ودّاي رئيس آل علي، والشيخ سلمان الفاضل رئيس الحواتم، وأما من حملة السلاح النجفيين؛ البعض من: آل صبي، وآل غنيم، وآل شبع، وآل كرماشه، وآل الروازق، وآل العكايشي، وآل الحاج راضي، وآل أبو گلل، وآل عدوة.

فأصبحت جمعية النهضة الإسلامية تمتلك خطاً قيادياً فكرياً يتمثل بتواجد بعض العلماء، وآخر صدامياً يتمثل بحملة السلاح.

قرر أبطال الجمعية[1] قتل الكابتن البريطاني (مارشال) في (خان عطية) الذي اتخذه مقراً له، وانقسموا إلى ثلاثة أقسام لتنفيذ هذه العملية الاقتحامية:

القسم الأول: كان بقيادة الحاج نجم البقّال.

(١) وهم: ١ـ الحاج نجم البقال. ٢ـ محسن أبو غنيم. ٣ـ سعيد العامري. ٤ـ شمران العامري. ٥ـ عبد حميمة النداف. ٦ـ مجيد الحاج مهدي دعيبل. ٧ ـ حميد عيسى حبيبان. ٨ـ عبد الحمامچي . ٩ـ السيد جاسم طبار الهوا. ١٠ـ صادق الأديب. ١١ـ حسن جوري. ١٢ـ خطار بن سلمان البدري. ١٣ـ جودي ناجي. ١٤ـ حبيب بن جاسم خضير. ١٥ـ حميد أبو السبزي. ١٦ـ السيد جعفر الصائغ. ١٧ ـ علوان أبو دليهم الفتلاوي. ١٨ـ السيد مجيد طبار الهوا.

القسم الثاني: اتخذ منهم كمائن في أماكن السراي المهملة.

أما القسم الثالث: فبقي في المدابغ قبال (خان عطية) قوة احتياطية.

وقد أقدم الحاج نجم البقّال في ١٩/ آذار / ١٩١٨م إلى (خان عطية) وهو يحمل رسالة معنونة باسم الكابتن مارشال، وعليها إشارة (مستعجل جداً)، وطرق باب الخان، وما كاد الحارس يفتحها حتى عاجله محسن أبو غنيم بطعنه بالخنجر فأرداه قتيلاً، وقتل حارساً آخر، وقد أجهز الحاج نجم على الكابتن مارشال وأرداه قتيلاً أيضاً، ولاذ الجميع بالفرار بعد أن أطلق الحراس في أعلى (الخان) النار على الجميع واستشهد أحد المجاهدين (حسن جوري)، وجرح آخرون: (صادق الأديب، حميد عيسى حبيبان، حبيب جاسم خضير)[1].

حاول النجفيون إبعاد مسئوليتهم عن هذه العملية، وأخذت بالكتمان والسرية، وقد حاول بلفور الحاكم العسكري في الشامية والكوفة الاقتناع بأن العملية لم تكن من أهالي مدينة النجف؛ وإنّما من عصابات خارج المدينة، ولكي يظهر النجفيون له صدق ادعائهم، دعوه إلى جولة في شوارع وأسواق المدينة، إن كان هناك أثر يدل على اشتراك أهالي المدينة بالعملية، وفي الوقت الذي كان

(١) الحسني، السيد عبدالرزاق: ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال: ٣٠.

فيه بلفور يتجوَل في شوارع المدينة، تحرش أفراد من الشرطة المسلحين الذين كانوا يتجولون في محلة المشراق بأولاد الشيخ سعد الحاج راضي رئيس هذه المحلة، وهم الأخوة أحمد ومحسن وكريم واسمعوهم بعض الكلمات النابية، وكان هؤلاء الأخوة أعضاء في جمعية النهضة الإسلامية وقد عزَّ عليهم تخلفهم في العملية الأولى بقيادة الحاج نجم البقّال، فأطلقوا عياراتهم النارية صوب الشرطيين، فخرا صريعين، وكان بلفور لا يزال يتجول في شوارع المدينة، وقد جفل حين سمع أزيز الرصاص، وعلم بمقتل الشرطيين، وفرّ هارباً إلى الكوفة، فهجم أهالي المدينة على دار الحكومة القديمة في البلدة بعد فرار حاميتها وحراسها، وهكذا استبد الثوار بالمدينة وخلا جوها لهم بهذه السرعة، على أن جلّهم من أهل المشراق، أما بقية الأحياء فلم يشترك أول الأمر أحد منهم بالثورة[1].

أما موقف الحكومة البريطانية من هذين الحادثين فإنّها أوفدت جيوشها إلى المناطق القريبة والبعيدة عن المدينة، وقد ضربت القوات البريطانية حصاراً على المدينة قارب الخمسين يوماً.

بعد حادثة قتل الشرطيين ومحاولة قتل بلفور، تكشف سِّر

(١) المصدر السابق: ٣٤، نقلاً عن العلاّمة محمد رضا الشبيبي في (مجلة الثقافة الجديد) ٢٩٤/٤ / تموز / ١٩٦٩م.

الحادثةَ الأولى في مصرع الكابتن مارشال، ولم يبق سراً دفيناً في صدور القائمين به.

أخذت القوات البريطانية بقصف محلة المشراق في مدينة النجف مع سياسة التحفيز بالقبض على الثوار الذين ساهموا في العمليتين، وذلك عن طريق بذل الجوائز والهدايا لمن يعثر على أحدهم.

استطاع البريطانيون السيطرة على المدينة بعدة عوامل؛ منها: الحصار الأليم الذي دام خمسين يوماً، وانتهاج السياسة البريطانية مع أهالي النجف وهي: الترغيب والترهيب، وكذلك استخدامها للقوة العسكرية في تخريب ما يقارب الخمسمائة بيت من جراء القصف[١].

بعد أن تمكن البريطانيون من إلقاء القبض على الثائرين، أقاموا محكمة علنية وباللغة العربية على جسر الكوفة، قررت فيها إعدام (١٣) متهماً، وحبس (٧) وأبعاد (١٢٣) رجلاً إلى الهند بوصفهم أسرى حرب، وقد أبدل القائد العام حكم الإعدام بحق (عزيز الأعسم)[٢] إلى السجن المؤبد، وتمكن آخر من الإفلات والنجاة

(١) المصدر السابق.

(٢) ينقل الحسني في المصدر السابق: ٧٦، أنه كان أحد المحكومين بالإعدام، وأنه وجد أصحابه يثقبون جداراً في زنزانة السجن للهرب بأنفسهم، فلفت نظر المسئولين إلى عملهم هذا، فكافأته الحكومة عليه بإبدال الإعدام إلى النفي إلى الهند.

بنفسه، نفذ حكم الإعدام فجر الثلاثاء ٣٠ مايس ١٩١٨م في خان الحاج محسن شلاش في جسر الكوفة بحق (١١) شخصاً[١]، ومن ثم قررت القوات البريطانية المحتلة إبعاد مجموعة من الثوار إلى الهند[٢].

وقد عمدت السلطات الإنجليزية إلى تنفيذ أحكام الإعدام أمام حشدٍ من الناس الذين أرغموا على الحضور لرؤية مشهد التنفيذ، وذلك لبث الخوف في نفوسهم، أما زعيما جمعية (النهضة الإسلامية)، الشيخ جواد الجزائري، والسيد محمد علي بحر العلوم، فقد حكم عليهما بالإعدام، ولم ينفذ الحكم بهما بعد توسط آية الله السيد تقي الشيرازي، وشيخ المحمرة الأمير خزعل، وأستبدل الحكم بنفيهما إلى خارج العراق[٣].

(١) وهم: ١ـ كريم الحاج سعد. ٢ـ أحمد الحاج سعد. ٣ـ محسن الحاج سعد. ٤ـ سعيد مملوك الحاج سعد. ٥ـ كاظم صبي. ٦ـ محسن البوغنيم. ٧ـ عباس علي الرماحي. ٨ـ علوان علي الرماحي. ٩ـ الحاج نجم البقال. ١٠ ـ جوري ناجي. ١١ ـ مجيد الحاج دعيبل.

(٢) أنظر قائمة الأسماء في الملحق رقم (١).

(٣) الأسدي، حسن: ثورة النجف: ٣٤٢، ٣٤٨.

الفصل الثاني

ثورة العشرين

بعد أن استقر الوضع في العراق لصالح القوات البريطانية، وبسطت نفوذها الكامل على مناطق العراق، وبالخصوص بعد احتلال مدينة بغداد في فجر اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الأُولى سنة ١٢٣٥هـ والحادي عشر من شهر آذار عام ١٩١٧م، أعدت الدوائر البريطانية منشوراً ليذاع على أهالي بغداد من قبل القائد العسكري (مود)، و يعتقد أن الجنرال (مود) لم يؤخذ رأيه في هذا المنشور، ولكنه أذاعه على كره منه، وأن ما جاء فيه من وعود جعل العراقيين يتأملون في البريطانين خيراً، خاصة ما جاء فيه: «الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو وإخراجه من هذه الصقاع، فإتماماً لهذه المهمة، وجهت إليَّ السلطات العليا المطلقة على جميع الأطراف التي يحارب فيها جنودنا، إلاّ أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنـزلة قاهرين أعداء؛ بل بمنـزلة محررين»[1].

بالطبع هذه الوعود لم تخلُ من القدرة على امتصاص غضب الجماهير المستنكرة لاحتلال البريطانيين أرض الرافدين المقدسة.

---

(١) الحسني، السيد عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى: ٣٢، الطبعة السادسة الموسّعة.

وقد رأى العراقيون في مقطع آخر من المنشور الطموح القومي لوحدة العرب، وإن كان قبال ذلك مطامع بريطانيا المعلنة في ما يشبه عملية مقايضة بين الشعب العراقي والحكومة البريطانية، وكأنها تبدو في لهجتها الخطابية السياسية نوعاً من الصدق ونوعاً من المعاهدة بين الطرفين!!.

فقول مود في المنشور في فقرته الأخيرة: «... أنني مأمور بدعوتكم بواسطة أشرافكم والمتقدمين فيكم سناً وممثليكم إلى الاشتراك في إدارة مصالحكم الملكية لمعاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش، كي تناضلوا مع ذوي قراباتكم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً في تحقيق طموحاتكم القومية»[1].

الوعود السياسية التي قطعتها بريطانيا، لم تنفذ، وقد كان

(١) المصدر السابق: ٣٢.

بعد نهضة العلماء (في حركة الجهاد) ونهضتهم الثانية في منطقة سلمان باك تحت لواء العلم الحيدري، كانت الدوائر البريطانية تعي خطورة هذه المواجهة، وتعي النفوذ والتأثير لمسببي هذه الحركة، فهم وضعوا بحساباتهم التأثير العلمائي في التعبئة وتأثيرهم الفاعل في الوضع العراقي، لذلك حينما دخلوا بغداد، كانت حساباتهم دقيقة ومبرمجة فكلمة (طموحاتكم القومية) لم تأتِ أو توضع في المنشور اعتباطاً؛ وإنما كانت النواة الأولى في سرقة الجهود العلمائية وصرف النظر عن التأثير الديني، وإعطاء فاعلية للتأثير القومي، وهذا ما حدث فعلاً بعد ثورة العشرين، وعزوف الإدارة البريطانية عن رجال الدين واهتمامها الأول بالمؤيدين لها من ذوي النزعات الثقافية الغربية، وذوي المصالح الخاصة.

هنالك رأيان، تمثلا في مدرسة الهند (البريطانية) ومدرسة (القاهرة) البريطانية، فالإدارة البريطانية في الهند كانت تتبنى اتخاذ سياسة متشددة ضد العراقيين، وتكاد تمثل الموقف المتصلب، فيما الإدارة البريطانية في القاهرة كانت تدعو إلى اتخاذ سياسة مرنة نوعاً ما وأقل تصلباً من السياسة البريطانية في الهند، وقد كان لهذه المدرسة (الهند) تأثيراً فاعلاً في سياسة العراق إجمالاً، فقد وضعت السياسة البريطانية نظاماً لجباية الأموال الأميرية من الحاصلات الزراعية، فوافق عليه رؤساء العشائر، وقد أبدت السلطات البريطانية نوعاً من السماح والتساهل في هذا النظام، وعندما أعلنت الهدنة تغيرت السياسة البريطانية تجاه هذا النظام بالذات؛ حيث انتفت الحاجة الى المصانعة، وقد ظنوا أنّهم استمالوا شيوخ العشائر إليهم، فقد فرضوا بعد ذلك ضرائب ورسوماً لا يقرّها واقع الحال، ولا يرتضيها الوجدان، وقد مارس البريطانيون سلب الناس أموالهم واستنـزاف ثرواتهم بطرق ملتوية غير مشروعة، والأنكى من ذلك أنهم تفننوا بجمع الضرائب وفرضها على الشعب، فحتى الموتى لم يسلموا من الضريبة، ووضعوا رسوماً على من يدفن في الحضرة الحيدرية رسم قدره (٧٥٠ ربية) و (٦٢ ربية) لمن يدفن في الطارمة و (٣٢ ربية) في الغرف المطلة على الصحن، أما في وادي السلام فكان (٦ ربيات)[١].

(١) الحسني، السيد عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى: ١٦١.

هذه السياسة خلقت تذمراً واستياءً في نفوس الشعب بمختلف طبقاته، وهذا التذمر لا يخلو من كونه مرحلة مهمة يمكن توظيفها للتصدي والوقوف بوجه هذا المستعمر.

ا ـ الأثر العلمائي في التعبئة:

العلماء الحركيون لم يقفوا مكتوفي الأيدي، ولم يبتعدوا عن الحدث السياسي، رغم إخفاق الحركة الجهادية، فقد كان التشاور والرسائل بين بغداد والنجف متواصلة (واسفار العاملين على بعث التذمر في النفوس في المدينتين غير منقطعة)[1].

فاتصال العلماء برؤساء العشائر كان مستمراً ومتواصلاً ومنصباً في جانبين؛ الجانب الديني المتمثل بإطاعة رؤساء العشائر لعلمائهم في مجالي المعاملات والعبادات، والجانب السياسي المتمثل في الرؤية المشتركة لمحاربة الإنجليز، لاسيما وإن السياسة البريطانية خلقت تذمراً واسعاً في صفوف العشائر ورؤسائها، وقد استثمر هذا التذمر طبقة كبيرة من العلماء العاملين في احتضان رؤساء العشائر المؤثرين في أوساط مجتمعهم من حيث التعبئة والطاعة لعلمائهم.

الطبقة العلمائية الفاعلة ضمنت موقف العشائر معها فيما لو

(١) المصدر السابق.

توفرت الظروف لإعلان الثورة بوجه البريطانيين المحتلين.

وفي أواخر شهر جمادى الأولى من عام ١٣٣٨هـ تم اجتماع سري في مدينة النجف ضمَّ وجوه ورؤساء العشائر، وبعض الوطنيين وعلماء فاعلين عاملين، وقد شاءت الأقدار أن هؤلاء المجتمعين هم ذاتهم كانوا زعماء في حركة الجهاد، وهم الآن زعماء أوائل في ثورة العشرين، ووضعت في هذا الاجتماع سياسة السلطة البريطانية المحتلة قيد المناقشة فتقرر:

١ـ نشر دعوة واسعة النطاق للثورة والاستعداد الكامل لمجابهة الطواغيت، وبالخصوص بين رؤساء القبائل لنبذ الخصومات، وتوحيد الكلمة.

٢ـ عهد الاجتماع السري إلى بعض الخطباء بمهمة نشر دعوة الثورة في المناطق الوسطى والجنوبية؛ كالشيخ محمد علي القسّام، والشيخ باقر الحلي، والشيخ محسن أبو الحب، وغيرهم.

هذا الاجتماع يعتبر الركيزة الأولى الممهدة لاندلاع الثورة.

وفي يوم الخامس عشر من شعبان من ذات العام ١٣٣٨هـ وعلى العادة السنوية ـ قصد مدينة كربلاء للزيارة الشعبانية ـ ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ جمع كبير من رؤساء العشائر وزعماء الدين وسادات العشائر، فعقد اجتماع تمهيدي في دار السيد أبو القاسم الكاشاني برئاسة نجل آية الله السيد الشيرازي الشيخ محمد

رضا، فيما عقد اجتماع آخر بحضور آية الله الشيرازي (محمد تقي الحائري الشيرازي)، وتحت رئاسته مباشرة، وفتح النقاش حول الثورة، فانتبه السيد الشيرازي وقال: «إنَّ الحمل لثقيل فأخشى أن لا تكون للعشائر قابلية المحاربة للجيوش المحتلة»[1]، فأكد الحاضرون أن الثورة لابدَّ منها وإن كنّا لا نرغب في الحرب، ولكن السيد تردد في إعطاء الحسم، اعتقاداً منه أن الحمل ثقيل، فقال: «أخشى أن يختل النظام، ويفقد الأمن، فتكون البلاد في فوضى، وأنتم تعلمون أن حفظ الأمن أهم من الثورة؛ بل وأوجب منها»، فأجابه الحضور بتمكنهم من حفظ الأمن، فقال: «إذا كانت هذه نياتكم، وهذه تعهداتكم، الله في عونكم»[2].

وفي ليلة ١٦ شعبان ١٣٣٨هـ اجتمع هؤلاء الزعماء في دار السيد نور الياسري في محلة السلالمة، ثم في الحضرة الحسينية، حيث أدوا اليمين وعاهدوا الله ورسوله وفرقانه المبين على أنّهم لا يدخرون وسعاً لإنقاذ بلادهم من البريطانيين المحتلين، وقد تمثل حضور الزعماء كالعلامة الشيخ عبدالكريم الجزائري، والزعيم البغدادي محمد جعفر أبو التمن والسيد محمد علي هبة الدين، والسيد نور السيد عزيز الياسري، والسيد علوان السيد عباس والسيد هادي آل زوين، ومن الرؤساء شعلان ابو الچون وغثيث

(١) الوردي علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٥: ١٢٨ (القسم الأول).
(٢) المصدر السابق: ١٢٩.

الحرچان والشيخ عبد الواحد آل سكر والشيخ شعلان الجبر والسيد عبدالوهاب آل طعمة وعمر العلوان، ومهدي القنبر وطليفح الحسون ورشيد المسرهد وعبدالكريم العواد ومجبل آل فرعون وعلوان الحاج سعدون وعبادي الحسين ومرزوگ العواد وشعلان العطية وقاطع العوادي ومحمد رضا الصافي ومحسن أبو طبيخ.

هذه الاجتماعات الثلاثة الأخيرة في منتصف شعبان قرر المجتمعون فيها إعلان الثورة في مواضع مختلفة في يوم واحد ليتمكنوا من مشاغلة القوات الإنجليزية في ميادين مختلفة، وكلّفوا الشيخين: شعلان أبو الچون، وغثيث الحرچان ان يستعدا للقاء في السماوة وان يحرّضا الرؤساء على الانضمام تحت هذا اللواء المقدس[1].

هذه الأحداث تظهر بشكل قاطع أن دور العلماء كان دوراً رئيسياً في تعبئة الجماهير، وهم الذين استطاعوا ان يوظفوا التذمر والنفور في نفوس العراقيين تجاه الحكومة المحتلة توظيفاً صحيحاً ومثمراً، ومن ثم استطاعوا الموازنة والسيطرة على أغلب الأحداث، وبالخصوص آية الله السيد الشيرازي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، فقد كان لحكمتهما أثر في موازنة الأحداث،

(١) الحسني، السيد عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى: ١٦٥.

وبالخصوص قبل اندلاع الثورة في الرميثة، وبالذات في فترة اعتقالات ونفي الأحرار من أهالي مدينة كربلاء إلى جزيرة هنجام الهندية، فقد كانت نصائح شيخ الشريعة الأصفهاني إلى حاكم الحلة (البريطاني) ذات حكمة في تحذيره من مغبة هذا العمل، ولكن الحاكم البريطاني لم يأخذ بهذه النصائح التي أوردها شيخ الشريعة بكتب رسميّة موقعة من قبله، فهذه النصائح لا تخلو من كونها موازنة في أسلوبي الترغيب والترهيب، وحتى حينما اندلعت ثورة الرميثة كان لشيخ الشريعة مواصلة مستمرة في كتبه إلى حاكم الحلة وحاكم الشامية البريطانيين، وأغلب كتبه كانت تحذّر البريطانيين من المستقبل الذي لا تحمد عقباه، إذا لم تتراجع الحكومة البريطانية عن قرارها بإعادة المنفيين ومن جملتهم ابن آية الله السيد الشيرازي الشيخ محمد رضا.

وقد ذكرت المصادر التأريخية تشكيل مجلسين لقيادة شؤون الثورة، سمي الأول بـ (المجلس الحربي الأعلى)، وقد تألف من خمسة علماء ـ هم كل من السيد هبة الدين الشهرستاني، والسيد أبو القاسم الكاشاني، والشيخ أحمد الخراساني والشيخ عبدالحسين، والنجل الثاني لآية الله الشيرازي، أما المجلس الثاني فهو (المجلس العلمي)، وقد ضم سادات كربلاء وبعض رؤساء العشائر وكان السيد محسن أبو طبيخ ممثلاً عن العلماء في هذا المجلس، ويذكر

أيضاً أن مجلساً ثالثاً كان قد تشكّل وسُمي (مجلس الإعانات للمعوزيّن من الثوار)[1]، هذان المجلسان لا يستبعد إنشاؤهما في الاجتماع السري الذي عقد في الخامس عشر من شعبان، وبالذات في دار السيد نور السيد عزيز الياسري، وهناك احتمال آخر هو: تأسيسهما بعد أحداث كربلاء التي تم فيها إبعاد الأحرار إلى جزيرة هنجام.

وقد تولى مهمة الإشراف على هذين المجلسين آية الله محمد تقي الشيرازي[2]، وقد حددت صلاحيات كل منهما ـ المجلسين ـ فالمجلس الحربي له التوجيه وقيادة الأعمال والشؤون العسكرية، فيما كان المجلس العلمي يدير الشؤون السياسية والإدارية العامة وتنظيم شؤون الأهالي، وكان من أبرز أعماله تشكيل مجلس إدارة كربلاء وتعيين السيد محسن أبو طبيخ متصرفاً للواء، وطليفح الحسون مديراً عاماً للشرطة، وخليل عزمي مديراً للتحرير[3].

أما في مدينة النجف، فبعد وفاة آية الله الشيرازي، تولى آية الله شيخ الشريعة منصب المرجعية العليا، فكانت النجف تدعى (عاصمة الثورة)، فقد أُنشئت فيها ثلاث هيئات: (المجلس

(١) الطعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء: ٣٩٧ ـ بيروت ١٩٨٣ م ط ٣.

(٢) الحسني، السيد عبدالرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب: ٢٧٨.

(٣) كمال الدين، محمد علي: ثورة العشرين في ذكراها الخمسين ـ معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م: ١٧٨.

البلدي)، (هيئة القوة التنفيذية)، (الهيئة العلمية الدينية العليا)، فالأولى حددت في جباية الضرائب والرسوم والإشراف على الشؤون الصحية والبلدية والاقتصادية والأمنية، أما الثالثة فقد ضمت أعيان المدينة وزعماءها المحليين.

أما الثالثة فقد ترأسها شيخ الشريعة نفسه، وضمت في عضويتها خمسة عشر عالماً بارزاً من علماء النجف[1]، وقد كان لهذه الهيئة موقع قيادي محلي قبل وفاة آية الله الشيرازي، أما بعد تولي آية الله شيخ الشريعة المرجعية العليا وقيادة الثورة، فقد أصبحت هذه الهيئة (الثالثة) بمثابة مجلس استشاري تنفيذي أعلى للثورة، فيما يتعلق بالسياسة العامة للثورة داخل النجف أو خارجها، أما (المجلس الحربي الأعلى) فقد استبدل بهيئة جديدة سميت (القيادة العليا للثورة) ووضعت تحت إشراف آية الله شيخ الشريعة في النجف، وقد ضمت العديد من كبار رؤساء العشائر، وعهدت قيادتها المباشرة إلى الشيخ محمد العبطان رئيس عشيرة الخزاعل[2].

أما باقي المحافظات التي تم تحريرها من الاحتلال، فقد تشكلت فيها (مجالس محلية) لتنظيم شؤون الأهالي، وكان رؤساء العشائر الذين يتصدرون عضوية هذه المجالس يفصلون

(١) الحسني، عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى: ١٦٠.

(٢) المصدر السابق: ٢٧٧ ـ ٢٧٩.

بالمنازعات طبقاً للأحكام الشرعية.

وقد كان توليَ آية الله الشيرازي ومن بعده شيخ الشريعة إسهاماً فاعلاً في إدارة الأمور العسكرية، والأمور السياسية للثورة، فقد كان هناك تبادل بالرسائل والتقارير التفصيلية من أعضاء قادة الثورة الميدانيين، والمرجعية الدينية العليا، وقد ذكر الباحث عبدالشهيد الياسري: «إن المرجعية كانت تطّلع على سير المعارك وتقدم توجيهاتها، وكمثال على ذلك التقرير الذي بعثه السيد علوان الياسري إلى آية الله الشيرازي عن الوضع في (الرميثة) بعد اندلاع الثورة فيها[1]، وكذلك الرسالة التي بعث بها شيخ الشريعة إلى السيد هادي المگوطر يوصيه فيها بالتأليف بين المسلمين وبكيفية التصرف بالأسلحة والعتاد لديه، والاحتفاظ بآلات الحرب الحديثة[2]».

ولم يتحدد دور العلماء بهذا النشاط السالف الذكر، وإنّما قام البعض منهم بالتوجه إلى جبهات الحرب للإشراف على العمليات العسكرية والمشاركة في القتال، فقد توجه السيد أبو القاسم الكاشاني، والشيخ جواد الجزائري، والسيد هبة الدين

(١) الياسري، السيد عبدالشهيد: البطولة في ثورة العشرين: ٢١٧.

(٢) الرهيمي، عبدالحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق؛ الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤م) : ٣١٥.

الشهرستاني وقادوا العمليات العسكرية ـ مباشرة ـ ضد القوات البريطانية[١]، وقد توجه كذلك الشيخ محمد نجل المجتهد حبيب الله والشيخ عبدالحسين مطر لاستنهاض العشائر في جبهة الناصرية والقتال معها[٢].

أما في دور التعبئة والتوجيه فقد أنشأت (الهيئة العلمية الدينية العليا) لجنة أسمتها لجنة (إرشاد ودعاوة)[٣] للإشراف على ما يصدر من منشورات وبلاغات[٤] تصدر عن الهيئة العليا، وقد عكست هذه المنشورات المضمون الإسلامي للثورة الذي تجلى من خلال الإشراف المباشر للعلماء على إعلام الثورة وتوجيهه، كما كان للخطباء والشعراء تأثير بارز في جعل المساجد والحسينيات مراكز للتعبئة الدينية السياسية، كما كان لهم تأثير في المناطق القبلية في وسط وجنوب العراق.

أما على مستوى الصحافة ـ بإشراف الهيئة العليا لعلماء الدين ـ فكانت هناك صحيفتان هما صحيفة (الفرات الأسبوعية)، التي كان يترأسها الشيخ باقر الشبيبي، وقد صدر منها خمسة أعداد[٥]،

(١) الياسري، عبدالشهيد: البطولة في ثورة العشرين: ٢١٨.

(٢) الحسني، عبدالرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب: ٢٥٢.

(٣) الفياض، عبدالله: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م: ٢٧٦.

(٤) النفيسي، عبدالله فهد: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ١٣٨.

(٥) محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضي النجف وحاضرها ١: ٢٦٧.

والصحيفة الأخرى (الاستقلال) التي كان يشرف عليها السيد محمد عبدالحسين، وقد صدر منها ثمانية أعداد[1].

٢ ـ الشرارة الأولى من أحداث الثورة:

أجمعت المصادر التأريخية على أن الاجتماع السري في الخامس من شعبان وبتأييد وموافقة آية الله الشيرازي هو النواة الأولى للتخطيط، كما أجمعت المصادر على أن هذا الاجتماع حضره رؤساء العشائر العراقية وبالخصوص الشيخ شعلان أبو الچون وابن عمه غثيث الحرچان.

فبعد المعاملة السيئة من قبل الإنجليز لأحرار العراق وعلماء الدين، وبالخصوص بعد أن تعهدت الحكومة البريطانية في العراق بمنح العراقيين (حكومة مستقلة تضمن استقلالها عصبة الأمم

أُنظر: احمد، الدكتور كمال مظهر: صفحات من تاريخ العراق المعاصر دراسات تحليلية: ١٧٩ (احتجبت صحيفة الفرات عن الصدور لمدة ١٨ يوماً بعد صدور عددها الرابع ولم تشر في عددها الخامس إلى سبب احتجابها، وتوقفت عن الصدور بعد عددها الخامس الذي صدر يوم الأربعاء ٢ محرم عام ١٣٣٩هـ، ١٥ أيلول ١٩٢٠م ولم يعرف ـ حتى الآن ـ سبب ذلك، ولكن لم تمر سوى ١٦ يوماً حتى حلّت (الاستقلال) محلها.

(١) محمد عبدالحسين: هو أحد المثقفين الإسلاميين العاملين في الكاظمية، وقد انتقل إلى النجف أثر عملية القمع التي شنتها سلطات الاحتلال ضد (الحكومة الوطنية) في بغداد بدءً من ١٢ آب ١٩٢٠م، ما جاء في هامش ١٩٥ صفحة ٢٢٧ من كتاب (تاريخ الحركة الإسلامية في العراق) لعبدالرحيم الرهيمي.

وتوكل بريطانيا وكالة بها)[1]، فقد نشر بيان الإنجليز في يوم ١٧ حزيران عام ١٩٢٠م إلاّ أنّها في يوم ٢٠ حزيران بعد أن شكك العراقيون بهذه المواعيد المعسولة، لا سيما وأن مواعيد الإنجليز كثيرة ولم تطبق، أخذ الأحرار من العراقيين بتنظيم مظاهرات صاخبة في صحني الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام فقامت القوات البريطانية باحتلال المدينة وإلقاء القبض على منظمي هذه المظاهرة، وبعد مواقف عصيبة مرت على الأهالي في المدينة من قبل قوات الاحتلال، وجه آية الله الشيرازي نداءً إلى ولده محمد رضا بتسليم نفسه مع أخوانه من أحرار كربلاء، وقد تم ذلك فاتخذت بريطانيا قراراً بإبعادهم إلى جزيرة هنجام.

وقبل أن يتخذ آية الله الشيرازي قراراً بشأن تسليمهم، رأى من الضرورة مخاطبة (الميجر بولي)، وقد تمت المخاطبة إلاّ أن (الميجر بولي) لم يصغِ لنصائح آية الله الشيرازي، ثم رأى السيد الشيرازي أن يكلّمه بالحسنى، وأن يذّكره بعاقبة العمل الذي ينوي الإقدام عليه فكتب إليه:

«إلى حاكم سياسي الحلة الميجر بولي.

قرأنا كتابكم، وتعجبنا غاية العجب من مضمونه، حيث أن جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة

(١) الحسني، عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى / ١٧٢ هامش٧.

لحياتهم، من الأمور غير المعقولة، ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه، ويحتمل أن يكون الأشخاص الذين يقصدون الإفادة من إيجاد الخلاف بين أهالي العراق والإنجليز هم الذين غشوكم لينالوا بواسطته مقاصدهم، وفي الليلة الماضية أردت مقابلتكم لرفع الشبهة من نفسكم، كي لا تغفلوا عن هذه النكتة، ولكنكم امتنعتم عن ذلك، وان نظرياتنا في أمور المملكة أصلح وأنفع من سوق الجيوش واستعمال القوة الجبرية.

وأدعوكم عجالة لأبلغكم: أن توسلكم بالقوة في قبال مطالب البلاد واستدعاءاتها مخالف للعدل، ولإرادة البلاد، وإذا امتنعتم عن المجيء في هذه المرة أيضاً، فتصبح وصيتي للأُمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها، وأترك الأُمة وشأنها، وبهذه الصورة تقع مسئولية كل نتائج السوء عليك وعلى أصحابك.

وفي الختام لي الأمل أن تؤثر فيك هذه النصيحة، كي لا يقع ما يفسد النظام والأمن، وكي لا تكونوا سبباً لإراقة دماء الأبرياء»[1].

رغم مخاطبات آية الله الشيرازي إلى الميجر بولي، لم تنفع تلك الخطابات مع عنجهية قادة الاحتلال، وتمَّ تسفير ونفي الأحرار، ومن ضمنهم ابن الميرزا آية الله الشيرازي (الشيخ محمد رضا)

(١) الحسني، عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى / ١٧٣ ـ ١٧٤.

فلبى هؤلاء الأحرار نداء آية الله الميرزا الشيرازي، وقد أمر أن يكون ولده (الشيخ محمد رضا) أول من يسلم نفسه، وبالفعل تمّ للآخرين تسليم أنفسهم بعد أن علموا بتسليم ابن الميرزا الشيرازي وكانوا (أحد عشر) شخصاً هم:

١ـ الشيخ هادي كمونة.

٢ـ محمد شاه هندي.

٣ ـ عبدالكريم عواد.

٤ـ عمر الحاج علوان.

٥ـ عثمان الحاج علوان.

٦ـ عبدالمهدي قنبر.

٧ ـ أحمد قنبر.

٨ ـ محمد علي الطباطبائي.

٩ ـ الشيخ كاظم أبو اذان.

١٠ ـ إبراهيم أبو والده.

١١ ـ السيد أحمد البير[١].

لم يكتف البريطانيون بتهجير الأحرار؛ وإنما حاولوا إلقاء القبض على الشيخ عبدالكريم الجزائري والسيد نور الياسري

(١) الحسني، عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى / ١٧٥.

والسيد علوان السيد عباس الياسري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر، والحاج عبدالمحسن شلاش، من خلال دعوتهم للقاء حاكم الحلة، وقد فسَّر هذا اللقاء على أنه استدعاء، لكن الميجر نور بري حاكم النجف والشامية، ومعه حميد خان، عارضا اتخاذ مثل هذا التدبير، لأن مدينة النجف كانت تتظاهر بالهدوء والسكينة، وخوفاً من ان يفلت زمام الأمور في مدينة النجف من يد السلطة[1].

بعد هذه الأحداث استبدل آية الله الشيرازي فتواه الأولى التي نصت على وجوب المحافظة والسكينة، بفتوى الجهاد لتحقيق المطالب الوطنية المشروعة، حيث أصدر فتواه الشهيرة: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم ضمن مطالبتهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز من قبول مطالبهم»[2].

هذه الفتوى التي صدرت في العشرين من شهر حزيران عام ١٩٢٠م كان لها صدى واسع في أوساط الجماهير، فهي نقضت وأبطلت فتواه الأولى الداعية إلى المحافظة على الأمن والاستقرار.

كل هذه الأجواء ساهمت وبلورت وسارعت في انطلاق

(١) المصدر السابق: ١٧٨.

(٢) المصدر السابق: ١٧٩.

الشرارة الأولى للثورة التي أطلقها الشيخ شعلان أبو الچون، هذه الأحداث تنفي مزاعم القائلين بعفوية الثورة، لاسيما وأن الشيخ شعلان من الرؤساء الذين حضروا اجتماع كربلاء ١٥ شعبان، ثم أن رسل الاتصال بين زعماء العشائر والعلماء تنم عن حالة التنظيم والتواصل المستمر في إدامة روح الاستعداد والمواجهة[١].

فحينما استدعي الشيخ شعلان إلى سراي الرميثة من قبل الضابط البريطاني (هيات) ويذكر ـ في ضوء هذا الاستدعاء ـ فريق المزهر الفرعون في كتابه (الحقائق الناصعة) ان هيات استقبل شعلان بالعنف والتوبيخ واسمعه كلاماً مراً، لا يمكن لزعيم الظوالم أن يسمعه مهما كانت العاقبة سيئة، فقابله شعلان بشراسة وصلابة أشد[٢].

فيما تذهب المسل بيل في قولها: إن شعلان أبدى كثيراً من الشراسة في مقابلة هيات، بحيث أضطر هيات إلى حجزه وتوقيفه في السراي بقصد إرساله إلى الديوانية[٣].

وبعد ذلك أخبره هيات بأنه مرسل بقطار هذا اليوم إلى الديوانية، فالتفت شعلان إلى تابعه الذي جاء معه وقال له: أخبر

(١) الحسني، عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى / ٥٦ / إنَّ رسول النجف إلى الرميثة هو «رحمة الله الظالمي».

(٢) الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة: ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

(٣) المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب (ترجمة جعفر الخياط): ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

ابن عمي غثيث الحرچان بان يرسل لي عشرة ليرات عثمانية، وإنّها يجب أن ترسل قبل موعد القطار، فلما وصل إلى غثيث الخبر، عرف أنه بحاجة إلى عشرة رجال شجعان من عشيرته لإنقاذه بدلاً من عشرة ليرات، فبعثهم حالاً فهجموا على سراي الرميثة، وكان فيه أربعة جنود، قتلوا أثنين منهم وفر الآخران، فيما ذهب الملازم هيات إلى سطح السراي حاملاً مسدسين ظناً منه أن الأمر هين وسوف يقضي على المهاجمين، فرأى أن الأمر ليس كذلك، وقد تجمعت أعداد كبيرة من العشائر وهم يهزجون فرحين بانتصارهم، فنـزل هيات من السطح، وأبرق إلى الميجر ديلي في الديوانية يخبره بما حصل.

أما بالنسبة إلى شعلان فقد أيقن بأن العلاقة بينه وبين الإنجليز قد انقطعت نهائياً، فاتخذ قرار الحرب حتى النهاية واستمرت الأحداث.

وفي هذا الصدد يذكر الدكتور النفيسي[1] عن سبب استدعاء الشيخ شعلان أبو الچون من قبل الملازم هيات، وينفي الذريعة التي ذكرها البعض من المؤلفين حول عدم تسديد الديون من كلفة زراعية استحق دفعها عن السنة الماضية، ويرى ان هذا السبب (تافه غاية التفاهة)؛ وإنما حقيقة الأمر هو اعتقاد البريطانيين من اتصالات الشيخ شعلان مع علماء مدينتي النجف

(١) النفيسي، عبدالله مصدر سابق: ١٣٦.

وكربلاء، كما ان المستر ونستون تشرشل أوضح في ردّه على سؤال بهذا الصدد: «أنّه من المرجح أن تكون أسباب الثورة التي قامت في الرميثة ضد البريطانيين اهتياج أو إثارة دينية مصدرها النجف»[1].

٣ـ الـولاء الـديني للعشـائر العراقيـة وموقـف علماء الدين:

يتضح ظهور هذا العامل من خلال الأحداث الساخنة بعد انطلاق الشرارة الأولى للعشائر العراقية في مواجهتها للإنجليز، فعندما بقيت عشائر منطقة الرميثة تقاتل وحدها نحو أسبوعين دون نجدة عشائر الفرات الأوسط، مما أثار ألماً شديداً لآية الله الشيرازي في كربلاء والعلماء في النجف الأشرف.

يرجح البعض ممن كتب عن ثورة العشرين، أن فتوى آية الله الشيرازي المسماة (بالفتوى الدفاعية) التي مرَّ ذكرها سابقاً (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطاليبهم) صدرت بعد أن انطلقت الشرارة الأولى في الرميثة، وبعد أن سمع بكثرة عدد جثث القتلى المنقولة

(١) المصدر السابق: ١٣٧ عن Debates H.C.١٣-٧-١٩٢٠ Vol ١١١p. ٢١٦٢ هذا ما أكدناهُ في بحثنا(الثورات الشعبانية في العراق).

من الرميثة إلى النجف الأشرف[1].

أما نحن فنرى أن هذه الفتوى صدرت في العشرين من شهر حزيران عام ١٩٢٠م أي بعد تهجير أحرار كربلاء وقبل انطلاق الشرارة الأولى في الرميثة، وأن ما قام به الشيخ شعلان بعد احتلال عشيرته لمخفر الرميثة، أنّه جمع أفراد عشيرته وما جاورها من العشائر للصمود والوقوف بوجه قوات الاحتلال فقوله: «هل أنكم تقبلون خدمة العدو الكافر الذي يبغض العرب والإسلام؟» لم يكن قول الشيخ شعلان عفوياً وغير مدروس؛ وإنما كان كلامه ينطوي على فتوى آية الله الشيرازي، فإنّ مثل هذا الموقف الخطير لا يمكن أن يستقل به وحده دون معرفة النتائج المترتبة عليه في حالة عدم موافقة مراجع الأُمة وزعماء العشائر، فمن خلال دراسة الأحداث بدقة نرى التسلسل المنطقي والواقعي في جريانها، دون الشذوذ والابتعاد عن آراء آية الله الشيرازي ومواقف العلماء الآخرين.

أما رأي الدكتور الوردي فهو غير دقيق، وجرى في ذلك مع ما ذهب إليه الشيخ علي الشرقي من أن موقف الشيخ شعلان أبو الچون كان عفوياً من دون تخطيط سابق.

---

(١) هذا ما ذهب إليه الوردي في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٥: ٢٣٤ القسم الأول.

قرر آية الله الشيرازي بعد المشاورة مع المقربين منه من العلماء، أن يرسل وفداً إلى ويلسون في بغداد للمفاوضة بشأن إيقاف القتال حقناً للدماء، وقد اختار لهذه المهمة السيد هبة الدين الشهرستاني والميرزا أحمد الخراساني، وأرسل معهما رسالة إلى ويسلون يعرض فيها بعض الشروط:

١ـ سحب القوات الإنجليزية من منطقة القتال.

٢ـ إعلان العفو العام.

٣ـ إعادة المنفيين.

وقد اتصل موفدا آية الله الشيرازي بالقنصل الإيراني العام ليكون وسيطاً لهما عند ويلسون ومترجماً، وقد اهتم القنصل الإيراني بذلك إلاّ أن ويسلون رفض مقابلتهما وعادا إلى كربلاء خائبين[1].

وفي مدينة النجف الأشرف قام الشيخ فتح الله الأصفهاني بمحاولة التوسط لإيقاف القتال في الرميثة، فقد كتب رسالتين:

الرسالة الأولى: كانت إلى العشائر الثائرة في الرميثة يطلب منها إيقاف القتال من جانب واحد، وقد كتبت بتاريخ ٢١ شوال ١٣٣٨هـ.

أما الرسالة الثانية: فكانت مرسلة إلى ويلسون في بغداد وطلب

(١) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٥:٢٣٥ القسم الأول.

فيها حفظ الأمن العام وإطلاق سراح المنفيين.

لحدّ هذه الأحداث فإن جميع ما كتبه الشيخ الأصفهاني يمثل دعوة إلى البريطانيين لإعادة الأمن والسلام داخل العراق، ويؤكد في أغلبها على إطلاق سراح المنفيين من أحرار كربلاء، لأنه كان يرى في حالة السلم يستطيع العراقيون أن يحققوا طموحهم الموعود من قبل قوات الاحتلال والدوائر السياسية في بريطانيا.

فمن قوله في الرسالة الموجهة إلى عشائر الرميثة تؤكد ذلك: «... إنّ اللازم فعلاً السكون وترك مضادة الحكومة وسلوك الطرق السلمية والاقتصار على مطالبة الحقوق الشرعية من غير ثورة ولا فتنة حتى تقدر على استدعاء المواد السابقة الذكر من الحكومة، وإياكم أن تقابلوا الحكومة بقول أو فعل ينافي مطلوبنا ومطلوبكم، وأرجو من جميعكم عدم الخروج عن هذه الخطة إن شاء الله، ١٣٣٨هـ. ٨ تموز ١٩٢٠م»[١].

الرسالتان كتبتا في نفس التاريخ من ٢١ شوال من خلال التسلسل الزمني للوثائق المؤرخة، ومن خلال فتاوى العلماء، قد يبدو للدارس أنّ هناك عدم توافق في إعلان الثورة، كأن آية الله الشيرازي أفتى بوجوب الثورة من خلال فتواه المعروفة (الفتوى الدفاعية)، والشيخ فتح الله الأصفهاني لا يرغب بالثورة المسلحة

(١) الوردي، مصدر سابق: ٥:٢٣٧.

وإراقة الدماء، هذان الموقفان للشخصيتين يبديان حالة تناقضية في الموقف الموحد!!!.

إلاّ أنّ حقيقة الموقف للدارس الباحث لا يخرج عن إطار السياسة التي اتبعها العلماء في هذه الفترة، حيث أن الفتوى الدفاعية لآية الله الشيرازي كانت في العشرين من شهر حزيران، أي قبل اندلاع الثورة، أما ما كتبه شيخ الشريعة الأصفهاني فأنها لم تكن فتوى؛ وإنما كانت رسائل موجهة للعشائر العراقية بدليل استخدامه لكلمة (الرجاء) .. «وأرجو من جميعكم عدم الخروج عن هذه الخطة إن شاء الله»، وكانت تلك في ٨ تموز ١٩٢٠م أي بعد اندلاع الشرارة الأولى في الرميثة بثمانية أيام، حيث أن الشرارة اندلعت يوم ٣٠ حزيران، فلابد من أن الأمر لا يخرج عن اتفاق سياسي بين علماء الدين، لإظهار رغبة العراقيين أمام بريطانيا، بأنّهم ليسوا محاربين وإنما خاضوا الحرب دفاعاً عن أنفسهم، وهذا ما أكده الزعماء في اللقاء الذي تم مع آية الله الشيرازي في الخامس عشر من شعبان من ذات السنة (وإن كنا لا نريد الحرب ولا نرغب فيها)[1].

ثم أن كتاب شيخ الشريعة إلى ويلسون يدل على أنه أراد من الأخير تليين الموقف تجاه عشائر الرميثة؛ لاسيما وان قوات الاحتلال بعدتها الحديثة واجهت العشائر الثائرة في منطقة الرميثة

(١) الحسني، الثورة العراقية الكبرى: ١٦٤ الطبعة السادسة.

الذين لا يمتلكون سوى البندقية البسيطة والسلاح اليدوي (الفالة والمكوار)، وبقيت عشائر الرميثة تقاتل وحدها دون نجدة عشائر الفرات الأوسط لمدة أكثر من أسبوعين.

أما موقف العشائر وبالخصوص العشائر المحاربة الثائرة فقد كانت مطيعة لمواقف علمائها؛ حيث أنها أبدت ولاءً مطلقاً للمرجع الأعلى آية الله الميرزا الشيرازي، ملتزمة بفتواه الأخيرة (الفتوى الدفاعية)، أما ما كتبه في ٨ تموز ١٩٢٠م العالم شيخ الشريعة فإنَه كان تكتيكاً سياسياً أمام بريطانيا، لكنَ زعماء العشائر وبالخصوص الثائرة منها لم يلتزموا بهذا الكتاب، وذلك لوجود التنظيم المنّسق بين زعماء العشائر وآية الله الشيرازي، وكان شيخ الشريعة الأصفهاني عارفاً وعالماً بهذا الموقف، وهذه الأحداث هي مصداق للآراء التي تثبت عملية التنظيم والتخطيط لأحداث الثورة، بعيداً عن اتهامها بالنعرات العصبية وفقدان هويتها وحقيقتها، أو ما ذهب إليه البعض من عفويتها.

تعقيب

من خلال هذا الأستعراض لأحداث الثورة العراقية الكبرى، وبالخصوص دور المرجعية وعلماء الدين، يتضح الإخلاص والصدق في إعطاء المصاديق الفاعلة لمبادئ الشريعة السماوية، إضافة إلى تبيان الدور الحقيقي لقيادة الثورة المتمثلة بالمرجعية،

التي أظهرت موقفها الصريح المستمر في متابعة قيادة الأحداث الجسيمة والجريئة في الحفاظ على وحدة تراب هذا الوطن ولُحمة المجتمع.

هذه المواقف الصريحة لن تعطي منفذاً ولو جزئياً لبعض المغرضين ممن حاول ويحاول إعادة كتابة التأريخ في ضوء تحريف الحقائق مع ما ينسجم من رغبات وشهوات حكّام التسلط!! وإن كُتِبَ العديد من البحوث والدراسات مع ما ينطبق وتوجهات النظرية الماركسية[١] والأفكار القومية[٢]، إلاّ أنها بقيت بعيدة عن حقيقة الوقائع التأريخية، فإنّ أغلب الدراسات التأريخية، أثبتت صدق هوية الثورة، وموقع المرجعية وعلماء الدين فيها، سواء كانت دراسات مختصة في تناولها وأثرها في الثورة[٣] أو من خلال بعض الدراسات التي تشير إليها بشكل هامشي[٤] وان اختصت ـ الدراسة ـ بهدف قومي أو هدف تجريدي لإيجاد أدوار التشابه بينها وبين الثورة البلشفية، فأغلب المصادر التي عُنيت بالثورة العراقية الكبرى أثبتت التحرك الإسلامي وأثره الفاعل في إشعال فتيل الثورة، وإن كانت النتائج بعكس ما طمحت إليه الجماهير، فذلك

(١) أُنظر: الثورة العراقية التحررية، كوتلوف.

(٢) أُنظر: الجذور السياسية، وفيق عمر نظمي.

(٣) أُنظر: دور الشيعة في تطور العراقي السياسي، د. عبدالله النفيسي.

(٤) أُنظر: النفيسي / مصدر سابق: ١٣٧ عن Debates H.C ١٣،٧،١٩٢٠ vol١١١p_٢١٦٢.

لا ينفي أنها حركة قيادة إسلامية واستجابة جماهير مسلمة لها، ونتائج الثورة لم تعطِ ثمار التحرك الإسلامي، فالدوائر البريطانية سلبت هوية الثورة، ومركزت عناصر قومية موالية لسياستها.

من مجمل حركة المرجعية والعلماء الفاعلين، واتساع التحرك الإسلامي والنتائج التي ترتبت في ما بعد؛ يتضح قلة الوعي السياسي في الأُمّة، وهذا ما نجده سبباً رئيسياً في تغيير هوية الثورة وسرقة جهود قياداتها المخلصة.

٤ ـ مواقف علمائية:

لاشك، من مجمل هذه الأحداث يظهر الدور العلمائي وتأثير الحوزة العلمية بشكل واضح ومؤثر في كل الأحداث، ولكن هناك خصائص مميزة توجب الذكر وبالخصوص عند البعض ممن أنحنى التاريخ لأقدامهم، ومنها مواقف آية الله محمد تقي الشيرازي الزعيم الروحي لثورة العشرين، فحينما كتب إليه بعض رؤساء القبائل بعد القبض على ولده بقولهم: «إنَّ أعمال الإنجليز في القبض على ولدك قد بلغت الغاية من القسوة والظلم وهتك الحرمات، فأمرنا أن ندافع عن أنفسنا بالسلاح».

فأجابهم: «إنَّ ابني ومن معه أبعدوا في سبيل القضية العراقية، فلا ينسكم إبعادهم قضيتكم، ولا تشتغلوا بطلب عودتهم عن المطالبة بحقوقكم، ولا تجعلوا القبض عليهم سبباً لحمل السلاح،

فتلهيكم القضايا الشخصية عن المطالب العامة»(١).

هذا الموقف يعطي أبعاداً كثيرة، ويقف على رأسها مصداق التقوى والإيمان.

أصدر فتواه الدفاعية في الوقت المناسب، حينما تطلبت الظروف إعلان الجهاد بعد أن نقض فتواه السابقة التي كان يطالب فيها باستتباب الأمن والاستقرار، رغم ما كان يتعرض له الشعب العراقي من مضايقات قاسية جراء سياسة قوات الاحتلال البريطانية، فجاءت الفتوى الثانية بعد أن بلغ السيل الزبى.

(١) الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٥:٢٣٦، نقلاً عن كتاب (بطل الإسلام) المخطوط.

الفصل الثالث

مقاومة
الحوزة العلمية السياسية
لتشكيل المجلس التأسيسي

حينما كانت الثورة العراقية في أوجّ ذروتها، أعلنت قوات الاحتلال عن قدوم أول مندوب سامي للعراق وهو (السربرسي كوكس) حاملاً مشروعاً مهماً يخدم المخطط البريطاني في ضوء الاتفاقية السرية (سايكس بيكو) مع الحكومة الفرنسية في ٢٥ نيسان ١٩٢٠م، وهو ذات المشروع الذي أذاعه نائب الحاكم الملكي العام في بغداد ١٧ حزيران سنة ١٩٢٠م كما تقدم ذكره.

فعند قدوم السربرسي كوكس بهذا المشروع، أيقنت القيادة الدينية بخطر احتواء الثورة بقيام حكم الانتداب، لذلك وقبل وصول كوكس إلى بغداد قامت (الهيئة العلمية العليا) المسئولة عن قيادة الثورة بشن حملة إعلامية واسعة تحذر بها من السياسة الماكرة التي سوف يتبعها الإنجليز، وطالبت الجميع من زعماء ورؤساء عشائر وعلماء الدين بالروية والتفكير الرصين.

في هذه الفترة كان آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني المرجع الأول بعد وفاة آية الله الشيرازي، فقد قام بتحريض المعارضة على الاحتلال وتشكيل الحكومة المؤقتة حتى وفاته في كانون الأول ١٩٢٠م، في الوقت ذاته واصل علماء الدين دعوتهم للعشائر

الفراتية لاستمرار المقاومة المسلحة، فالمعارضة الإسلامية لجأت إلى تكييف نفسها تبعاً للظروف المستجدة، فهي فضلاً عن مطالبتها بالاستقلال التام، رفعت شعارات ومطالب ترتبط بوضع ما بعد الثورة، فهي تتهيأ إلى إعادة الثورة ثانية بعد انحسارها في الأولى.

تجاه جميع هذه الاستعدادات والظروف، كانت الحكومة البريطانية دقيقة في حساباتها لضرب هذا التوجه العلمائي والمعارضة الإسلامية بشكل عام.

فقد جاء تشكيل الحكومة المؤقتة بهيئتها المعروفة دليلاً قاطعاً على تخطي العلماء وزعماء الثورة الذين رفضوا منذ شهر آب ١٩٢٠م التفاوض مع إدارة الاحتلال في التشاور بشأن الحكومة، وبذلك فقد جاءت الحكومة المؤقتة ليست حالة صحيحة في حسم الصراع بين العراقيين والإنجليز، ولم تكن ممثلة أو مستجيبة لبعض مطامح وأهداف العراقيين.

أبدى علماء النجف والكاظمية مشاعر الخوف والريبة والشك بصحة تمثيل هذه الحكومة للشعب، وطالبوا بوجوب قيام حكومة منتخبة من قبل الشعب، كما عارض هذه الحكومة، العديد من قادة الثورة الذين لجؤوا إلى الحجاز، ومن ضمنهم عدد من وجهاء بغداد، ووصفوها بأنّها حكومة عربية كاذبة تتكون من رجال هم

صنيعة الإنجليز.

علماء الدين كان يعون أن الهدف الأساسي من تشكيل الحكومة هو تطويق الثورة، واحتواء أهدافها وتهدئة الوضع، وقد رأت الحكومة البريطانية أنّ للقيادة الدينية فاعلية وتأثيراً في الوسط العراقي، وبالخصوص العشائر الثائرة منها، في الوقت ذاته كانت الحكومة المؤقتة ضعيفة ومعزولة، مما ساهم في دفع إدارة الانتداب إلى توسيع القاعدة الاجتماعية في الحكم، والشروع بترشيح ملك لعرش العراق، وبذلك طرحت إدارة الانتداب مسألة نوع الحكم المقترح، فيما إذا كان جمهورياً أم ملكياً، ثم إطلاق الجدل حول عدد الأسماء المرشحة للعرش، هذه الإثارات جميعها ساهمت في تمييع الثورة وأهدافها مُستغلةً ـ إدارة الانتداب ـ الزمن والإثارات في إخماد الثورة، وتعلق آمال العراقيين بنوعية الحكم مستقبلاً، وقد نجحت إدارة الانتداب ـ إلى حدٍ ما ـ في إظهار إتجاه جديد عند البعض من علماء الدين يدعو إلى ترشيح أمير المحمرة الشيخ خزعل ملكاً على العراق، وقد مثل هذا الاتجاه الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ علي كاشف الغطاء، ولكن الأمير خزعل تراجع أثر ترشيح الملك فيصل[1].

(١) الوردي، علي: لمحات من تاريخ العراق الحديث ٦: ٧٠. «... أنني أتنازل عن ترشيح نفسي لأنني أرى في شخص سمو الأمير فيصل جميع الصفات والمواهب التي تؤهله لأن يتولى ذلك العرش ...».

وقد كانت هناك دعوات لرئاسة العراق، ومن جملة المرشحين رجل تركي يدعى برهان الدين، وكان ذا شعبية واسعة النطاق في منطقة كركوك، وأيضاً كان هناك هادي العمري من كبار الموظفين في الموصل[1] إضافة إلى دعوة طالب النقيب (في البصرة) والذي رفضه الإنجليز رفضاً باتاً، رغم خدماته، لهم وقد ارتأت إدارة الانتداب أن تنفي طالب النقيب إلى جزيرة هنجام لقوله: «إنْ لم يكن هو ملك العراق، فيجب أن يكون العراق محكوماً مباشراً من قبل الإنجليز»، وهذا ما كان يعارض سياسة الإدارة البريطانية.

أما بخصوص موقف العلماء، فإنّه لم يكن موقفاً موحداً، فقد برز اتجاهان رئيسيان مختلفان؛ أحدهما الاتجاه المعارض لترشيح الملك ومثّله، كل من العلماء السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ

(١) الرهيمي، عبدالحليم / مصدر سابق: ٢٤١ هامش، رقم ٢٦.

وفي هذا الصدد تذكر رجاء حسين حسني الخطاب في كتابها (عبدالرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه) صفحة ٢٧ كان المرشحون لعرش العراق كل من: ١ـ عبدالرحمن النقيب. ٢ـ السيد طالب النقيب. ٣ـ الشيخ خزعل أمير المحمرة. ٤ ـ عبدالعزيز بن سعود. ٥ ـ الأغا خان. ٦ ـ برهان الدين (أمير تركي).

كما يذكر الأستاذ محمد مهدي كبة في«مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨م ـ ١٩٥٨م» صفحة ٢٤ بعض الأسماء التي نوقشت أهليتها لعرش العراق هي: ١ـ هادي باشا العمري. ٢ـ عبدالرحمن النقيب. ٣ـ أحد أنجال الشريف حسين. ٤ ـ أحد أعضاء الأسرة الخديوية في مصر.

محمد حسين النائيني، في حين مثّل الاتجاه الثاني ـ غير المعارض لترشيح الملك تحت الانتداب ـ عالِمان بارزان في الكاظمية هما اية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر، إلاّ أن الخالصي عبّر عن موقفه بالمبايعة المشروطة، حين زاره الملك فيصل خاطبه بالقول: «إننا نبايعكم ملكاً على أن تسيروا بالحكم سيرة عادلة وعلى أن يكون الحكم دستورياً ونيابياً، وأن لا يتقيد العراق في عهدكم بأيّة قوة أجنبية»[1].

فقد كان لهذا تأثير في الأوساط الشيعية، وبالخصوص حينما امتنع الغالبية عن استقباله عند وصوله للبصرة، ومروره بمناطق الثورة، أثر تحريض علماء النجف، أما في مدينتي النجف وكربلاء فقد استقبل الملك استقبالاً فاتراً اقتصر على المؤيدين للحكومة المؤقتة، والبعض من رجال الدين المؤيدين لترشيحه تحت الانتداب البريطاني.

أما مدينة الكاظمية فإن كبار علمائها هما السيد محمد الصدر، والشيخ مهدي الخالصي، قد أبديا تأييدهما لترشيح فيصل ملكاً، وقد أبرق السيد محمد الصدر الذي كان حينها لاجئاً في الحجاز إلى الشريف حسين يطالبه بالموافقة على ترشيح نجله فيصل لعرش العراق، ثم أنه ساهم مع عدد من اللاجئين برفقة الأمير

(١) كبة، محمد مهدي: مذكراتي في صميم الأحداث: ٢٤٣.

فيصل أثناء قدومه إلى العراق في حزيران ١٩٢١م.

كما قام بعد ذلك بإعداد مذكرة بيعة ترشّح الملك فيصل (ملكاً لدولة عراقية مستقلة دستورية) وقد وقَّع عليها مواطنون من مختلف أنحاء العراق، أما بعد تتويج فيصل، فقد كرر السيد الصدر رهانه، بأن «يذود الملك عن الكيان السياسي القومي للأمة العراقية»[١].

أما الشيخ مهدي الخالصي، فقد كان له موقف خاص؛ حيث أنّه عبَّر عن مبايعة مشروطة لترشيح الملك فيصل، ويستفاد هذا من قوله للملك فيصل عند زيارة الأخير له بعد إعلان قرار الحكومة المؤقتة في ١١ تموز ١٩٢١: «إننا نبايعكم ملكاً على أن تسيروا بالحكم سيرة عادلة، وعلى أن يكون الحكم دستورياً ونيابياً، وأن لا يتقيد العراق في عهدكم بأية قوة أجنبية»[٢].

إنّ هذا الاختلاف الحاصل في مواقف العلماء، ساهم بلا شك في إضعاف المعارضة الإسلامية، مما شجع وساهم مع المواقف الأخرى في انتقال رؤساء العشائر إلى جانب الحكومة وموالاة الإنجليز أحياناً.

إنّ الطرفين المختلفين تمسكا بالمطالبة بالاستقلال التام

(١) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية: ٢:٣٦٥.

(٢) كبة، محمد مهدي (مصدر سابق): ٢٤.

هدفاً أساسياً، وهذا ما أكد أنهما لم يصلا إلى حدٍ من التصادم والقطيعة، ولذا نرى ان هناك أهدافاً مهمة جمعت بينهما في مواقف مشتركة منها:

١ـ الرهان على الملك بالانحسار.

٢ـ المواجهة المشتركة للرد على اعتداءات الوهابيين على العراق.

٣ـ المواجهة المشتركة في معارضته المعاهدة البريطانية العراقية.

ففي الأول (الرهان على الملك بالانحسار) هذا ما أكدته الأحداث من عدم تأثير الملك فيصل على قرارات إدارة الانتداب.

أما في الثانية (المواجهة المشتركة للرد على اعتداءات الوهابيين على العراق) فقد دعا العلماء في النجف الأشرف كلاً من المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد حسين الغروي النائيني لعقد مؤتمر عام في كربلاء، بين ١٠ ـ ١٥ شعبان ١٣٤١هـ / ٣ ـ ٨ نيسان ١٩٢٢م، على أن يحضره زعماء الدين ورؤساء العشائر ووجهاء المدن.

وقد أبرق السيد الأصفهاني والشيخ النائيني إلى الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية لحضور المؤتمر، وعليه أن يتصل برؤساء العشائر وإبلاغهم بالحضور، وقد تم ذلك.

وقد شارك في حضور المؤتمر علماء من السنة في بغداد

والموصل، ترأس وفد بغداد الشيخ عبدالوهاب النائب، فيما ترأس وفد الموصل الشيخ عبدالله النعمة، وقد ضمّ وفد بغداد كلاً من الشيخ إبراهيم الراوي والشيخ يوسف العطاء والشيخ أحمد الداود وعبد الجبار جميل وقاضي بغداد الشيخ عبدالله الشواف، هذا التجمع يدلّ على وحدة المسلمين في العراق فضلاً عن وحدة علماء الشيعة[1].

أما في الثالثة (المواجهة المشتركة في معارضة المعاهدة البريطانية العراقية والانتداب) فإنَه بعد مؤتمر كربلاء، اتسعت رقعة المعارضة العراقية لقرار الانتداب، وكانت المعارضة يجمعها القاسم المشترك لهدف الاستقلال التام، فضلاً عن معارضتها المبدئية للمعاهدة المزمع عقدها بين الحكومة العراقية وبريطانيا، بقيت المعارضة متمسكة بقوتها، وقد بذل علماء الدين جهداً كبيراً في المحافظة على هذا الموقف، بتأثيراتهم على رؤساء العشائر ووجهاء المدن، وبالخصوص المعارضة في بغداد، حاول العلماء توحيد موقف المعارضة والتأثير على أصحاب المواقف المتقلبة للبعض من رؤساء العشائر الذين يوالون الإنجليز مرة والمعارضة مرة أخرى، فقبل أن تصادق الحكومة على المعاهدة في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢م حددت إدارة الانتداب موعداً لبدء الانتخابات،

(١) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية ٢:٣٩٤.

حيث تركز هجوم المعارضة على الانتداب والمعاهدة ومبدأ الانتخابات المقترحة، ففي هذه الفترة أعلن علماء النجف وجوب مقاطعة الانتخابات وأعلموا قيادة المعارضة في بغداد بذلك، فيما راحت المعارضة الدينية من علماء الكاظمية؛ ولاسيما الشيخ مهدي الخالصي بإبلاغ الملك والحكومة في رغبة العراقيين بأن الانتخابات الحرة لا تتم إلاّ على أمل الاستقلال الناجز، فمن برقية الشيخ الخالصي للملك فيصل التي حوت التهديد المبطن بقوله: «بناءً على ما قلدنا المسلمون والشعب العراقي زمام أمورهم قولاً وكتباً أمضاء وختماً، جرت المسئولية أن ترفض كل معاهدة تمس الاستقلال التام للشعب العراقي حسبما حققنا ذلك»[1].

وفي ضوء هذه الأحداث تجلت مظاهر المعارضة في بغداد، بتنظيم اجتماعات الاحتجاج في جامعي (الوزير) و (الحيدر خانه)، ومن ثم شكّل المجتمعون لجنة من خمس شخصيات دينية وسياسية ضمت كل من (السيد محمد الصدر، والشيخ محمد الخالصي، والشيخ أحمد داود، مهدي البصير، حمدي الباچچي)[2]، وقد أبرقت هذه اللجنة برقيات عبّرت فيها عن رفض العراقيين

(١) المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب: ١٧٠ ترجمة جعفر الخياط.

(٢) الحسني، عبدالرزاق: تاريخ الوزارات العراقية ١:٨١، والبصير، محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية ٢:٤٦٢.

للانتداب البريطاني، فقد وجهت البرقيات إلى كل من عصبة الأمم، والى برلمانات كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة.

وبعد تسرب أنباء موافقة الحكومة العراقية على المعاهدة، حدث إضراب عام، وبالخصوص في منطقة بغداد والكاظمية، وحضر عدد من رؤساء العشائر إلى بغداد، وفي تلك الظروف كانت استقالة جعفر أبو التمن[1] من الحكومة احتجاجاً على موافقة الحكومة على المعاهدة وانضمامه إلى المعارضة.

ولاشك ان هذه المواقف تمت بتأثير علماء الدين، فقد كان لهم تأثير في التوجيه والقيادة المباشرة في أغلب الأحيان، وبالخصوص لنشاط المعارضة في بغداد والكاظمية، فقد كانت لفتوى الشيخ مهدي الخالصي لقادة المعارضة المباشرين ـ بعد موافقة مجلس الوزراء على المعاهدة ـ (بأنّهم في حلٍ من بيعتهم لفيصل طالما أنه لم يفِ بشرط انتخابه كملك للمحافظة على الاستقلال)[2].

أما نشاط المعارضة الإسلامية في مناطق الفرات الأوسط فقد كانت العشائر الفراتية وزعماؤها أكثر ارتباطاً وولاءً للقيادة الدينية

(١) كان الزعيم جعفر أبو التمن، رغم اشتراكه في الحكومة التي يعارضها العلماء، يتبنى في مناقشات مجلس الوزراء المواقف العامة للعلماء عبر تأكيده على أنهم أعمدة الإسلام، وهم ضد أية معاهدة إطلاقاً.

(٢) الرهيمي، عبدالحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق / الجذور الفكرية والواقع التأريخي ١٩٠٠ ـ ١٩٢٤م: ٢٥٥.

من مدينة بغداد، وقد لجأت بعض العشائر في بعض المناطق إلى المقاومة المسلحة ضد أوامر الحكومة.

البعض من العشائر العراقية أرسل برقيات إلى الشيخ مهدي الخالصي يسحب اعترافها من رؤسائها الموالين للإنجليز، ونسخة منها إلى الحكومة الجديدة[1].

بعد ذلك اتسع نطاق المعارضة وإرسال المذكرات والبرقيات إلى البلاط الملكي، فضلاً عن الحكومة، وبالخصوص بعد تصريحات تشرشل حول العراق، فقد جرى التأكيد فيها على طلب الاستقلال، ورفض الانتداب واستبدال الموظفين الإنجليز بموظفين عرب والتأكيد على الوحدة العراقية[2].

أما رؤساء عشائر الفرات فقد أبدوا معارضتهم بعد إعلان موافقة الحكومة في ٢٥ حزيران ١٩٢٢م على المعاهدة، وقد أبرقوا المذكرات التي شملت المطالب السابقة إضافة إلى التنديد بالحكومة على موافقتها على المعاهدة، وأهم هذه المذكرات؛ هي التي رفعت إلى الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر في أوائل تموز ١٩٢٢م حيث وقع فيها (٩٢) رئيساً من رؤساء

(١) البصير ، محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية ٢:٣٩٨.

(٢) الخطاب، رجاء حسني: تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١ـ ١٩٤١م: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

عشائر الفرات، وشكَّل هذا التجمع تكتلاً شبيهاً بالمنظمة الحزبية (منظمة الميثاق العربي العراقي).

وكذلك أبرق الزعماء بعد عدة اجتماعات لهم مع علماء الدين في النجف وكربلاء والكاظمية، العديد من المذكرات، وأهمها المذكرة في اجتماع آب من عام ١٩٢٢م مرسلة إلى الملك والمندوب السامي وقد تضمنت مطلبين:

١ـ رفض الانتداب رفضاً باتاً.

٢ـ إزالة أية سلطة أجنبية عن الحكومة العراقية.

أما العلماء فأنهم بالإضافة إلى التوجيه لرؤساء العشائر ووجهاء المدن أرسلوا أيضاً مذكرة اعتبرت بمثابة فتوى دينية بتاريخ ١٢ تموز ١٩٢٢م (عبَّروا فيها عن رفضهم كل ما يمس استقلال و كرامة الحكومة العراقية، واعتبار كل قرار أو معاهدة أو قانون بدون قبول الأمة منافياً لمبدأ استقلالها، لا ينفذ عليها)[١].

ومما يذكر أنَّ الاجتماع الكبير الذي عقد في (جامع الهندي) بمدينة النجف حضره (٥٠٠) شخصية دينية وسياسية ونوقشت فيه فتوى العلماء في ٢٢ تموز ١٩٢٢م، وجرى التأكيد على مضمونها، وفي ٢٢ من شهر آب ١٩٢٢م عقد اجتماع آخر كبير في منـزل السيد أبو الحسن الأصفهاني،جرى فيه التأكيد على

(١) الحسني، عبدالرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب ١:٨٥.

مضمون برقيتين كان قد بعث بهما زعماء عشائر الفرات إلى الملك والمندوب السامي في ٣ من شهر آب نفسه، ثم أقر المجتمعون رفع مذكرة مماثلة إلى الملك عن طريق محافظ كربلاء عبدالعزيز القصاب الذي استدعاه المرجع الأعلى إلى داره لتسليمه المذكرة وإبلاغه قرارات الاجتماع.

هذه المذكرات كانت تصاحبها المظاهرات الواسعة، وخاصة في مناطق المدن المقدسة النجف وكربلاء والكاظمية.

الدور العلمائي جعل الوضع في العراق ينبئ بثورة لا تقل خطورة عن تلك التي حدثت عام ١٩٢٠م[١].

إلاّ أن برسي كوكس قبض على كل السلطة في البلاد واستخدمها بنفسه، فقام بحملة قمعية واسعة للانتفاضة بدأها بإبلاغ عرفي في ٢٦ آب ١٩٢٢م قضى بتعطيل الحزب الوطني، وحزب النهضة ورئيس تحرير صحيفتي (المفيد، الرافدان) وأبعادهم إلى جزيرة هنجام، وإبعاد الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر خارج العراق، وأمر الطائرات الحربية البريطانية بقصف المناطق العشائرية المعارضة، وفصل كل الموظفين العراقيين المتعاونين مع الانتفاضة[٢].

(١) برسي كوكس: تكوين الحكم الوطني في العراق: ٥٨.

(٢) البصير: محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية ٢: ٤٣٠ ـ ٤٣٤.

أما في الرابعة (المواجهة المشتركة في مقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي) بعد تشكيل الحكومة النقيبية الثالثة في ٣٠ أيلول ١٩٢٢م وقرارها السابق على توقيع المعاهدة مع بريطانيا، وربط هذا التوقيع بإجراء انتخابات المجلس التأسيسي، فقد حددت إدارة الانتداب موعداً لبدء الانتخابات في ٢٤ تشرين الأول من عام ١٩٢٢م. كان لعلماء الدين نشاط بارز وذو أهمية كبيرة في إلغاء الانتخابات وإسقاط وزارة عبدالرحمن الكيلاني الثالثة، فأصدر العلماء في النجف والكاظمية فتاوى تحّرم الدخول في الانتخابات؛ إذا لم تستجب الحكومة إلى المطالب العادلة، وهي:

١ـ إلغاء الإدارة العرفية.

٢ـ اطلاق حرية المطبوعات والاجتماعات.

٣ـ سحب المستشارين البريطانيين من الأولوية إلى بغداد.

٤ـ إعادة المنفيين السياسيين.

٥ـ السماح بتأليف الجمعيات السياسية[1].

وبالطبع فإنّ الحكومة البريطانية وإدارة الانتداب في العراق لم تستجب لهذه المطاليب، فأصدر المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني فتوى أخرى بشكل نداء حازم: «إلى إخواننا المسلمين

(١) المصدر السابق ٢:٢٨٥.

.. إن هذا الانتخاب يميت الأُمة الإسلامية، فمن انتخب بعد علم بحرمة الانتداب، حرمت عليه زوجته وزيارته، ولا يجوز ردّ السلام عليه، ولا يدخل حمام المسلمين»[1].

هذه الفتوى دفعت إدارة الانتداب والحكومة العراقية إلى اتخاذ تدابيرها الدعائية في تقليل أهميتها، أو إلغائها، فأشاعت أن العلماء لا يعارضون الانتخابات، ولذا وجهت الأسئلة إلى العلماء عن صحة ذلك، فأجاب المرجع الأصفهاني والشيخ النائيني والخالصي بالفتوى الموقعة الموحدة بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٣٤١هـ ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢م.

«بسم الله الرحمن الرحيم: نعم قد صدر منّا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل باد وحاضر، فمن دخل فيه أو ساعد عليه، فهو كمن حارب الله ورسوله وأولياءه»[2].

أما الموقف العلمائي في الكاظمية، فقد سحب الشيخ مهدي الخالصي بيعته للملك فيصل، ويبدو أن لذلك سببين؛ أولهما: إعطاء المعارضة الإسلامية شرعيّة أكبر وتأثيراً أكثر للفتاوى، والسبب الآخر: اليأس من المراهنة على الملك في العمل من أجل الإستقلال.

ففي اجتماع حاشد عقده الشيخ الخالصي في مدرسته (جامعة

(١) الكاتب، أحمد: تجربة الثورة الإسلامية في العراق: ٧٦.

(٢) المصدر السابق: ٧٦.

العلم) في الكاظمية أعلن نقض بيعته بالقول: «لقد بايعنا فيصلاً ليكون ملكاً على العراق بشروط، وقد أخل بتلك الشروط، فلم يعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أية بيعة»[1].

على أثر فتاوى العلماء كانت الاستجابة ذات أثر حاسم في المناطق الشاملة للانتخابات، وبسبب هذه المقاطعة الناجحة استقالت اللجان الانتخابية، وأعلن الموظفون فشلهم في تأليف لجان الانتخابات، مما اضطر السلطة إلى وقف الانتخابات في المراكز الشيعية، غير أن اتساع نطاق المقاطعة شمل تجميد عملية الانتخاب في كافة المناطق، ومن ذلك يتضح أن موقف العلماء الفعال قد شكّل أقوى مانع أمام تنفيذ مخطط الحكومة، ودليل ذلك استقالة الوزارة النقيبية الثالثة، فتشكلت وزارة برئاسة عبدالمحسن السعدون[2]، إدارة الانتداب كانت ترى في هذه

(١) كبة، محمد مهدي: مذكراتي في صميم الأحداث: ٢٩.

(٢) كان عبدالمحسن السعدون عضواً في مجلس المبعوثين، ثم حزب الاتحاد والترقي، وقد درس قبل ذلك بمدرسة العشائر، وخلال سنوات الاحتلال وثورة العشرين والسنة الثالثة لم يغادر اسطنبول، وفي نهاية عام ١٩٢١م أي بعد تتويج فيصل ملكاً، عاد إلى العراق بناء على نصائح زملائه، وخاصة صديقه الحميم ساسون حسقيل (وهو يهودي) الذي كان عضواً في مجلس المبعوثين، ثم وزيراً للمالية في حكومة النقيب المؤقتة، وفي نيسان ١٩٢٢م، عيّن السعدون وزيراً للعدلية في وزارة النقيب الثانية، آنذاك لم تكن قد تبلورت لديه مشاعر متميزة سواء بعراقيته أو بانتمائه العربي وهو ذو ثقافة

الوزارة خيراً، وبالأخص في رئيسها الذي يرغب ويدعو إلى التعاون مع الإنجليز، إضافة لإتباعه سياسة الشدة ضد المعارضة، غير أن التبديل الحكومي وإتباع السياسة الشديدة لم يوقفا المقاطعة للانتخابات، فلجأت الحكومة إلى أسلوب احتواء المعارضة مع محاولة ضرب القيادة الدينية وإلغاء نشاطها، وقد اتخذت حكومة السعدون ثلاثة إجراءات لكسب ودّ المعارضة.

١ـ قرار الحكومة بإعادة المبعدين السياسيين إلى العراق، بعد موافقتهم على شرط يتعهدون به خطياً بتحاشي كل حركة تخلّ بالأمن العام وتعارض الحكومة[1].

تركية، انتحر في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٢٩م وكان حينها رئيساً للوزارة، وجاء في وصيته أنه انتحر لعدم قدرته على التوفيق بين مطالب المعارضة التي تتهمه بالخيانة، وبين عدم تجاوب الإنجليز معه.

(١)يقول الدكتور علي الوردي:«عثرت في وثائق البلاط الملكي على أربع رسائل موجهة إلى الملك، وهي بتوقيع كل من السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا محمد حسين النائيني والسيد عبد الحسين الطباطبائي والسيد حسن الطباطبائي، وهي كلها بنص واحد تقريباً،ولكنها تضمنت التعهد المطلوب منهم»ويضيف الوردي«نكتفي بنقل رسالة الأصفهاني فقط، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، حضرة جلالة ملك العراق أيد الله ملكه وسلطانه بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمة الله وبركاته.

نعرض إن كتابكم المؤرخ في ٢٦رجب ١٣٤٢هـ المرسل مع حجتي الإسلام جناب الشيخ جواد صاحب الجواهر وجناب ميرزا مهدي آية الله زاده دامت

٢ـ أصدر الملك أمراً إلى رئيس الوزراء لإجراء تعديلات جديدة على نظام التفتيش الإداري.

٣ـ توقيع الحكومة على ملحق بالمعاهدة البريطانية ـ العراقية تقضي بنوده بتقليص مدة المعاهدة من ٢٠ سنة إلى أربع سنوات من تاريخ إبرام الصلح مع تركيا.

أما ردّ فعل العلماء والمعارضة الإسلامية على هذه الإجراءات الثلاثة، فكان الموقف بالنسبة للإجراء الأول هو التقليل من أهمية الخطوة وجديتها؛ لكونها أرغمت المنفيين على التعهد الخطي

بركاتهم،أخذته بكمال الاحترام وكما ذكرتموه فيه وأودعتموه في مطاويه صار معلوماً لدينا، ولقد أفادا بما دار بينكم من الشؤون وبيان الأسباب الموجبة إلى تأخير حركتنا وطلب جلالتكم المؤازرة، وكذلك المحروس السيد باقر سركشيك قام بواجبه وبلغ خطاباته الشفاهية، هذا وإن كنا قد أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة في الأمور السياسية والاعتزال عن كل ما يطلبه العراقيون ولسنا بمسؤولين عن ذلك، وإنما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم لكن المؤازرة للملوكية الهاشمية حسبما تقتضيه الديانة الإسلامية ذلك مبدؤنا الإسلامي.

وأما ما أمرتم من توحيد الكلمة وتوطيد عرى الصداقة بين إيران والعراق، فذلك من وظائفنا الدينية، وحينما دخلنا إيران لن (لم) نزل نبذل الجهد في ذلك، وسوف تظهر نتيجة أعمالنا المبررة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ٢١شعبان عام ١٣٤٢هـ الاحقر أبو الحسن الموسوي الأصفهاني(الختم)أنظر كتاب(لمحات اجتماعية من تاريخ العراق)للدكتور الوردي٦: ٢٦١ـ ٢٦٢.

بالتخلي عن السياسية، في حين لم يكن أي رد فعل للعامل الثاني، لأنّهم يعارضون أصلاً كل النظام الإداري في ظل الانتداب.

أما ردّ فعلهم إزاء توقيع ملحق المعاهدة، فكان قوياً حيث عملوا على توظيفه لتوسيع نطاق معارضتهم للمعاهدة والانتخابات في آن واحد.

أرسل علماء النجف إلى علماء الكاظمية رسائل عدة، عن مضمون ملحق المعاهدة، وأشاروا فيها إلى أن هدف الملك والحكومة من توقيع ملحق المعاهدة هو التعجيل في إجراء الانتخابات، واقترحوا عليهم إصدار فتاوى جديدة لمقاطعة الانتخابات.

وقد أصدر علماء الكاظمية كل من الشيخ مهدي الخالصي والسيد حسن الصدر ونجله السيد محمد فتاوى عدة تدين الحكومة على توقيعها ملحق المعاهدة[1].

في هذه الفترة صعّدت الحكومة العراقية قضية الموصل ومطالبة الأتراك بها، فظنت أنها الفرصة المناسبة في إرباك وتشتيت المعارضة، بعد أن تجددت إثارتها، فبعد أن أنهى مؤتمر (لوزان) أعماله في ٢ شباط ١٩٢٢م دون حلّ حاسم لمسألة الموصل، اقترح المندوب البريطاني عرضها على عصبة الأمم في باريس، فحشدت

(١) الرهيمي، عبدالحليم (مصدر سابق): ٢٦٥.

القوات البريطانية وحدات عسكرية كبيرة على الحدود التركية، وكذلك القوات العراقية أعدَت قطعات من الجيش العراقي للتحرك نحو زاخو وعقرة شمال العراق[1].

السعدون ـ رئيس الوزراء ـ رأى في هذه الأحداث فرصة مناسبة لتحقيق قدر من عطف الجماهير على الحكومة، ومن ثم تبرير ارتباط العراق بالإنجليز، فأخذ يطلق التصريحات بأن العراق محاصر من كل جانب: ابن سعود، والأتراك، والإيرانيين، والفرنسيين.

علماء الدين في النجف والكاظمية أدركوا أبعاد ونوايا الحكومة من هذه الأحداث، فقد أصدر المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخان النائيني والخالصي في ١٢ نيسان ١٩٢٣م فتوى شرعيّة تقضي بعدم جواز محاربة المسلم للأتراك إذا ما هاجموا العراق، وبسبب التأثير الذي أحدثته هذه الفتوى والمواقف المتكررة للعلماء حاولت الحكومة وسلطات الانتداب إبعاد العلماء الثلاثة خارج العراق.

فقد نفي إلى خارج العراق أولاً الشيخ مهدي الخالصي ٢٥ ـ ٢٦ حزيران ١٩٢٣م بقطار إلى البصرة، ومن ثم إلى الحجاز ومن

(١) فرج، لطفي جعفر: عبدالمحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر (رسالة ماجستير): ٧٦.

ثم إلى قم في إيران، وألحق بهم في ٢٩ حزيران ١٩٢٣م بقطار خاص إلى إيران كل من الأصفهاني والنائيني، بعد أن حاولا أن يقوما بعمل احتجاجي من مدينة النجف إلى كربلاء يتقدمهم العلماء كافة، وقد حالت الحكومة بنفي (الأصفهاني والنائيني) دون القيام بمحاولتهم تلك، ثم أن الحكومة قبل قرار نفيهم حاولت أن تمهد لذلك فأصدرت قراراً توجب به تسفير الأجانب في حالة إخلالهم بالأمن[1].

فالحكومة منذ زمن الوزارة النقيبية الأولى، كانت تمهد لنفي العلماء الشيعة؛ لأنّهم العقبة الوحيدة التي تقف بوجه السياسة البريطانية.

(١) الحسني، عبدالرزاق: تاريخ الوزارات العراقية ١: ١٣٠، كان المقصود بالأجانب كبار المجتهدين الذين يحمل معظمهم الجنسية الإيرانية، سواء كانوا عرباً أو من أصل إيراني، وقد تم تسفير (٣٤) من كبار المجتهدين والعلماء ووضع (٥٠) آخرون تحت مراقبة الشرطة.

الفصل الرابع

نشاط الحوزة
في المطالبة بالاستقلال
ومحاربة التبعية للغرب

١ ـ جهود العلماء في رفد حركة ١٩٤١م من مايس:

نجمت حركة ١٩٤١م من مايس عن تأثيرين، أحدهما خارجي والآخر داخلي، فالتأثير الخارجي تمثل بنـزول القوات البريطانية في الأراضي العراقية، وبالخصوص مدينة البصرة، أما التأثير الداخلي فقد تمثل بالصراعات الداخلية بين رئاسة وزارة الگيلاني وحلقة الضباط الأربعة (صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، كامل شبيب، محمود سلمان) من جهة، وبين (نوري السعيد، والوصي عبدالإله) من جهة أُخرى، فالجهة الأُولى كانت تسعى للإنفكاك عن النفوذ البريطاني والتحالف مع ألمانيا، أما الجهة الثانية فهم الموالون للسياسة البريطانية دون قيدٍ أو شرط.

ولم تقتصر الأحداث في مايس ١٩٤١م على حكومة الگيلاني وضباطه الأربعة مع خصومهم نوري السعيد وعبدالإله الوصي؛ بل أن مجلس الأُمة طالب بالشريف شرف ليكون هو الوصي بدلاً عن عبدالإله.

العراقيون ـ كأُمة ـ وبمختلف أديانهم وقومياتهم وقفوا مع

الحكومة والجيش ضد البريطانيين وأعوانهم، الذي هربوا إلى البارجة البريطانية، ومن ثم عن طريق الجو وصلوا فلسطين المحتلة.

الأحداث:

إنَّ الحرب العراقية ـ البريطانية عام ١٩٤١م حدثت في مرحلة حاسمة جداً من الحرب العالمية الثانية، فقد نشبت قبل التعرض الألماني على روسيا ببضعة أسابيع، وبعد احتلال الألمان لكلّ من يوغسلافيا واليونان بفترة قصيرة[١].

حاولت القوات البريطانية في العراق ـ وبالخصوص سلاح الجوـ السيطرة على منطقتي الشعيبة والحبانية (سن الذبان)، لأن هاتين القاعدتين هما مركز حركة القوات للسيطرة على أي تحرك داخل الأراضي العراقية، وعندما قررت بريطانيا غزو العراق ثانية[٢] أنزلت قواتها أولاً في منطقة الشعيبة، وتوالى مجيء القوات البريطانية بشكل مكثف.

الحكومة العراقية أرسلت احتجاجاً أولاً، ثم ثانياً، لكنها لم تكتفِ بالاحتجاجات، فاستعدت للدفاع عن العراق ضد الاحتلال البريطاني الجديد.

---

(١) شرويدر، د. بيرند فيليب: حرب العراق ٣:١٩٤١.

(٢) حيثُ كان غزوها الأول في عام ١٩١٤م أثناء الحرب العالمية الأولى.

العشائر العراقية وقفت موقفاً مشهوداً في مساندة الجيش، انطلاقاً من الموقف العلمائي لرجال الدين الذين كانوا يساندون أية حركة للتخلص من الاستعمار البريطاني.

موقف علماء الدين:

لم يختلف موقف علماء الدين منذ حركة الجهاد ١٩١٤م والى ثورة ١٩٤١م وبالخصوص العلماء الشيعة.

ففي هذه الحركة (أصدرت حكومة الثورة في عام ١٩٤١م كراساً حوى صور فتاوى علماء النجف وكربلاء والكاظمية وبغداد، ومعظمها بخطوطهم الشريفة)[١] وقد دعت هذه الفتاوى أبناء العراق إلى دعم ومساندة حركة الرفض للنفوذ البريطاني[٢].

ويبدو من التتبع التأريخي لأحداث العراق الحديث، وبالخصوص من حركة الجهاد عام ١٩١٤م انتهاءاً إلى أحداث مايس عام ١٩٤١م ، أن الحس الوطني الثوري كان ذا أثر متنامٍ، وفي كل الأوساط الواعية والمؤثرة في تركيبة المجتمع ـ من علماء ورجال سياسة وزعماء وعشائر ـ .

(١) بحري، يونس: الحرب العراقية الإنجليزية، وأُنظر كتاب: حرب العراق ١٩٤١م تأليف الدكتور بيرند فيليب شرويدر / ترجمة فاروق الحريري.

(٢) أنظر الملاحق في نهاية الكتاب.

أما بعد عام ١٩٤١م ودخول الإنجليز ثانية لاحتلال العراق، فقد استطاع البريطانيون إحكام قبضتهم أكثر، ومما ساعدهم على ذلك ظهور طبقة من السياسيين كانت أكثر طواعية للرغبات والمصالح البريطانية.

لكن الأوساط الشعبية وعلماء الدين (الحوزة العلمية) كانوا يمثلون قلعة الرفض لسياسات السلطة من جهة، والأيدلوجيات الوافدة من جهة أخرى، فقد كان للمرجعية والعلماء الفاعلين أثر بالغ في المحافظة على الروح الوطنية في صفوف أبناء الشعب العراقي المسلم، والمحافظة على هوية هذا الشعب وصيانته من تأثيرات مختلف الإيدلوجيات المناهضة للدين الإسلامي.

وقد أخذت الانحرافات الفكرية والأفكار الإلحادية المعادية للدين والمتقاطعة معه، تظهر منذ أواسط الثلاثينات، ثم بدأت تتطور لتأخذ التنظيم الحزبي، وعندما وقع انقلاب ١٤ تموز عام ١٩٥٨م والقضاء على الحكم الملكي، ظهر التيار الشيوعي بوصفه جزءاً من سلطة الانقلاب أو حليفاً قوياً لها.

وأمام المد الشيوعي، أصدرت المرجعية فتاوى ضد فكر الحزب الشيوعي وأهمها فتوى السيد محسن الحكيم المشهورة والمعروفة.

موقف العلماء في التصدي لحزب البعث

أ ـ المواجهة عام ١٩٦٣م:

امتازت المرجعية الدينية في مرحلة الستينات بإرادة وقوة، ففي عام ١٩٦٣م حينما حدث انقلاب ٨ شباط الأسود واستلام البعثيين ـ الحرس القومي ـ دفة الحكم، وبعد أن عاثوا في البلاد فساداً، وقفت المرجعية مواقف عديدة ضد سياسة الحكومة وإرهابها، ولكنها استمرت في نهجها الإرهابي، فقرر المرجع الأعلى السيد الحكيم الشروع بزيارة العتبات المقدسة.

وقد شعرت دوائر الاستكبار، بمغزى هذه الزيارة وعرفت قوة تأثير المرجعية في أوساط المجتمع العراقي، إضافة إلى معرفتها بنظامها الهزيل اللاشرعي، فبعد انتهاء الزيارة التي قاربت الشهر، حاولت الدوائر الاستكبارية تغيير صورة النظام وتدارك الأوضاع قبل انفلاتها، فصعّدَ عبدالسلام عارف حملته المعروفة لتصفية البعثيين في ١٨ تشرين ١٩٦٣م.

فهذا التغيّر لم يكن هدفه إبعاد البعثيين عن السلطة فقط، وإنّما

كانت هناك اهداف اخرى، فالأطروحة الاشتراكية التي نادى بها عبدالسلام عارف كانت بمثابة الضربة للسوق الشيعية، لاسيما وإن التجارة داخل العراق كانت بأيدي الشيعة. إذن فهي محاولة سافرة لهدم الجانب الاقتصادي وإضعاف قدرة الشيعة على تمويل المرجعية، وجعلها ضعيفة غير قادرة على التصدي والمواجهة، بعدما عمدت الحكومات السابقة إلى إضعاف الجانب العشائري[1].

المرجعية الدينية في فترة حكم عبدالسلام عارف وأخيه عبدالرحمن عارف أخذت دور التوجيه والتربية للجماهير، ودور التنديد والإدانة لسياسة السلطة، فقد وقفت المرجعية وعلماؤها منددة بكل قرارات الدولة الجائرة؛ منها الطائفية، وحرب النظام للأكراد، وقد حاول عبدالسلام عارف سلوك كل السبل ليحصل على فتوى المرجع بجواز قتال الأكراد، فلم يتمكن؛ لأن المرجع الكبير أعلن فتوى حرمة قتال الأكراد[2]، وغيرها العديد من

(١) مذكرات السيد مهدي الحكيم: التحرك الإسلامي في العراق: ٦٥.

(٢) بدعوة من عبدالسلام عارف عقد مؤتمر سنة ١٩٦٤م الهدف منه الحصول على فتوى شرعية بجواز قتال الأكراد، وقد وجهت دعوة إلى علماء النجف للحضور فيه، إلاّ أنهم قاطعوه ما عدا بعض السائرين في ركاب السلطة، وحضرهُ من غير العراقيين شيخ الأزهر آنذاك، وأصدروا فتاوى مفادها أن الأكراد بغاة يجوز قتالهم، ورداً على ذلك دعا السيد آية الله الحكيم إلى عقد

المواقف التي جعلت الصدام والتصعيد قائماً بينهما، ومما يذكر منها: التهم الموجهة لرؤساء العشائر الشيعية بحجة الانتماء للحزب الفاطمي (فقبل إزاحة البعثيين بُلّغ السيد آية الله الحكيمﷺ بأن جماعة من الشيعة اعتقلوا وعذبوا، ومنهم الشيخ علي الشعلان[1].وآخرون بتهمة تدبير مؤامرات، والانتماء إلى الحزب الفاطمي، فبعث آية الله السيد الحكيم على الحاكم العسكري العام (رشيد مصلح) والتقى به في جمع من الناس متعمداً ذلك، وتكلم معه بكلام حادّ وهدّده وأشار إلى عدم شرعية اعتقال هؤلاء وتعذيبهم، فلم يتكلم (رشيد مصلح) في تلك اللحظات بأي كلمة سوى قوله للسيد: «إن شاء الله يكون خيراً ... إن شاء الله يكون خيراً» إلى أن جاء نظام البعث في ١٧ تموز ١٩٦٨م وهو عازم على الانتقام من المرجعية، لأن فشلهم وانكسارهم عام ١٩٦٣م يُعزى إلى قوة المرجعية وتأثيرها في الوسط الاجتماعي.

قبل استلام البعثيين للسلطة عام ١٩٦٨م، كانت المرجعية الدينية على علم حقيقي بأن عبد الرحمن عارف لن يبقَى في الحكم،

مؤتمر في كربلاء أعلن فيه أن قتال الأكراد لا يجوز، أنظر ص٧١، من كتاب مذكرات السيد مهدي الحكيم / التحرك الإسلامي في العراق.

(١) علي الشعلان: أحد رؤساء عشيرة خزاعة في مدينة الديوانية منطقة الحمزة الشرقي.

وأن حزب البعث سوف يستلم السلطة، هذا ما أكده السيد الشهيد مهدي الحكيم رحمه الله بأن: (أحمد حسن البكر) و (حردان التكريتي) و (فاضل حسن) اتصلوا به بشكل مباشر وقالوا له: «ماذا تريدون؟» وقال لهم رحمه الله: «أننا لا نريد سوى قيام حكومة بحيث يشعر أبناء العراق أنها حكومتهم ويدافعون عنها بكل قلوبهم لأنّها تضمن مصالحهم»[1].

وبعد أن سيطر البعثيون على السلطة، اتخذت المرجعية موقف المراقب (لا يظهر منه أي مسالمة أو محاربة)[2] على اعتبار أن البيان الأوّل كان لا بأس به[3].

وبشكل عام أن المرجعية وعلماء الدين، بعد استلام البعثيين للسلطة (ورغم ما فهم من البيان الأول للسلطة) أحسوا بخطورة سياسة النظام الجديد، بسبب إدراكهم وفهمهم لطبيعة الانحراف

(١) مذكرات السيد مهدي الحكيم: التحرك الإسلامي في العراق: ٧٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) يذكر السيد حسن العلوي: الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤م ـ ١٩٩٠م حاشية صفحة ٢٦٢: ورد اعتراف وحيد بطائفية السلطة في البيان الأول لانقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨م وقد فهم الاعتراف كإدانة لحكومة عبدالرحمن عارف ـ طاهر يحيى، في ما نعتقد أنه بمثابة (رسالة حسن نية) موجهة إلى ا لمرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم الذي كان قد أبلغ في وقت مبكر رئيس الوزراء طاهر يحيى استيائه من سياسة التمييز الطائفي.

في فكره ووجود تجربة عملية سابقة للحزب.

ب ـ المواجهة عام ١٩٦٨م:

وقد حاول البعثيون في بداية الأمر تأجيج حالة الصراع الخفي مع المرجعية، وبدأت أولى محاولاتهم عندما قام أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية بزيارة إلى دار السيد آية الله السيد الحكيم في الكوفة دون موعد سابق، وكان الغرض من زيارته كسب الاعتراف بنظامه عبر نشر اللقاء في الصحف العراقية الحكومية، لكي تُعبِّر هذه الزيارة عن رضى السيد الحكيم!! وقد أدركت المرجعية أهداف هذه الزيارة، فأرسلت بلاغاً إلى محافظ كربلاء لتعديل ما سوف ينشر من بيان الزيارة، على أن يذكر فيه أنها كانت زيارة مفاجئة دون موعد سابق، وإلاّ فإن المرجعية سوف تضطر إلى تكذيب هذا البيان (وأضطر أحمد حسن البكر وأجهزته للرضوخ لهذا التهديد)[1].

ومما يذكر ممن عاصر الصراع البعثي مع المرجعية، أن هناك شواهد كثيرة تدلل على ضرب الإسلام، منها: المؤتمر السابع لحزب البعث العفلقي الذي أكد على ضرب التيار الفاطمي والمقصود به التحرك الإسلامي الذي تقوده المرجعية.

(١) الحكيم، السيد محمد باقر: بحث تاريخي حول مواجهة آية الله الحكيم لحزب البعث في العراق، ألقي في مؤسسة الشهيد الصدر / صفر ١٤٠٣هـ

وقد كان السيد الشهيد مهدي الحكيم رحمه الله ممثلاً عن المرجعية في بغداد، كان أركان النظام الجديد يرون فيه الخطر المهدد لكيانهم، لذلك وبعد انقلاب ١٧ تموز حاول أحمد حسن البكر الاتصال بالسيد مهدي عن طريق وسطاء أمثال مدير الشرطة العام (فاضل العساف) وكان السيد مهدي يرفض مقابلته انطلاقاً من مشورة السيد آية الله الحكيم على أن تقف المرجعية في هذه المرحلة موقفاً لا تظهر به المناجزة ولا مظهر الموالاة، فقرر السيد الحكيم سفر السيد مهدي والسيد هادي الحكيم إلى خارج العراق لمدة شهر لتغييب وجهيهما عن النظام، بعد ذلك أرسل صدام حسين ـ وكان حينها نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ـ وسيطاً (محمود الصافي) إلى السيد مهدي الحكيم يطلب منه مقابلته، ورفض السيد مهدي هذا الطلب، ثم كرره صدام ثانية، بأن يجتمع معه بوجود البكر، كذلك رفض سماحة السيد مهدي هذا الطلب، مما حدا بصدام قوله: «إنّ العطاس الذي في أنفه يجب أن أخرجه»[1].

رغم هذا الصراع الخفي، التقى السيد مهدي رحمه الله ثلاث مرات بأحمد حسن البكر صاحب السلطة الرسمية الحكومية، وليس السلطة الحزبية، وهذا فرق كبير بين اللقاء بممثل الحكومة وبين

(١) مذكرات العلامة السيد مهدي الحكيم: التحرك الإسلامي في العراق.

ممثل لصفة حزبية. ولم يكن لهذه اللقاءات الثلاثة اعتبارات هامشية أو قد يعتقد البعض أنها نابعة من مواقف الضعف للمرجعية وعلمائها، وإنما كانت مواقف شجاعة أبدت موقف الرفض لسياسة البعث، وتقديم احتجاج مباشر لرئيس الجمهورية على سياستهم الظالمة للشعب العراقي، فقد كان اللقاء الأول، حينما أعلن صالح مهدي عماش إلغاء جامعة الكوفة ومصادرة كل أموالها، وقد تم اللقاء في القصر الجمهوري، ولم يأت مع السيد مهدي أي عضو من أعضاء جامعة الكوفة (وكانوا يخافون .. وبالتالي وافق كل من (سلمان التميمي) والشيخ موسى اليعقوبي، مع أنهما لا علاقة لهما بجامعة الكوفة)[1].

أما المقابلة الثانية .. فقد حصلت عندما أرسله آية الله السيد الحكيم للاحتجاج على قانون التجنيد، وخصوصاً فيما يتعلق بعدم إعفاء طلبة العلوم الدينية، وقد دار الحديث بينهما وأبدى سماحة السيد مهدي احتجاجاً على هذا القانون حينما تطرق البكر إلى أهمية الجهاد، وكيف أن الناس كانوا يتسابقون إلى نيل الشرف

(١) التحرك الإسلامي في العراق: ٨٠

في الوقت الذي أراد به السيد مهدي الحكيم رحمه الله الذهاب بمفرده أشار عليه آية الله الحكيم قدس سره «يجب أن يذهب معك أحد ليشهد اللقاء، فقد يقولون أنك ذهبت إليهم وقلت لهم حسناً فعلتم .. أو أنهم أعطوك مبلغاً، فمن يضمن أنهم لا يقولون ذلك».

والاستشهاد فأجابه السيدرحمه الله : «إنَّ ما تقوله صحيح فيوم أن كان الجهاد شرفاً كان الناس يتسابقون إليه، أما اليوم فالجهاد والانضمام إلى ما يسمونه بخدمة العلم ليس شرفاً، وإنما هو عقوبة» قال البكر كيف؟ قال السيدرحمه الله «لست أنا أقول ذلك، وإنما هو المشرَّع الذي كتب هذا القانون، والجهات التي وافقت عليه يقولون: أنه ليس شرفاً وإنما هو عقوبة»، ثم قال البكر كيف ذلك؟ قال السيدرحمه الله : «إنَّ القانون يقول إن كل فرد يتخلف عن الخدمة العسكرية، تضاعف له الخدمة، فهل يمكن إصدار قانون، أن كل وزير لا يباشر العمل في وزارته لمدة سنة فسوف نعاقبه بأن نجعل وزارته للوزارة سنتين بدلاً من سنة واحدة، هل يحدث هذا أم أنه يطرد؟ إذا كانت الخدمة العسكرية شرفاً فيجب أن تقولوا أن كل من لا يلتحق بهذا الشرف، فهو لا يستحقه ويجب أن يطرد، وهذا ما صنعه القرآن حينما تخلف جماعة عن الجهاد إذ نزل القرآن يأمر الرسولصلى الله عليه وآله بأن لا يقبلهم ﴿**فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً**﴾[1]، فأخرج البكر ورقة وقلماً وقال: والله إنَّ هذه الملاحظة جيدة[2].

أما المقابلة الثالثة فحصلت عندما أرسله آية الله السيد الحكيمرضي الله عنه ليسجل احتجاجاً على عمل الحكومة اللاإنساني بتسفير الأخوة الإيرانيين.

(١) سورة التوبة: الآية ٨٣.

(٢)التحرك الإسلامي في العراق: ٨٠.

لقد عمد البعثيون في أول ضربة إلى تحجيم الوعي الإسلامي باتخاذهم قرار إغلاق جامعة الكوفة، وهذا الإجراء لا يخلو من كونه ذا هدفين يبتغيهما النظام، لاسيما الهدف الأساسي في عدم فسح المجال أمام الصحوة الإسلامية العلمية، والهدف الثاني لا يخلو من كونه معرفة وقياس درجة ردّ فعل العاملين من العلماء الشيعة وبالخصوص المرجعية التي تمثلت في تلك المرحلة بأعلى درجات القوة والاقتدار في التصدي لهم (البعثيين).

كان آية الله الحكيم﵀ عارفاً بمقدار وقوة مرجعيته وتأثيره على الجماهير، فقرر عرض هذه القوة حينما شرع بزيارة إلى مدينة بغداد لزيارة مرقد الإمام موسى الكاظم﵇، فقد أبدت الجماهير العراقية المسلمة قوة تلاحمها وإطلاق مشاعرها في التعبير عن الولاء الإسلامي، وبعد مكوثه في بغداد حاول النظام البعثي أن يواجه قوة الجماهير، محاولاً إبراز الصراع الحقيقي بينه وبين المرجعية، واضعاً في خططه عزل وتحطيم هذا الولاء المثالي الذي عبّر عنه الشعب تجاه القائد الإسلامي الحقيقي وللموقع الرفيع الذي يمتثل له المسلمون بكثير من الطاعة.

أعلن النظام البعثي وبسيناريو لمسرحية هزيلة عن اتهامه عمالة السيد الشهيد مهدي الحكيم﵀!! بعد نزع اعترافات مدحت الحاج سري الذي أبى هذا الاعتراف إلاّ بعد أن هدد بالاعتداء

على زوجته، فما كان منه إلاّ أن يقول ما يملى عليه.

هذه المسرحية لم تنطلِ على أصحاب العقول الواعية، وبالخصوص طبقة رجال الدين الذين أخذوا على عاتقهم الإعلام بكذب وافتراء النظام في اتهامه نجل المرجعية بالجاسوسية، ولكن لا يخلو المجتمع العراقي آنذاك من ذيول الحاقدين وأذناب الرأسمالية في ترويج ذلك، لاسيما وأن لهذه الذيول والأذناب تأثيراً ملحوظاً في أوساط العامة من أبناء المجتمع، ورغم هذه المسرحية وأبعادها لم تبتعد الجماهير المسلمة عن حبها وولائها للمرجعية وعلمائها، ثم أن سياسة النظام الداخلية التعسفية ساهمت إلى حدّ ما في عدم تصديق هذه المسرحية.

ثم أن مرض المرجع آية الله الحكيم‌ﷺ وسفره إلى لندن ومجيئه إلى بغداد ودخوله مستشفى ابن سينا، هذه الأحداث أحرقت قلوب المؤمنين من أبناء الشعب العراقي، وبعد وفاته عبَّرت الجماهير عن تلاحمها وقوتها ورفضها للنظام، ومما يذكر أن أحمد حسن البكر حينما تقدم موكب تشييع آية الله الحكيم أحاطته الجماهير بالهتافات المنددة بسياسته وسياسة نظامه (سيد مهدي موجاسوس اسمع يالريس) ومما يذكر أن أحمد حسن البكر نجا من مراسم التشييع بأعجوبة، وقد أصاب بعض مناطق بغداد الهلع حيث هجمت الجماهير على مراكز الشرطة وجردت

أفرادها من الأسلحة.

وكان يوم وفاته (٢٧ ربيع الأول ١٣٩٠هـ) حدثاً تاريخياً إذ شيَّعه العراق من أقصاه إلى أقصاه، وأذاعت خبر وفاته أكثر إذاعات العالم، وأعلن الحزن والحداد عليه، وكان يوم تشييعه ببغداد أخطر حدث سياسي رهيب في التاريخ المعاصر، إذ قدر راديو لندن عدد المشيعين بنصف مليون، ولعله كان أكثر ـ بكثير من هذا الرقم[١] .. وقد أعلن يوم التشيع (إنذار جيم) في قطعات الجيش، وكانت الإذاعة، ووزارة الدفاع والقصر الجمهوري كلها معززة بالحراسة، وقد استمر تشييعه قرابة ثلاثة أيام، وقد مرَّ بجميع المدن من بغداد إلى كربلاء ثم النجف، وقد استمرت المآتم العزائية أربعين يوماً، وأُقيمت على روحه الطاهرة آلاف الفواتح في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وأرسلت مئات البرقيات للتعزية، ومما يذكر منها برقية الرئيس جمال عبدالناصر التي حملها سفير مصر في بغداد عبدالمنعم النجار، وبرقية الجنرال يحيى خان رئيس باكستان، وبرقيات أمير البحرين والكويت وملك السعودية والملا مصطفى البرزاني[٢] .

أمام ما تقدم من مواقف مرجعية آية الله الحكيم﵀ وتصديه للنظام البعثي وما آلت إليه النتائج، يعتقد السيد بصحة الموقف

(١) ابن النجف، الخطيب: تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في العراق: ١٠٥.
(٢) المصدر السابق.

والعمل، فحينما سأله ابنه الشهيد السيد مهدي رحمه الله في آخر لقاء معه قبل وفاته: هل تشعر أنك أخطأت في تحركك هذا أم لا؟ فأجابه قدس سره: «أنا لا زلت أعتقد أن عملي صحيح .. أنّي أعرف بأن الشعب العراقي يحبني ولي مكانة في نفوس الشعب تختلف عن مكانتي كمرجع لهم ... وأضاف ... أن البعثيين يملكون أطروحة فكرية والناس لا تمتلك الوعي الديني الذي يؤهلهم لأن يقفوا في مواجهة هذه الأطروحة للبعثيين لمدة عشر سنوات، حيث يتذكرون فعلة البعث بمرجعهم، لهذا اعتبر نفسي مصيباً في عملي ... ثم ضرب مثلاً بمعركة الإمام الحسين عليه السلام وكيف أنه لم يحقق نصراً عسكرياً؛ بل استطاع عليه السلام أن يضع حاجزاً نفسياً بين الأمة وبين السلطة، لهذا كلما ذكر الناس قضية الحسين عليه السلام تنظر إلى السلطة بأنّها ظالمة ويجب التخلص منها»[1].

جـ ـ المواجهة بعد وفاة آية الله الحكيم رضي الله عنه

أما مواجهة المرجعية بعد وفاة آية الله الحكيم رضي الله عنه للنظام البعثي، فقد اتخذت أشكالاً أخرى، وكانت تبدو ضعيفة، ومع صعود مرجعية الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره عادت المواجهة من جديد، ففي عام ١٩٧٠م منع النظام ممارسة الشعائر الحسينية الأمر الذي أدى إلى انتفاضة الجماهير في مدينة النجف، بعد ذلك خطط أن

(١) مذكرات السيد مهدي الحكيم: التحرك الإسلامي في العراق: ١٠٠ ـ ١٠١.

يمنع الشعائر الحسينية، في كافة أنحاء العراق، وبالخصوص الشعائر التي يمارسها العراقيون في العشرين من صفر، فخطط النظام بشكل تدريجي وسنَّ مجموعة من القوانين حاول أن يطبقها على هذه الشعائر، ومن جملة هذه القوانين قانون منع الضوضاء، الذي اعتبر فيه قراءة الخطباء لهذه الشعائر (ضوضاء)، وبذلك منع الخطباء من ممارسة دورهم التبليغي الرسالي، وفي عام ١٩٧٦م أتخذ النظام قراراً بمنع المسيرة بين النجف وكربلاء بمناسبة العشرين من صفر، الأمر الذي أدى إلى أن تنبثق مجموعة من التظاهرات ضد النظام وبشكل عفوي.

د ـ انتفاضة ٢٠ صفر عام ١٩٧٧م:

في عام ١٩٧٧م خطط النظام البعثي لمنع هذه الشعائر، وقد أتخذ إجراءات مشددة لمنع المسيرة الراجلة (في العشرين من صفر) من مدينة النجف إلى مدينة كربلاء المقدستين، وهو الأمر الذي جعل المسلمين العراقيين يخططون أيضاً لمواجهة النظام مواجهة حقيقية فيما يتعلق بهذه الشعائر؛ حيث أن المعركة تدور حول نقطة مركزية هي (الشعائر الحسينية).

انتفاضة صفر ... كانت بتخطيط من قبل الجماهير، وقد أحست السلطة باستعداد الجماهير، بالانطلاق بالمسيرة الراجلة إلى مدينة كربلاء، وهي تتحدى قرار المنع الصارم الذي أعلنته

السلطة على لسان محافظ النجف (جاسم الركابي) آنذاك.

فخرجت المسيرة بشعارات التحدي «لو قطّعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيدي يا حسين» وتحولت الشعارات الحسينية نتيجة ردة الفعل إلى شعارات معادية للسلطة «يصدام كل للبكر ذكر حسين ما يندثر» فأرعبتها وأدركت فشل خطتها، فحاولت إلغاء قرار المنع، خاصة عندما حصل اصطدام الجماهير بقوات النظام في (خان النص) وسقوط بعض الشهداء[1] واستعداد العشائر للدخول في المواجهة مع النظام.

عندما حصل هذا التطور في المواجهة لجأت السلطة إلى العلماء، وطلبت منهم التدخل في حلّ هذه الأزمة، وقد لجأت السلطة إلى السيد الشهيد الصدرقدس سره، وبذلك أوفد السيد الشهيدقدس سره وفداً برئاسة الشهيد السيد محمد باقر الحكيمرحمه الله، وتمكن من السيطرة على ذلك الوضع وتوجيهه بصورة تمنع النظام من اختلاق مبرر للإضرار بالانتفاضة، لكن استمرار المتظاهرين بالتقدم نحو كربلاء دفع السلطة إلى محاصرتها بالدبابات والطائرات الحربية، ومن ثم اعتقال عشرات الآلاف منهم، ومع

(١) ومنهم الشهيد السعيد السيد محمد الميالي الذي كان عمره ثلاثة عشر عاماً، ورفعت الجماهير ثوبه الملطخ بالدماء، وجعلت تهتف بشعارات ضد الدولة لاسيما البكر وصدام.

أنظر: تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في العراق، للخطيب ابن النجف: ١١١.

ذلك استطاع المتظاهرون الدخول إلى كربلاء وترديد الشعارات المعادية للسلطة.

وبعد أن هدأت الأوضاع قامت السلطات البعثية باعتقال الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله ومجموعة كبيرة من العلماء وإعدام مجموعة من طلائع النهضة الحسينية أمثال: الشهيد يوسف الأسدي، والشهيد كامل ناجي مالو، والشهيد صاحب أبو گلل، والشهيد عباس عجينة، والشهيد محمد البلاغي، والشهيد ناجي محمد كريم، والشهيد غازي خوير، والشهيد عبدالوهاب الطالقاني، والشهيد جاسم الايرواني.

وفي هذه الفترة كانت الحركة الإسلامية تعيش امتحاناً صعباً في خضم هذه الظروف القاسية، وبشكل عام ومنذ مجيء النظام فقد ترك العراق أكثر روادها الأوائل نتيجة سياسة التشريد والتقتيل التي اتبعها النظام، فقد ترك العراق آنذاك الدكتور عبدالهادي الفضلي، والسيد مرتضى العسكري، والسيد محمد مهدي الحكيم، والشيخ محمد مهدي الآصفي، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والدكتور داود العطار، وجميعهم كانوا من أقطاب الحركة الإسلامية ومن أعمدتها بحق.

وقفة على انتفاضة صفر

إنّ ما حصل في العشرين من صفر لعام ١٩٧٧م هو الشرارة

الأولى للتحرك الإسلامي على مستوى المواجهة والصدام مع السلطة الحاكمة، كما أن الشيء الذي يميزها هو أنها أول انتفاضة جماهيرية واضحة ونابعة من صلب الجماهير، وكانت انتفاضة في مواجهة الحكم ومعارضته، ورفعت فيها شعارات إسقاط الحكم وضرورة إنهائه لأنه حكم طاغوتي، يتعامل مع الشعب بأساليب القمع والإرهاب، كما أنها ترجمة عملية لموقع الموكب الحسيني في التحرك الإسلامي، فهي جماهيرية التنظيم والأداء كما أنها جسدت عمق الترابط بين المرجعية والأمة، ومثلت الشاهد التاريخي على نزاهة الإسلاميين وبطولاتهم واستماتتهم في الدفاع عن هوية شعبهم الإسلامية.

وكذلك كشفت الانتفاضة الصفرية عن حجم التصدع الكبير في البناء الفكري والسياسي للعفالقة، وإلاّ فما معنى أن يشارك أعضاء كثيرون من حزب البعث في الانتفاضة بحماس وما معنى عزل اثنين من وزراء السلطة عن وزارتهم (فليح حسن جاسم، وعزة مصطفى).

هـ ـ انتفاضة رجب ١٩٧٩م:

حدثت هذه الانتفاضة على أثر اعتقال السيد الشهيد الصدر قدس سره حينما اعتقل في ساعة مبكرة من صباح يوم ١٧ رجب من سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، حيث نظم بعض تلامذته مظاهرة

صارخة انطلقت من حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وواصلت طريقها في شارع الإمام الصادق عليه السلام والسوق الكبير داخل المدينة، وفي الأثناء حصل اشتباك بين المتظاهرين وجهاز الأمن الإرهابي وتعالت أصوات الرصاص من قبل أزلام النظام، وسيطرت السلطة أخيراً على الموقف، وأُلقي القبض على الكثير من المتظاهرين بصورة عشوائية، فسارعت السلطة بعد ذلك إلى الإفراج عن الشهيد الصدر قدس سره[1].

بعد هذه الفترة، وأثر انعكاس أصداء انتصارات الثورة الإسلامية في إيران، وعلى أثر برقية آية الله السيد الخميني قدس سره المعلنة من إذاعة طهران ـ القسم العربي[2]، والموجهة إلى السيد الشهيد الصدر قدس سره، إنَّ ما وصل إلى السيد الخميني قدس سره من أخبار حول عزم السيد الشهيد مغادرة العراق، يذكر النعماني: «إنَّ السيد الشهيد لم يكن عازماً في واقع الأمر على مغادرة العراق؛ بل لم

(١) أُنظر النعماني: الشهيد الصدر/ سنوات المحنة وأيام الحصار / نقلاً عما كتبه السيد علي أكبر الحائري: ٢٢٠.

(٢) نص الرسالة التي وجهها السيد الخميني قدس سره إلى السيد محمد باقر الصدر قدس سره: «بسم الله الرحمن الرحيم: سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاج محمد باقر الصدر دامت بركاته علمنا أن سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث، إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية، وأنني قلق من هذا الأمر، آمل إن شاء الله إزالة قلق سماحتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». روح الله الموسوي الخميني

يفكر بذلك مطلقاً، فهل هناك شيء فرض أن تكون صياغة البرقية بهذا الشكل والسيد الشهيد لا يعلم؟ وكان هذا الاحتمال أقوى الاحتمالات التي تتعلّق بهذا الموضوع»[1].

في ضوء هذا الخبر توافدت الجموع البشرية لزيارة السيد الشهيدقدس سره تستفسر عن هذا الأمر، وهل حقاً سوف يغادر الشهيد الصدرقدس سره أرض العراق ويترك الجماهير المؤمنة والتحرك الإسلامي الذي يمر بأخطر وأهم مرحلة تاريخية؟! في هذه المرحلة كان الشهيد الصدرقدس سره يخطط لبدء مرحلة جديدة في المواجهة مع السلطة، ويجعل الشعب العراقي في طريق الصراع المباشر معها، رغم قساوتها وبطشها، وكان مستبشراً لقدوم هذه الوفود، حيث قال: «من كان يظن أن الجماهير ستستجيب إلى هذا الحد، وتتوافد إلى النجف الأشرف تطلب منّي أن أبقى معها، أو تعلن عن بيعتها على الموت في سبيل الله تعالى، في مثل هذه الظروف الأمنية القاسية؟ إنَّ هؤلاء جميعاً يعلمون أن ثمن مجيئهم الإعدام، أو السجن على أحسن التقادير، ومع ذلك فقد تحدوا الموت وجاءوا، إن هذا هو النصر المبين»[2].

من خلال قول السيد الشهيدقدس سره يمكن لنا استشراف

(١) النعماني، محمد رضا: الشهيد الصدرقدس سره / سنوات المحنة وأيام الحصار: ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق: ٢٧٣.

الظروف الموضوعية آنذاك، والتي يتضح من خلالها عمق الانتماء والأصالة بالهوية الإسلامية، إضافة إلى إظهار الحالة التعسفية والإجرامية الانتقامية للنظام المتسلط وحقده على الإسلام والشعب العراقي.

تحول شعار الوفود القادمة للسيد الشهيدقدس سره من حالة الاستفسار عن مغادرته العراق إلى شعار البيعة له، وهتفت الجماهير بشعارات أكدت هذا المفهوم مثل : «عاش عاش الصدر والدين دومه منتصر» وغيره..

هذا التجمع الجماهيري الذي شمل معظم مدن العراق بالمشاركة الشاملة والواسعة، والذي أثار استغراب أهالي النجف أنفسهم، ما هو إلا ثورة جماهيرية عارمة نجمت عن معاناة الشعب من اضطهاد وظلم العفالقة الذين نكلوا بالجماهير المسلمة، خصوصاً بعد انتفاضة العشرين من صفر وما لاقته الأمة من صنوف الظلم والاضطهاد والمطاردة والاعتقال وارتفاع حالات الإعدام وتوزيع التهم على المتدينين، وإبراز الجوانب الإفسادية بأجلى صورها والتجاهر باضطهاد المؤمنين والعلماء الذين تجلهم الأمة، وتكن لهم كل الحب والتقدير.

وقد أكّد مدير أمن النجف على هذا التجمع الجماهيري في لقائه

مع السيد الشهيدقدس سره: «إنّ ما حدث كان ثورة كادت أن تنجح لولا حزم القيادة»[1].

المحتوى السياسي للانتفاضة

تميزت الانتفاضة الرجبية بميزتين:

الأولى: عبرت هذه الانتفاضة عن الرفض المطلق لمجمل النظام الحاكم، فقد كانت قبلها انتفاضات عديدة عبرت بالرفض لبعض إجراءات وأساليب النظام الذي يتبعها.

الثانية: عبرت الانتفاضة الرجبية عن البعد الجهادي واستمراره حتى إسقاط النظام، رغم ما كانت تدركه الجماهير من حقيقة النظام القمعية، إذن هي أول مارسَخ المفهوم الجهادي بصورته الواسعة والذي مورس من قبل عامة المسلمين في التحرك الإسلامي العلني لمواجهة السلطة.

وقد أظهرت هذه الانتفاضة كفاءة القيادة الميدانية التي تمثلت في المرجعية الدينية بزعامة الشهيد الصدرقدس سره فقد كان للتحرك الجماهيري ارتباط وثيق بالقيادة الشرعية (المرجعية الدينية) التي كانت منفتحة في تعاملها مع كل القطاعات الجماهيرية، وعلى مختلف قومياتها وانتماءاتها المذهبية، فقد كانت هناك مشاركة أعداد

(١) النعماني، محمد رضا: الشهيد الصدرقدس سره سنوات المحنة وأيام الحصار: ٢٧٣.

من الأخوة أبناء العامة مع وفود البيعة (وتعتبر هذه الظاهرة فريدة من نوعها، فقد أثبتت أن الحواجز النفسيّة سرعان ما تنهار حينما تتوفر البيئة المناسبة، والقيادة الواعية)[1].

كما أن الجماهير هي الأخرى كانت منفتحة على القيادة، وكذلك أظهرت هذه الانتفاضة الجانب الثوري للقيادة الدينية (المرجعية) كما أظهرت روح التضحية، فلم تكن القيادة مسألة شكلية، ولم يكن الشهيد الصدر في مأمن وسلام ولم يترك الجماهير وحدها في التحرك؛ وإنما تحرك من صلب الجماهير، وكان على استعداد للبذل والعطاء ... وأعطى وضحى بما لديه في سبيل تحقيق هذه الأهداف، وهذا بعد مركزي ومهم من أبعاد القيادة في تحركها[2].

و ـ حقيقة النظام بعد الانتفاضة الرجبية:

كشفت الانتفاضة الرجبية اللثام عن حقيقة النظام البعثي في العراق بعد جهود إعلامية كثيفة استخدمها النظام في التزييف لإظهاره أمام العراقيين والعرب والعالم أجمع، بأنه النظام الذي يمثل كل القوميات والمذاهب السياسية في العراق وغيرها من

(١) النعماني: المصدر السابق: ٢٦٩.

(٢) الحكيم، محمد باقر: انتفاضة ١٧ رجب جسدت القيادة المرجعية للجماهير المسلحة / لواء الصدر العدد / ٩٧ السنة ٢، ٢٠ رجب ١٤٠٣ ـ ٤ مايس ١٩٨٣م.

تداعيات براقة حاول بها الخداع.

فقد كشفت الانتفاضة ارتباطات النظام بالامبريالية العالمية ووحشيته، وبالخصوص ما حصل بعد ١٧ رجب ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م من عمليات الإعدام والاعتقال والتهجير، فقد أقدم على قتل الشهيد الصدرقدس سره وأخته العلوية بنت الهدى، والعديد من العلماء والمثقفين، ومن ثم إعلانه الحرب الظالمة على الجمهورية الإسلامية، كما أنّها كشفت زيف الإدعاءات التي كانت تروّج لها أدبيات حزب البعث والتستر وراءها مدعية إسلامية الحزب والنظام، فقد اظهرت الانتفاضة عداء حزب البعث للحركة الإسلامية وحربه المستمرة للشعائر الحسينية.

ز ـ التحرك الإسلامي بعد استشهاد السيد الصدرقدس سره

بعد استشهاد السيد الصدرقدس سره كثف النظام نشاط أجهزته القمعية لإجهاض أي تحرك جماهيري، وبذلك اتخذت مواجهة النظام أشكالاً أخرى، لاسيما وأن الكثيرين ممن كانت له ارتباطات حزبية إسلامية أو ممن كانت له توجهات إسلامية استطاعوا الخروج من العراق إلى الجمهورية الإسلامية وبالخصوص علماء الدين الذين أسسوا في بادئ الأمر ـ في المهجر ـ جماعة العلماء، ومن ثم تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الذي يضم جميع الأحزاب، والمنظمات والهيئات والوجوه العراقية

المستقلة منها أيضاً، إضافة إلى ما استصحبه الوضع المعارض من تواجد قوات كبيرة منظمة.

أما في الداخل فقد نشطت حالة الكفاح المسلح ضد سلطة الإرهاب بدعم وتوجيه قيادة المعارضة الإسلامية في المهجر، وبذلك تطور عمل المعارضة الإسلامية بكافة الميادين الجهادية القتالية والسياسية والإعلامية، وأصبح للمعارضة وتحركها وجود وفاعلية كبيرة في الداخل والخارج، وقد تكثف العمل الجهادي كماً وكيفاً.

وقد استثمر هذا النشاط في انتفاضة عام ١٩٩١م الانتفاضة الشعبانية، التي ساهمت المرجعية الدينية بزعامة السيد الخوئي قدس سره بدعمها[1]، حيث أظهرت الانتفاضة عمق الانتماء والأصالة للشعب العراقي، وتمسكه بهويته الإسلامية، رغم كل ما استخدم من سياسيات التغريب ومسخ الهوية.

(١) رسالة شفوية إلى السيد محمد باقر الحكيم من السيد الخوئي: «أني أدّيت كل ما أتمكن من عمل في سبيل الدفاع عن الإسلام وخدمته»، من محاضرة ألقاها سماحة محمد باقر الحكيم في مدينة قم المقدسة في مسجد الإمام الرضا عليه السلام بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد الثلة الصالحة من آل الحكيم في ٧ شعبان ١٤١٧هـ ١٨ / ١٢ / ١٩٩٦م.

الفصل الخامس

الطـائفيــة

كان المجتمع العراقي منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي المصادف لأوائل القرن العاشر الهجري، قد أصبح عرضة للتأثر بالصراع الصفوي العثماني، سيّما وأن هذا الصراع السياسي بالدرجة الأولى قد اتخذ منحىً مذهبياً، ومما يذكر أن السلطان العثماني (سليم) استصدر من العلماء في عهده فتوى تبيح إبادة الشيعة، وقد ذُكر في كتاب (البلاد العربية والدولة العثمانية)[1] وقد قتل ما يقارب الأربعين ألفاً من الشيعة عند احتلال العراق.

وفي عام ١٥٠٨م احتل الشاه إسماعيل الصفوي العراق وقتل عدداً جسيماً من أعيان السُّنة، ودمّر أضرحة أبي حنيفة والكيلاني[2]، وفي عام ١٦٢٤م قام الشاه عباس بعمل مماثل[3]، وفي عام ١٦٣٨م أعاد مراد الرابع احتلال بغداد وصبَّ جام انتقامه على حوالي خمسين ألف شيعي.

نلاحظ من هذا التعاقب على احتلال العراق، أنّه صراع

---

(١) الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية: ٤٠.

(٢) مغنية، محمد جواد: دولة الشيعة في التاريخ: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٣) العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين: ٤:١٧٧.

سياسي يصحبه تطرف مذهبي من قبل العثمانيين، ومما يؤكد قولنا هذا ما جاء في كتاب (دولة الشيعة في التاريخ) الذي يذكر أن الشاه إسماعيل الصفوي، عندما احتل العراق قتل أعيان السُّنّة، ولم يذكر أنه قتل عدداً كبيراً من أبناء السُّنّة الأبرياء الذين لم يرتبطوا بنظام الدولة العثمانية، وإنّما قام بعملية تصفية شاملة لأنصار الحكم السابق.

وهذا ديدن الفاتحين الذين دخلوا بغداد، إلاّ أن العثمانيين، وكما تذكر المصادر التأريخية ـ كما مرَّ سابقاً ـ قاموا بقتل أعداد كبيرة من الشيعة سواء كانوا من أنصار الحكم الصفوي أو من عوام المجتمع، وفي ضوء ذلك يمكن لنا القول من وجهة نظر منطقية ان الصراع الطائفي بين السُّنّة والشيعة في العراق لم يكن له وجود، وبعبارة أدق .. أنّ الدولة العثمانية التي استمر حكمها في العراق من احتلال مراد الرابع لبغداد حتى سقوطها أبّان الحرب العالمية الأولى، كانت ذات سياسة قمعية تعسفية ضد الشيعة والعرب عموماً ـ إذن الطائفية إفراز سياسي سلطوي، ولم تكن وليدة الخلاف المذهبي أولاً ـ .

بعد ذلك وفي عام ١٩٢٠م أظهر السُّنّة والشيعة العراقيون وحدة ثورية ووطنية بالغة الدلائل.

إنَّ وراء هذه الوحدة عملية تاريخية، فإلى جانب التطور

الاجتماعي الاقتصادي، كانت تجري تغيرات فكرية شجعت على تنامي هذه الوحدة، وكان المبعث الأساسي لها هو قيام الحركات الدستورية في تركيا وإيران على السواء، والخوف المتزايد من التغلغل الاستعماري الغربي، ومن ثم تأثير أفكار المصلحين الإسلاميين المعادية للطائفية، وقد يرى البعض أن ازدهار الأفكار القومية العربية كان أيضاً سبباً من أسباب تطور هذه الوحدة بين الطائفتين!!.

ا ـ ظهور الدستورية:

ففي آب أغسطس ١٩٠٦م أعلن الدستور في إيران، وقد أثار ذلك صراعاً طويلاً في إيران بين الدستوريين وخصومهم، انعكس هذا الصراع تماماً في العراق، وكان الدستوريون يدركون تماماً أن نجاحهم يتوقف على كسب بعض كبار المجتهدين إلى جانبهم، وقد أعلن السيد كاظم الخراساني (وهو المجتهد الأول) ـ وقتئذ ـ في فتواه أن الخروج على الدستور هو بمثابة الخروج على تعاليم الإسلام نفسه[١] وقد أيده في فتواه عدد من المجتهدين الآخرين من بينهم الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني[٢].

(١) كمال الدين، محمد علي: التطور الفكري في العراق: ٢٣.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٢٤.

وفي تموز يوليو ١٩٠٩م أقصي الشاه المناوئ للدستور، وحلَّ محلّه آخر أكثر تعاطفاً، وقد أيّد علماء النجف (الدستوريون) هذه الحركة وأقاموا احتفالاً كبيراً[١]، وعندما أعلن الدستور العثماني الثاني، أرسل السيد كاظم الخراساني، بالنيابة عن المجتهدين (الدستوريين) ، (التقدميين) برقية إلى السلطان عبد الحميد، يطالب فيها بالاعتراف بالدستور كفرض ديني، وفي هذين الموقفين امتنع السيد كاظم اليزدي عن إعلان تأييده[٢].

فمن خلال هذا الصراع الناجم من حصيلة النمو الفكري يمكننا أن نحدد عدة أحداث جديدة على ساحة الصراع:ـ

١ـ بلوغ النجف الذروة لمكانتها كمركز للعواصف السياسية.

٢ـ بروز علماء الدين كأداة قوية في النشاط والتحريك السياسيين.

٣ـ ظهور تيارين متميزين بين العلماء أنفسهم، وهما التيار المتحرر (التقدمي) ويقابله التيار المحافظ.

٤ـ الإسهام الفعّال للعلماء بفتاواهم السياسية، الذي خلق جواً جديداً في البلاد.

٥ـ المناظرات المفتوحة والمناقشات الصريحة في الجوامع

(١) آل محبوبة، جعفر: ماضي النجف وحاضرها: ٢٤.

(٢) كمال الدين، محمد علي: التطور الفكري في العراق: ٢٧.

والمدارس (الحوزوية) في النجف وغيرها، ولدت وعياً عاماً في العراق، وذهبت إلى غير رجعة تلك الأيام التي كان الحكم الاستبدادي المطلق يقرن فيها بالإسلام، وبذلك بدأ الوعي السياسي يحل بنشاط فاعل محل السياسيات السلبية داخل البلد، ، ولا شك في أن الطائفية إحدى السلبيات السياسية المقترنة بالحكم الاستبدادي، فيمكن لنا القول، ومن خلال هذه الأحداث: إن الحركة الدستورية أو (المشروطة) أثارت جدلاً واسعاً في العراق، ولم يكن هذا الجدل محصوراً بين أوساط المثقفين الشيعة، بل امتد إلى أقسام أوسع من السكان وخلق انقساماً حول المسألة، وأخذ أبناء العامة (السُّنّة) من العراقيين يشتركون أيضاً في الجدل وينقسمون حولها ـ الدستورية والمشروطة ـ .

يتضح من خلال موقف السُنّة أن المشروطة عملت على إخماد الصراع الطائفي، وبذلك توجه الدستوريون العراقيون سواء كانوا شيعة أم سُنّة نحو قضية مشتركة يدافعون عنها، وهذا ما أُلقي الضوء عليه في عام ١٩١٠م من أن الفئات السياسية المتكونة حديثاً قد تخطت الهيكل الطائفي وضمت في صفوفها عناصر من الشيعة والسُنّة وحتى المسيحيين على السواء[١] .

(١) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٣:١١٥، ١٢٧، ١٦١، ١٧٠.

وفي مدينة النجف ـ بالذات ـ بلغ الصراع بين أنصار السيد كاظم اليزدي (المناوئين للدستور) وأنصار السيد كاظم الخراساني (الدستوريين)، وكان قائم مقام النجف ـ آنذاك ـ هو ناجي السويدي، الذي كان ـ قومياً عربياً ـ سُنيّاً، وقف إلى جانب الدستوريين وساعدهم بصورة رسمية[1].

٢ ـ التصدي والخوف من التغلغل الغربي:

إنَّ الخوف من التغلغل الغربي كان عاملاً آخر مهماً في التقريب بين المذاهب المختلفة وبالخصوص (السّنّة والشيعة)، وقد كانت أول بادرة على ذلك هي (امتياز التبغ) في إيران عندما أعلن المرجع محمد حسن الشيرازي فتواه الشهيرة بتحريم التبغ، وقدأدت هذه الفتوى إلى إلغاء العقود المبرمة بين حكومة الشاه وشركات المستعمر الاستثمارية.

وفي أواخر ١٩١١م دعا السيد كاظم الخراساني إلى الجهاد ضد الغزو الروسي لإيران، وفي نيسان ـ أبريل ١٩١٢م أيد دعوته الخالصي والصدر والشيرازي، أما اليزدي فلم يحرك ساكناً[2].

وفي أواخر عام ١٩١١م أعلن جمع من علماء الدين من ضمنهم السيد كاظم اليزدي حالة الجهاد ضد الغزو الإيطالي

(١) المصدر السابق ٣:١١٩.

(٢) المصدر السابق ٣:١٢٣ ـ ١٢٥.

لليبيا، وتشكلت في جميع أنحاء البلاد لجان تستقطب المجاهدين، وساهم الشيعة فيها مساهمة فَعالة[1]، وكان إسهام الشيعة في الجهاد يعني في الواقع مناصرتهم للدفاع عن بلد سُني وعن الوحدة العثمانية، وفي هذه المناسبة كتبت مجلة (العلم النجفية)[2]، مقالاً تضمن: «كلّما أزداد أعداؤنا ظلماً، اشتدت وحدتنا قوة»، وفي عام ١٩١٤م عندما أعلن المجتهدون الشيعة حالة الجهاد، ونظموا قوات كبيرة من العشائر العراقية للدفاع عن العراق ضد دخول الإنجليز عبّر العلماء بذلك تفضيلهم لحكم السُنّة على حُكم الإنجليز، وكانت هذه الفتوى العلمائية في الجهاد بمثابة الموقف التقاربي بين الشيعة والسُنّة.

٣ ـ أفكار المصلحين الإسلاميين.

كان لأفكار المصلحين الإسلاميين ثأثير بارز في عملية التقارب بين الطائفتين، فقد بشّر هؤلاء بالإسلام اللاطائفي والدعوة إلى وحدة الطائفة السُنّية والشيعية، وقد ركّزت أفكار هؤلاء المصلحين على خطر التغلغل الغربي في بلدان العالم الإسلامي، وأثره في مسخ الهوية الإسلامية فضلاً عن احتضان الفتن الطائفية بين المسلمين، فقد كان السيد جمال الدين الأفغاني

(١) الوائلي، ابراهيم: الشعر العراقي وحرب طرابلس.

(٢) مجلة العلم النجفية .. هي مجلة هبة الدين الشهرستاني، السنة الثانية العدد السابع ٢٣ نوفمبر / تشرين الثاني١٩١١م.

في البصرة أبان نشوء مشكلة (امتياز التبغ) فكتب رسالة دينية وعاطفية إلى المرجع محمد حسن الشيرازي يحثه فيها على التدخل، وقد تضمنت الرسالة هجوماً عنيفاً على الشاه الإيراني، وقد نشرت على نطاق واسع في العراق، وذكر أنّها كانت ذات تأثير قوي في النجف[1].

إنَّ عداء العالم المصلح (الأفغاني) لشاه إيران أثر في بعض المجتهدين إلى حدّ التشكيك في صواب تحالفهم مع الحكومة الإيرانية[2].

وخلال إقامته في العراق عام ١٨٩١م زار الأفغاني النجف وكربلاء والكاظمية وبغداد والبصرة، وقام باتصالات مع العديد من العلماء وبشر بأفكار وأثّر على بعض العراقيين المجتهدين البارزين منهم السيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد هبة الدين الشهرستاني والكاظمي[3].

وفي (الأستانة) في تركيا أسس لجنة تدعو للوحدة الشيعية ـ السنية، وكتب عدة رسائل للمجتهدين أورد فيها عدة أمثلة من التاريخ، وحثهم على التقارب والوحدة مع السُنّة للدفاع عن

(١) الأمين، جمال الدين الأفغاني، وقد ورد نص الرسالة في كتاب، محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده ٣:٥٦ ـ ٦٢.

(٢) القصاب، عبدالمحسن: ذكرى الأفغاني في العراق: ٨٥ وعراقيات الكاظمي: ٧٦.

(٣) المصدر السابق نفسه.

الإمبراطورية العثمانية (وكان هذا حسب رأي الأفغاني أفضل وسيلة للدفاع عن الإسلام ضد المطامع الغربية)[1].

وقد حققت جهود المصلح ـ الأفغاني ـ بعض النجاح في كلّ من إيران والعراق[2]، ومما تجدر الإشارة إليه أن فتوى كافة علمائنا الشيعة ضد الغزو البريطاني عام ١٩١٤م تقوم على مبدأ الدفاع عن أهل الثغور[3]، وهو المبدأ نفسه الذي كان يدعو إليه الأفغاني منذ عام ١٨٩١م.

إنّ جميع هذه العوامل قرّبت ما بين أبناء الطائفتين السُنيّة والشيعية وسمحت بقيام تضامن جديد نوعاً ما، وقد وجدت العناصر التقدمية التحررية من الطائفتين في قضية (المشروطية) وفي إصلاح شؤون الإسلام رؤية مشتركة في النهوض والتصدي للخطر الذي يجابه الإسلام والمسلمين، إلاّ أن خيبة أمل الشيعة في التقارب الطائفي فيما بعد، والجفاء الذي أخذ ينمو بين علماء الشيعة وعلماء السُنّة بسبب تقارب جماعة السُنّة إلى مركز السلطة والاستمالة نحو الإنجليز، ونفورهم من علماء الشيعة، كانت أسباباً أثَرت في تحديد مستقبل العراق السياسي مع بريطانيا، وما آلت إليه النتائج من اضطهاد مستمر لرجالات الشيعة وعلمائها.

(١) المخزومي، مهدي: خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني: ٤١٥.

(٢) الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٣: ٣٠٤ ـ ٣٠٦.

(٣) من دعاء الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

رؤية الحوزة في تشكيل الدولة الحديثة

لم يكن التحرك السياسي العلمائي وليد هذه المرحلة، ففي حركة الجهاد وفي ثورة العشرين كان هناك تحرك إسلامي وطموح لاستلام السلطة في قيادة المجتمع العراقي[1] وبالخصوص في ثورة العشرين، أما ما بعدها فكانت هناك أحزاب ومنظمات، ولكن كانت تمثل اتجاهات قومية كحزب الاستقلال الذي فتح له فرعاً في النجف، وكان من مسئوليته في المدينة كسب أبناء العوائل الدينية المعروفة، وكذلك الأحزاب الوطنية كالحزب الوطني الذي مثله (كامل الجادرچي)[2].

---

(١) مثل جمعية النهضة الإسلامية التي تأسست في النجف الأشرف بعد الاحتلال البريطاني للعراق، وكانت بزعامة الشيخ محمد جواد الجزائري، وعضوية كل من: عباس الخليلي، محمد علي الدمشقي، عباس علي الرماحي، عبدالرزاق عدوه، كاظم صبي.

أُنظر: العمر، فاروق: الأحزاب السياسية في العراق (١٩٢١م ـ ١٩٣١م): ٣٧، وكذلك محبوبة، جعفر: ماضي النجف وحاضرها ١:٣٤٩.

(٢) من مذكرات الشهيد السيد مهدي الحكيم: ٢٥.

النجف هذه المدينة المعروفة بطقوسها الدينية وتأثر أهلها وساكنيها بالفكر الإسلامي، كما يبدو ظاهراً كانت لا تخلو من صراعات فكرية حادة داخل البيت الواحد، فقد كانت هناك الأفكار الشيوعية والقومية والإسلامية، وقد ذكر العلامة الشهيد مهدي الحكيم رحمه الله: كان يتنازعني ثلاثة؛ الشيوعيون والقوميون والإسلاميون، الشيوعيون يمثلهم السيد محمد الحكيم وهو من أرحامنا وهو الذي أسس الحزب الشيوعي في النجف، وقد ورّط معه الأخوين جعفر وجواد أولاد الشيخ حسين مشكور، وكان هو وصالح بحر العلوم على اتصال مباشر مع (فهد) .. بعدها أخذت أتردد على مدرسة الجزائري وفيها أحمد الجزائري وابن الحبوبي ـ لا أتذكر اسمه ـ وكانا يريدان فتح فرع لحزب الإستقلال في النجف، وكان أحمد قومياً .. وفي نفس الوقت كان الشيخ عزالدين الجزائري يعمل على أساس التحرك لجمع الناس أكثر، وهو الذي دفعني للتحرك، وكان هذا التحرك يقوم على أساس الإسلام[1].

هذه الصورة من مذكرات السيد الشهيد مهدي الحكيم رحمه الله تعطينا صورة واضحة ودقيقة عن طبيعة الأفكار السائدة

(١) من مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم رحمه الله التحرك الإسلامي في العراق: ٢٩.

والمتصارعة في النجف الأشرف، المدينة المقدسة.

بعد تشكيل الدولة العراقية الحديثة احتج الشيعة[1] على أنهم ليسوا ممثلين تمثيلاً عادلاً في مجلس الدولة قياساً إلى عدد الممثلين من أبناء العامة الذين كانوا هم المهيمنين على مقدرات ومقررات المجلس.

كشف الشيعة بهذا الاحتجاج حقيقة السياسة البريطانية القائمة على استخدام نفس السياسة التركية بضرب الأكثرية الساحقة في المجتمع بالأقلية المتحالفة معها، وبما أن أبناء العامة لم يكن لهم صراع قائم مستمر مع الدولة العثمانية؛ لأنّها سايرت مشاعرهم وعقائدهم الدينية، إلا أنهم نالوا منها الكثير من التنكيل والأضطهاد، هذهِ السياسة التركية كانت تعيها الدوائر البريطانية، وتتحسس عمق المأساة التي يعاني منها الشيعة حتى ساورها الاعتقاد في حالة دخولهم العراق، بأنّهم سوف يكسبون الشيعة وينظمون تحت لوائهم نتيجة لمأساتهم واضطهادهم من جراء السياسة التركية، ولكن تبين لهم منذ الشرارة الأولى في الشعيبة أنّهم كانوا مخطئين في تقديرهم للموقف الشيعي، فهم أول

(١) وهذا أحد اسباب تصعيد المواجهة بين علماء الدين والحكومة العراقية الجديدة ومقاطعة الانتخابات وتنديدهم بالانتداب والمعاهدة (من مجمل ما جاء في الذكر للثورة العراقية الكبرى).

من وقف محارباً إياهم ـ الإنجليز ـ ناصرين بذلك الموقف الخطير للدولة العثمانية وما تمر به من محنة المواجهة والصدام مع قوات الإنجليز. بالطبع ونتيجة لهذا الموقف لم تغفر الدوائر البريطانية ـ بعد احتلالها للعراق ـ الموقف الشيعي المتزمت إزاء سياستها ووقوفهم ابان دخول الإنجليز إلى العراق.

وقد عبّرت المس بيل عن حقدها وحقد سياسة بلادها على الشيعة وعلمائهم بالقول: «أما أنا شخصياً، فابتهج وأفرح أن أرى هؤلاء الشيعة الأغراب يقعون في مأزق حرج، فأنّهم من أصعب الناس مِراساً وعناداً في البلاد»[1].

ومن الطبيعي أنَ ما تعنية كلمة(العناد) هو عنادهم للسياسة البريطانية وعدم قبولهم الخضوع لإرادتها.

وقول(المس بيل) هذا، يمثل عين السياسة البريطانية تجاه الشيعة، لاسيما وانها سكرتيرة المندوب السامي البريطاني ، وقد كانت النتائج التي رسمتها السياسة البريطانية فيما بعد أنَ مجلس الدولة لم يضمَ سوى أفراد ممثلين عن مناطق بغداد، والبصرة، والموصل، كركوك، أما النجف وكربلاء والكاضمين وسامراء

(١) النفيسي، عبدالله فهد: دور الشيعة في تطوير العراق السياسي الحديث: ١٩٩ عن private papers of G.L. Bell, BOX ٣٠٣ /٤ /٣. SO.s Durham.

فلم يكن لها ممثلين داخل المجلس، وهذا خلاف ما أظهره تقرير السير برسي كوكس الذي رفعه الى مجلس العموم البريطاني... من أن مجلس الدولة يمثل جميع القطعات والمناطق في البلاد[١].

أما مدينة كربلاء، وبعد احتجاج الشيعة على ما يبدو، فقد مثلَها السيد محمد مهدي بحر العلوم[٢] فأسندوا إليه وزارة المعارف والصحة، باعتبار أنه شيعي، ولذلك كان يشغل منصب معاون الحاكم السياسي في كربلاء عام ١٩١٨م.

ومن طبيعة هذا الإشكال المتعمد من جراء سياسة الدوائر البريطانية لم تأمل الشيعة أن تحضى بالمناصب الرفيعة في الحكومة الجديدة، (وقد توقعت دوائر الاستخبارات البريطانية أن تؤدي هذه السياسة إلى الإيقاع بين الطائفتين، وخلق حالة من سوء التفاهم)[٣].

هذا التمثيل الحاصل في مجلس الدولة أسفر عن تمثيل آخر على مستوى الأولوية (المحافظات) والمناطق الملحقة بها من الأقضية والنواحي، حيث انهال أبناء العامة على تعيين أقرانهم من أبناء

---

(١) المصدر السابق:١٩٩ عن DebtesH. ٢،١١،٢٠, uol. ١٣٤, p. ١٧٢

(٢) ضم إلى المجلس بعد احتجاج الشيعة على عدم تمثيل المناطق المقدسة في المجلس، وتم اختياره لرغبة كوكس، فنفذ عبدالرحمن الگيلاني تعيينه.

(٣) المصدر السابق: أُنظر ما جاء في الفصل الأول من بحث: حركة الجهاد: ١٩٩.

العمومة الطائفية في كافة الألوية العراقية وتابعاتها.

هذه الخطوة لم تنجم عن سلامة الحكم ونياته تجاه الشيعة، فقد كان لهذا التمثيل ـ في الألوية ـ خطورة بالغة في نزاع الطائفتين، ولاسيما أبناء الشيعة الذين تذمروا من هذا التمثيل المجحف بحقهم، وبقيت المعاناة الشيعية على ما هي عليه امتداداً من الاحتلال التركي إلى الاحتلال البريطاني، لاسيما وان الشيعة كانوا يتطلعون إلى قوانين الدولة العراقية الجديدة، التي كان من المفترض أن تجعل لهم ـ الشيعة ـ حصة في الحكم بعد أن ساهموا في جلب الملك فيصل من الحجاز.

فالرأي السائد أن الشيعة كانوا عازفين عن استلام السلطة، واستلام مقاليد الحكم الوزارية، و أن البريطانيين استمالوا الشيعة وبالخصوص عند تكوين الدولة العراقية الجديدة، وعلى أن الشيعة هم أساس الثورة وهم الأساس في المطالبة بالإستقلال، وهم الأكثر تضحية من باقي الطوائف والمذاهب في التوق إلى الحرية والاستقلال، يجعل البعض يعتقد أن الإنجليز خاطبوا الشيعة باستلام الحكومة الجديدة، ولكنهم رفضوا ذلك!!.

ولكن هذا الرأي لا يكشف عن حقيقة الواقع، ولا عن حقيقة التصور المفترض، فكيف يستميل البريطانيون الشيعة وهم

الأغلبية الذين وقفوا بوجه البريطانيين في احتلالهم للعراق، وقد كان من نتائج الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م عدد كبير من الضحايا البريطانيين أو بالأحرى أن البريطانيين لم يخسروا هذا العدد الهائل من الأرواح في كلّ معاركهم سواء في مصر أو الهند أو أي بلد قاموا باحتلاله، فهم فقدوا العديد من السلاح منذ حركة الجهاد الأُولى وحتى الاضطرابات المحلية بعد ثورة العشرين، وكانت أغلب خسائرهم في مناطق الفرات والمناطق الجنوبية من العراقيين الذين هم الغالبية العظمى من العشائر الشيعية المتمثلة بمذهبها وانتمائها المرجعي ووفائها للعلماء.

فالتأكيد القطعي يوجب إلغاء هذه التصورات اللامنطقية في البحث والتقييم، لاسيما وأن نظرة البريطانيين إلى الشيعة نظرة يعتريها الحقد والكره العميقين، فقول المس بيل: «أبتهج وأفرح أن أرى هؤلاء الشيعة الأغراب يقعون في مأزق حرج».

فالانكسار الذي واجهه البريطانيون أمام صلابة الشيعة، واجهوا في قباله مواقف الليونة والخضوع والذيلية من قبل بعض قادة أبناء العامة، وهذا ما يفسر لنا عدم حيازة النصر الحاسم في الثورة العراقية الكبرى، فالعشائر السنية لم تشترك في ثورة العشرين باستثناء (عشيرة زوبع الجنابيين وعشيرة البوحميي، أما الراويين فقد حرروا راوة وهيت وألوس والسهيلة ومناطق

أخرى في أعالي الفرات)[1].

ولاشك في أن الطائفية كانت سبباً رئيسياً لعدم اشتراك أغلب العشائر السنية في ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠م، وليس السبب كما يعزوه البعض إلى انحطاط رؤساء هذه العشائر وطمعهم المادي، وإلاّ فإنّ الإنجليز كانوا سيجدون رؤساء عشائر من الشيعة تقبض أموالهم وتنفذسياستهم، ولكن هؤلاء سيسقطون في نظر الناس ويطردون من وجاهة المجتمع بسبب المكانة الكبيرة المهيمنة للمرجعية الدينية الشيعية التي جمعت الجموع، وأعطت أوامر الجهاد والثورة والتي لا يوجد مثلها عند سنة العراق، فإن الإنجليز وجدوا في الطائفية السلاح الذي يسيطرون به على العراق فيما بعد، لذلك حاول كوكس إقناع عبدالرحمن الكيلاني بإدارة الحكومة الجديدة دون أحد الزعماء الشيعة، لاسيما وأن البريطانيين قاموا بإقصاء جميع الشيعة عن المناصب الرفيعة المسئولة، وبالخصوص بعد ضرب الحصار على النجف سنة ١٩١٨م وقصفها بمدافع الهاون[2].

فالطائفية هي السلاح الأكثر تأثيراً في إذلال الشيعة وحرمانهم

(١) السامرائي، سعيد: الطائفية في العراق الواقع والحل: ١٠٣.

(٢) النفيسي، عبدالله فهد: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ١٩٩، واستمر هذا الإقصاء حتى في تكوين الدولة العراقية الجديدة.

من حقوقهم ومشاركتهم في مصير بلدهم، وهي وتر حساس في خلق حالة الصراع داخل المجتمع العراقي، والسيطرة على مجرى الأمور بما تشتهي السياسة البريطانية، وحينما احتج الشيعة على التمثيل في مجلس الدولة والمطالبة بحقوقهم، حاول البريطانيون زرع الثقافة الجديدة والاستفادة من الأطروحة القومية واتهام الشيعة بأنّهم ليسوا عراقيين؛ وإنّما من القومية الإيرانية، وبذلك لا يحق لهم المطالبة بمصير العراق وسياسته المستقبلية، ولكي يضمن البريطانيون وعملاؤهم السياسة التي رسمت لانقياد العراق والعراقيين في ضوء منهج الدولة العراقية الجديدة، كان يجب عليهم أن يوسعوا فتنة الخلاف الطائفي، وأن لا يحدث التعاون بينهما ـ الشيعة والسُنّة ـ فقد مارست السياسة البريطانية سياسة التجهيل للسُنّة والتوجيه الخاطئ للمجتمع بنحو ينتهي فيه الفرد السني إلى أن الشيعي العراقي هو إيراني الأصل أو موالٍ لإيران فطرياً، وهو شعوبي يكره العرب وعقائده عبارة عن شعوذة وخرافات معادية للإسلام! وفي المقابل يكون التثقيف البريطاني على إن السنة هم بقايا الأتراك وليس منهم من هو عربي ! وبهذه السياسة مارس البريطانيون استنـزاف العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافة.

أ ـ الطائفية في تشكيل الوزارات:

بعد أحداث الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م ورغبة العراقيين بانسحاب القوات البريطانية من العراق ومطالبتهم بالحرية والاستقلال، حاولت الحكومة البريطانية الوقوف وراء الستار موجهة دفة الأمور السياسية في البلد بما يحقق مطامعها وطموحها في العراق، فقد عمل كوكس المندوب السامي على إقامة مجلس للدولة ليدير شؤون الإدارة عملاً برغبة حكومة صاحب الجلالة في بريطانيا العظمى.

وكأمر طبيعي لأطماع البريطانيين في البلد والتحكم بمصيره مستقبلاً توجهت أنظارهم لاختيار السيد عبدالرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد لرئاسة مجلس الوزراء في أول حكومة وطنية، ضمت وجوه عراقية موالية لبريطانيا[١]، بعد أن أقنع النقيب بهذا المنصب الذي كان قبل ذلك عازماً على عدم الاشتراك في السياسية مؤكداً قوله: «وسوف لا أبدل ما قلته حتى ولو كان ذلك يؤدي إلى إنقاذ العراق من الدمار العام»[٢].

فقد تم تشكيل الوزارة الأُولى للحكومة العراقية المؤقتة في ١٢

(١) كان معظمهم من البيوتات المعروفة، وممن لا يتسرب الشك إلى سلوكهم السياسي، أو الذين وقفوا من الثورة موقف المعارض، الوزارات العراقية ١٨:١ عبدالرزاق الحسني.

(٢) الحسني، عبدالرزاق: الوزارات العراقية ١٨:١.

صفر ١٣٣٩هـ ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠م وتألف المجلس الوزاري من:

١ـ السيد عبدالرحمن الكيلاني، نقيب أشراف بغداد، رئيساً لمجلس الوزراء.

٢ـ السيد طالب النقيب، وزيراً للداخلية.

٣ـ حسن راجي الپاچه چي وزيراً للعدل.

٤ـ جعفر العسكري وزيراً للدفاع الوطني.

٥ـ عزت باشا الكركوكي وزيراً للمعارف والصحة.

٦ـ ساسون حسقيل وزيراً للمالية.

٧ـ مصطفى الآلوسي وزيراً للأوقاف.

٨ـ عبداللطيف المنديل وزيراً للتجارة.

٩ـ محمد علي فاضل وزيراً للنافعة (وزارة الأشغال والمواصلات)[1].

وفي ٢٢ شباط ونتيجة لاحتجاج الشارع العراقي على هذه التشكيلة الوزارية، وبالخصوص من قبل الشيعة، حاول كوكس بعد اقتراح تقدم به للمحافظة على مظهر التمثيل النسبي فاختير

(١) الحسني، عبدالرزاق: المصدر السابق: ١٩٣.

محمد مهدي آل بحر العلوم الكربلائي[1] الملقب بمرزه كچك وزيراً للمعارف بعد أن أحدث المجلس الوزاري تغييراً في الوزارات والشخوص المستوزرة.

وقد أكد السيد الحسني في كتابه تاريخ الوزارات العراقية الجزء، الأول؛ أن السربرسي كوكس المندوب السامي في العراق أراد أن يحذوا في العراق حذو الحكام البريطانيين في المستعمرات، فعين بعض هؤلاء المنتمين إلى البيوتات والأُسر المعروفة، وزراء بلا مناصب وزارية وكان معظم هؤلاء ممن تفرّس المندوب السامي فيهم الفائدة لتنفيذ سياسته المرسومة، أما عددهم فكان أثني عشر، وهم:

١ـ حمدي باشا بابان ـ بغداد.

٢ـ عبدالجبار الخياط (مسيحي) ـ بغداد.

٣ـ عبدالغني كبة (شيعي) ـ بغداد.

٤ـ عبدالمجيد الشاوي ـ بغداد.

٥ـ عبدالرحمن الحيدري ـ بغداد.

(١) ويقول ولسون الحاكم الملكي العام في العراق في ٣٨٨ من كتابه Aclach of ان السيد محمد مهدي هذا، كان قد عين معاوناً للحاكم السياسي في كربلاء في ١ شباط ١٩١٨م وهذا سر اعتماده من قبل السربرسي كوكس، عن كتاب الوزارات العراقية / للحسني ١:٢٠.

٦ ـ فخر الدين آل جميل ـ بغداد.

٧ ـ محمد الصيهود (شيعي) ـ الكوت.

٨ ـ عجيل السمرمد (شيعي) الصويرة.

٩ ـ أحمد الصانع ـ البصرة.

١٠ ـ سالم الخيون (شيعي) ـ الحمّار.

١١ ـ هادي القزويني ـ الحلة، الذي حلَّ محلّه نجم البدراوي (شيعي) ـ عمارة[١].

١٢ ـ داود اليوسفاني (مسيحي) ـ الموصل[٢].

هذه التشكيلة الوزارية الخالية من المناصب لم تخلُ من عملية اختيار دقيق في التمثيل؛ فإنَ نسبة أبناء العامة ـ السُنّة ـ فيها أكثر من الشيعة، والجميع ممن وقع عليهم الاختيار هم من الموالين للسياسة البريطانية، ولم يبدوا أي مشاركة في الرفض أو الثورة على الإنجليز سواء من الشيعة أومن السُنّة.

هذه التشكيلة الوزارية كانت الأساس الأول ـ في عهد الاحتلال البريطاني ـ في دق إسفين الخلاف السياسي الطائفي، والذي نشب بالتعاقب تشكيلات لنماذج سلطوية مارست

(١) فوستر، هنري: نشأة العراق الحديث: ٣٧٣:٢ ـ ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي.

(٢) انظر تاريخ الوزارات العراقية لعبد الرزاق الحسني ١: ٢٠

الأسلوب الطائفي سلاحاً دفاعياً في الحفاظ على مواقعهم الأُولى في السلطة متزينين بأثواب طائفية وقومية.

الوزارات النقيبية:

الوزارة الثالثة: ٣٠ / أيلول / ١٩٢٢م ـ ٧ / صفر / ١٣٤١هـ.

١ ـ عبدالرحمن النقيب ـ رئيس الوزراء.

٢ ـ عبدالمحسن السعدون ـ وزير الداخلية.

٣ ـ ساسون حسقيل ـ وزير المالية.

٤ ـ توفيق الخالدي ـ وزير العدلية.

٥ ـ جعفر العسكري ـ وزير الدفاع.

٦ ـ صبيح نشأت ـ وزير الأشغال والمواصلات.

٧ ـ محمد علي فاضل ـ وزير الأوقاف.

الوزارة الثانية: ١٢ / أيلول / ١٩٢١م ـ ٩ / محرم / ١٣٤٠هـ.

١ ـ عبدالرحمن النقيب ـ رئيس الوزراء.

٢ ـ الحاج رمزي بك ـ وزير الداخلية.

٣ ـ ساسون أفندي ـ وزير المالية.

٤ ـ ناجي بك السويدي ـ وزير العدلية.

٥ ـ جعفر باشا العسكري ـ وزير الدفاع.

٦ ـ عزت باشا ـ وزير الأشغال.

٧ ـ عبداللطيف باشا المنديل ـ وزير التجارة.

٨ ـ عبدالكريم الجزائري ـ وزير المعارف.

٩ ـ حنا أفندي خياط ـ وزير الصحة.

١٠ ـ محمد علي فاضل أفندي ـ وزير الأوقاف.

وقد اعتذر العلامة عبدالكريم الجزائري عن قبول هذا المنصب ووقع الاختيار على العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني، وكان في النية إسناد هذا المنصب ـ وزير المعارف ـ إلى الشيخ كاظم الدجيلي.

الوزارات السعدونية:

الوزارة الأولى: ١٨ / ١١ / ١٩٢٢م واستقالت في ١٥ / ١١ / ١٩٢٣م.

١ ـ عبدالمحسن السعدون ـ رئيس الوزراء.

٢ ـ ناجي السويدي ـ وزير الداخلية.

٣ ـ ساسون حسقيل ـ وزير المالية.

٤ ـ عبدالحسين الچلبي ـ وزير المعارف.

٥ ـ ياسين الهاشمي ـ وزير الأشغال والمواصلات.

٦ ـ عبداللطيف المنديل ـ وزير الأوقاف.

٧ ـ نوري السعيد ـ وكيل لوزارة الدفاع.

الوزارة الثانية من ١٩٢٣/١١/١م واستقالت في ١٩٢٥/٦/٢٦م.

الوزارة الثالثة من ١٩٢٨/١/١٤م واستقالت في ١٩٢٩/١/٢٠م.

الوزارة الرابعة من ١٩٢٩/١/١٣م واستقالت في ١٩٢٩/٩/١٩م.

وزارت جعفر العسكري:

الوزارة الأُولى: من ١٩٢٣/١١/٢٢م واستقالت في ١٩٢٤/٨/١٢م.

١ ـ جعفر العسكري ـ رئيس الوزراء.

٢ ـ علي جودت ـ وزير الداخلية.

٣ ـ الحاج عبدالمحسن شلاش ـ وزير المالية.

٤ ـ أحمد الفخري ـ وزير العدلية.

٥ ـ نوري السعيد ـ وزير الدفاع.

٦ ـ صبيح نشأت ـ وزير الأشغال والمواصلات.

الوزارة الثانية: ٢١/ ١١/ ١٩٢٦م واستقالت في ١٩٢٨/١/٨م.

ب ـ دور القومية والأثر الطائفي:

وظهرت القومية ـ بشكل خاص ـ بعد الحرب العالمية الأُولى وبدأت تحل محل الولاء الديني، فأصبح الكثير من الزعماء العرب

من دعاة العروبة المتحمسين، وراح بعضهم يدعي الانتماء إلى أصل قبلي عربي، بعضه صحيح، وبعضه أسطوري لا وجود له[1].

وطفحت رابطة الدم التي اعتبرت إحدى المقومات الهامة في مجال توزيع المناصب الإدارية والسياسية، وساهمت رابطة الدم على مستويين، عنصري ينحدر من أصول تركية، وعائلي عن طريق المصاهرات الزوجية، ولهذا لو أمعنا النظر في عائلة سليمان والمكونة حكومته ـ حكمت سليمان ـ من هذين المستويين (العنصرية التركية ـ المصاهرات الزوجية) نرى:

١ ـ حكمت سليمان ـ رئيس الوزراء.

٢ ـ خالد سليمان ـ وزير.

٣ ـ مراد سليمان ـ والي بغداد السابق.

٤ ـ راغب سليمان ـ عضو مجلس المبعوثين العثماني.

ويتفرع عن هذه العائلة: ـ

١ ـ ناجي شوكت ـ رئيس وزراء ـ أُمه بنت راغب سليمان.

٢ ـ سامي شوكت ـ زعيم في الحركة القومية.

٣ ـ صائب شوكت ـ شقيقه.

---

(١) العلوي، حسن: التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق (رسالة ماجستير)، ولطفي، جعفر فرج: عبدالمحسن السعدون: ٦١ ـ ٦٢، بغداد.

٤ـ رشيد عالي الگيلاني ـ تزوج كريمة مراد سليمان.

٥ ـ وتزوج ناجي شوكت كريمة محمد آصف أغا.

٦ ـ وتزوج كامل الجادرجي الكريمة الثانية لمحمود آصف أغا.

٧ ـ تزوج أحمد الگيلاني الكريمة الثالثة.

٨ ـ وتعتبر عائلة الدفتري وهي من أصول تركية ذات فروع مهمة، فوالدة الجادرجي بنت الدفتري، وقد عرف من العائلة صبحي الدفتري ومحمود الدفتري وزيراً ثلاث مرات.

وفؤاد الدفتري عضو مجلس النواب العثماني، وصبيح ممتاز مدير الدولية العام.

٩ـ وقد تزوج علي ممتاز الدفتري ابنة ياسين الهاشمي فأصبح وزيراً ملازماً أو ممثلاً لعم زوجته طه الهاشمي ١٨ مرة.

١٠ ـ كان جعفر العسكري يتيماً فتبناه محمد فاضل الداغستاني وكلاهما من أُصول تركية.

١١ ـ تزوج نوري السعيد شقيقة جعفر، وتزوج جعفر شقيقة نوري وأصبح تحسين العسكري وزيراً ثلاث مرات، ونوري السعيد وزيراً (٤٧) مرة ...[١].

وغيرها من سلسلة البيوتات والمصاهرات العائلية التي

(١) العلوي، حسن: التأثيرات التركية: ١٠٣.

حكمت العراق بنفس طائفي مقيت.

وقد يتساءل البعض كيف أن البريطانيين ساهموا في إعطاء الحكم بأيادٍ تركية؟!وهذا يتضح من خلال معالم سياستهم المتمثلة بـ:

١ـ السياسية البريطانية في العراق ذات أهداف ومصالح، تمثلت أهدافها على أن يبقى العراق مستعمراً لها، ولا يتم لها ذلك إلاّ في ممارسة الضغوط الطائفية بين السُنّة والشيعة وإبعاد الشيعة من المناصب الحساسة.

٢ـ بعد الحرب العالمية الأُولى بدأت القومية ـ وهي من مفردات الثقافة المستوردة مع دخول البريطانيين إلى العراق ـ تحل محل الولاء الديني لطاعة المستعمر، فأغلب القبائل والبيوتات التركية المنتعشة في العراق أدعت الأصول العربية مع تمذهبها الطائفي ـ السُنّي ـ لأن أغلبية القومية العربية في الوطن العربي هم من أبناء العامة ـ السُنّة ـ والأقلية العربية هم من الشيعة والمذاهب الأخرى، والتي حاول البريطانيون النيل منها ـ الشيعة ـ عندما أطلقوا عليهم (الشعوبية) وأنهم الدخلاء على العرب، وبذلك ارتأت الحكومة البريطانية معاضدة هؤلاء الأتراك المستعربين الطائفيين أفضل وآمن من معاضدة البعض من ذوي الأصول العربية من أبناء العامة المعتدلين فضلاً عن الشيعة[1].

(١) قد يعتقد البعض أن الإنجليز حينما استصحبوا السياسية الطائفية في العراق، لم يعوا أن

جـ ـ موقف العلماء قبال طائفية الحكم:

قبل أحداث الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م، اتجهت السياسة البريطانية ـ بخدعة سرعان ما تكشفت أسرارها ـ نحو علماء الشيعة لاستمالتهم للحكم، رغم المواقف المضادة من علماء الشيعة للسياسة البريطانية منذ اليوم الأول للاحتلال، وجهادهم المستمر منذ الشعيبة حتى دخول الإنجليز إلى بغداد، وقد استمر البريطانيون باحتلالهم من البصرة حتى بغداد، ما يقارب (السنتين) منذ عام ١٩١٥م ـ ١٩١٧م، نتيجة لجهاد علماء الشيعة ودورهم المهم والمؤثر في الوسط العراقي الإسلامي، في حين كانت توقعات القائد العسكري (التزم بأن لا يتعطل ـ الاحتلال ـ بين البصرة وبغداد أكثر من اثني عشر يوماً)[1].

فهذه الاستمالة للعلماء الشيعة لم تنم عن صدق نوايا السياسية البريطانية، وإنما كان الأساس منها (صرف قلوب العلماء عن الدولة التركية، فأرجعوا جميع الشؤون الشرعية من القضاء والأوقاف

الشيعة هم الأغلبية قياساً للسُنّة داخل العراق، وبذلك فهم لم يمارسوا غمط حق الأغلبية في التسلط، واقعاً هذا الرأي تدحضه النفس العدائية في أقوال المس بيل، ولونگريك، وأغلب من كتب عن الثورة العراقية عام ١٩٢٠م من الباحثين الأجانب، ثم أن التشكيلات الوزارية لم يراعَ فيها نسبة الشيعة إلى نسبة السُنّة.

(١) من تعليقة السيد الخراساني على كتاب السيد إبراهيم الراوي نقلاً عن (الطائفية في العراق ... الواقع والحل) السامرائي.

وغيرها إليهم وقطعت أيادي علماء السُنّة عنها بالكلية)[1].

أما واقع علماء السُنّة في هذه الفترة، فإنَ أفضل من صّوره آية الله السيد محمد هادي الخراساني الحائري المتوفي (١٣٦٨هـ) في تعليقته على كتاب إبراهيم الراوي[2] (توجهت قلوب علماء السُنّة إلينا، حتى أن رؤساءهم يحضرون مجالسنا ويقبّلون أيادينا مع أنهم كانوا في زمان الدولة العثمانية لا يعتنون بشؤوننا ولا ينظرون إلينا إلاّ بالحقارة)[3].

موقف أبناء العامة المتحسن ـ في هذا الظرف ـ لم يكن وليد الوحدة الإسلامية والتقارب المذهبي؛ وإنّما مواقف مصلحية تنم عن حالة الخضوع والخوف من سلطة رجال وعلماء الشيعة نتيجة للثقافة التجهيلية المتكونة لدى السُنّة نحو الشيعة[4].

---

(١) المصدر السابق: ٣٩٢.

(٢) كتاب مجّد فيه إبراهيم الراوي السيد مهدي السبزواري (انظر الطائفية في العراق .. الواقع والحل/ السامرائي).

(٣) المصدر السابق: ٣٩٢.

(٤) ولا يستبعد الرأي القائل : إنّ الدولة التركية السنية والدولة الإيرانية الشيعية عندما كان العراق أرض النزاع والصراع بينهما، تكونت تلك العقد (الخوف) لدى السُنّة (السني يرى أن الشيعة عندما يحكمون سيكونون مشبعين بروح انتقامية ليس من النظام فحسب؛ بل ومن الطائفة السنية التي ينتمي إليها النظام، ومن أبناء هذه الطائفة الذين شاركوا في اضطهاد الشيعة أو سكتوا عن ذلك) الطائفية في العراق، للسامرائي: ١٦٣.

وبالفعل كان لأبناء العامة موقف معادٍ للشيعة، يوم رفض الشيعة الخضوع للسياسة البريطانية، وبالخصوص أبّان ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠م، نتيجة لشدة ورعهم وتصلب موقفهم في الديانة (لم يعتنوا بمواعيد الإنجليز ولا وافقوها في مقاصدها، بل صرّحوا بأنا لا نريد إلاّ السلطان الإسلامي) فأرجع الإنجليز ـ بعد ذلك ـ مقاليد التمسك في كلّ الأمور إلى رجال السُنّة (فيما يخص الأمور الدينية والأوقاف والى سياسي السُنّة فيما يخص الحكم والدولة)؛ لأن الأمور أظهرت للسياسة البريطانية أن الشيعة لا توافقهم، وإنما رجال السُنّة مطيعون ومؤيدون (فأرجعت إلى علماء السُنّة ما كان بيدهم أيام الترك وزيادة، حتى أصبحنا نحن الشيعة بين صفحتي الرحى، بين السُنّة والإنجليز ...)[1]، وقد أوجزت تعليقة السيد محمد هادي الخراساني الحائري من أن النظرة المتعالية والمجافية من قبل علماء السُنّة إلى علماء الشيعة سببها التسلط العثماني في حالة إجمال النتائج السريعة والمعاصرة للحدث، أما حقيقة التعالي يعود إلى التسلط المستمر والتنكيل بالشيعة وعلمائها من أول لحظة الخلاف استمراراً إلى حكم الطواغيت من بين أُمية وبني العباس. وبالتأكيد أن النظرة نجمت عن المواقف الصامتة لأبناء العامة فضلاً عن التحايز والتحريك يوم تعرض الإسلام إلى الانتهاك في

(١) من تعليقة السيد الخراساني / المصدر السابق: ٣٩٣.

إيران والعراق، كون ما جرى لا يُعدُّ شيئاً مهماً كونه أصاب التشيع وعلماء الشيعة.

أما واقع الانتخابات بعد الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م وبالتحديد أبّان تشكيل الوزارة النقيبية الثالثة، حينما أصدر وزير الداخلية عبدالمحسن السعدون في ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢٢م (توجيهات الانتخابات)[1] كانت روح المقاطعة لهذه الانتخابات عامة عند روح الشعب، وبالخصوص عند الشيعة، فقد أصدر علماء الدين في النجف وكربلاء والكاظمية فتاوى شرعية بحرمة الاشتراك فيها، وقد كانت الحجة المبينة في هذا التحريم (أنه لا يجوز للشعب أن يشترك في الانتخابات مالم تنـزل الحكومة عند رأيه فتجيب المطالب المشروعة التالية:

١ـ إلغاء الإدارة العرفية.

٢ـ إطلاق حرية المطبوعات والاجتماعات.

٣ـ سحب المستشارين من الألوية إلى بغداد.

٤ـ إعادة المنفيين السياسيين إلى وطنهم.

٥ ـ السماح بتأليف الجمعيات.

لم يكن هذا الرفض شيعياً فقط، وإنما شاركت فيه جميع الطوائف والمذاهب. هذا الانتخاب الذي دعا إلى استقالة وزير

(١) الحسني، عبدالرزاق: تاريخ الوزارات العراقية ١:١٤٧.

الداخلية عبدالمحسن السعدون، والذي أراد قمع المعارضة للأنتخابات بأقسى أنواع القوة، فلم يقره زملاؤه، ولا وافق على خطته رئيس الوزراء نفسه[1]، ومن ثم هذا الرفض القاطع أدى أخيراً إلى استقالة الوزارة النقيبية الثالثة[2].

تعليق:

رغم التمثيل الطائفي الذي حصل في الوزارات الثلاث التي ترأسها عبدالرحمن النقيب، فإنَ علماء الشيعة لم يتركوا السياسة ولم يغضوا النظر عما يحدث للعراق، ولكنهم في ذات الوقت لم يأملوا بالفوز بكلَ المناصب الرفيعة في الحكومة والوزارات المتعاقبة، طالما أنها كانت بقبضة السُنّة.

فإن تحقيق المصالح العامة للشعب، كان هدفاً لعلماء الشيعة بغض النظر عن الجزئيات المتمثلة في مصلحة الطائفة الشيعية، وهذا دليل على انعدام امتهان الأسلوب الطائفي عند الشيعة.

ا ـ تعليقة السيد الخراساني:

وهي تعليقة آية الله السيد محمد هادي الخراساني الحائري رداً على كتاب السيد إبراهيم الراوي .. وهذا نصها:

---

(١) الحسني، عبدالرزاق: تاريخ الوزارات العراقية: ١:١٥٠.

(٢) المصدر السابق: ١٤٩.

«أقول: صديقنا إبراهيم الراوي بعث هذا التأليف إليَّ وكتبت .. على مقدمته فقط وبعثته إليه، فكان أثقل عليه من الجبال الرواسي، فلم يتكلم بشيء بعد ذلك، وأخبرني الواسطة بأنه إلى شهرين كان متغيظاً مختنقاً.

وبالجملة إنّما ألّف هذه الرسالة بعد سقوط بغداد واستيلاء الإنجليز وتوجههم إلى علماء الشيعة لأكثرية التشيع في العراق وقوة العشائر، فانقطعت أيدي السُنّة والجماعة وعلمائهم من الدنيا والمداخلة في الحكومة، فإنّ القائد السياسي (كوكس) الإنجليزي فاتح بغداد تشرف بكمال الخضوع، ونهاية الاحترام بمحضر أستاذنا التقي الشيرازي قدس سره، ونحن في الكاظمية، وقال: نحن لم نجيء إلى العراق لتوسيع المملكة ونريد السلطنة، بل إنّما جئنا لنخلصكم من مظالم الدولة التركية، فأما الآن فجميع الجهات الشرعية راجعة إليكم، فأنتم تصرّفوا في الأوقاف وعيّنوا القضاة في الأطراف وسائر الأمور المرتبطة بالديانة.

وهكذا أظهروا لسائر المراجع والمجتهدين مثل هذا، مع ما شاهدوا من علماء الشيعة من جهادهم وقتالهم لهم حتى أسروا منهم ألوفاً من عساكرهم بعد حصرهم في الكوت وعطّلوهم ـ لانهم وقفوا بوجههم وأخروا وصولهم من البصرة إلى بغداد سنتين، مع أن القائد العسكري تعهَد بأن لا يتوقف بين البصرة

وبغداد أكثر من أثني عشر يوماً، لكن العلماء حضروا بأنفسهم القتال، واجتمع في الشعيبة مئتا ألف من العشائر، لكن الخيانات والجنايات هزمت المسلمين وكسرتهم.

(وكيف كان) فأراد الإنجليز صرف قلوب العلماء عن الدولة التركية، فأرجعوا جميع الشؤون الشرعية من القضاء والأوقاف وغيرها إليهم، وقطعت أيادي علماء السُنّة عنها بالكلية.

فمن هذه الجهات توجهت قلوب علماء السُنّة إلينا، حتى أن رؤساءهم يحضرون مجالسنا ويقبّلون أيادينا مع أنهم كانوا في زمان الدولة العثمانية لا يعتنون بشؤوننا ولا ينظرون إلينا إلاّ باحتقار.

ومن هذه الجهة ألّف صديقنا (الراوي) هذا الكتاب. وأنت ترى أنه يمجّد السيد مهدي السبزواري، وهو شاب ذكي، ومثله من الطلاب، ويعبّر بتعظيم وتكريم، لكن فيما قبل لم يكن يجري على لسانه، فضلاً عن قلمه وبنانه، اسم أكبر عالم منّا.

هذا، ولكن علماء الشيعة لشدة ورعهم وتصلّبهم في الديانة لم يعتنوا بمواعيد الإنجليز ولا وافقوهم على مقاصدهم، بل صرّحوا بأنّا لا نريد إلاّ السلطان الإسلامي، حتى وقعت الثورة العراقية فقتلوا أولاً مارشالاً في النجف الأشرف، ثم قامت العشائر بعد المظاهرات في بغداد وكربلاء حتى أخرجوا الحاكم الإنجليزي وقطعوا ريل ـ أي قطار ـ البصرة، وقامت الحرب على ساق.

لكن الخيانات والجنايات أيضاً خذلت المسلمين، وتوفي زعيم الدين أستاذنا الميرزا الشيرازي، فرجعت الإنجليز إلى محالها وانقلبت سياستها، فأرجعوا جميع الأمور إلى علماء السُنّة، حيث أنها نكثت العهود وخالفت الشيعة ووافقت الإنجليز.

وبالجملة، علمت الدولة الإنجليزية بأن الشيعة لا توافقهم، وإنّما السُنّة تطيعهم وتؤيدهم، فأرجعت إلى علماء السُنّة ما كان بيدهم أيام الترك وزيادة، حتى أصبحنا نحن الشيعة بين مطحونة صفحتي الرحى، بين السُنّة والإنجليز، وحتى سوّقت علماء العراق إلى إيران، وحبسوا باطناً في بلدة قم تسعة أشهر حتى رجعوا إلى العتبات، ثم خرّبت وهدّمت مشاهد الأئمة وقبور الأولياء في المدينة ومكّة، وحتى سَفِرت النساء ـ أي أجبرن على نزع العباءة ـ في إيران وألبسوا القبعات وألبسة الكفر، ونبشت المقابر وعطلّت الأوقاف وهدّمت المساجد والحوزات، ومُنِعَت التعازي والمنابر وسائر شرائع الإسلام، فلم يتكلم أحد من علماء السُنّة»، انتهى.

٢ ـ ميثاق النجف أو مشروع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في عام ١٩٣٥م.

بعد مرور خمسة عشر عاماً استغل علماء الشيعة الموقف المتردي للوزارة الأيوبية[1] والتي كانت تخوض صراعاً مريراً بينها وبين

(١) وزارة علي جودت الأيوبي.

مجلس الأعيان من جهة، وبينها وبين الشعب عموماً من جهة أخرى، نتيجة لسياستها الداخلية القمعية وما أصاب البلاد من تدهور في كافة مجالاته الحيوية الممونة وسياستها الرعناء تجاه أغلبية الشعب، وما طفح من سياستها الطائفية من ظلم وحيف نحو الشيعة، إضافة إلى أن الوزارات ذاتها كانت منقسمة تمثلتها العديد من الصراعات والمشاكل بين أعضائها.

فقد كان الخلاف الواقع بين نوري السعيد وزير الخارجية وجميل المدفعي وزير الدفاع وصل إلى درجة لم تقو جهود رئيس الوزراء على إزالته أو تخفيفه على الأقل[1].

إنّ القبائل المخاصمة للوزارة ـ وبالخصوص القبائل الشيعية ـ تسلّحت وأضربت عن مراجعة الحكومة حتى تجاب مطالبها، وفي هذا الجو العاصف اجتمع زعماء القبائل من الفرات الأوسط بالشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، وكتبوا ميثاقاً سُمي بـ (ميثاق النجف) أو (مشروع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء) والذي تمّ صنعه في آذار ١٩٣٥م (والذي يعتبره عبدالكريم الازري أول بيان صريح يعبّر فيه فريق كبير من رجال الشيعة عما

(١) الحسني: تاريخ الوزارات العراقية ٥٦:١. ويذكر العلوي في كتابه التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق: ١٠٦ تبادل التهم بين الاثنين فقول نوري السعيد: «إنّ جميل المدفعي طبل فارغ لا يصلح أن يكون مدير ناحية»، أما المدفعي يقول: «أنّ نوري السعيد صنيعة الإنجليز ولا يؤتمن».

يخالج قلوب الأكثرية الشيعية من شعور عميق بالتبرّم والاستياء، مما كان ولا يزال شبه احتكار للحكم وصنع القرار من الأقلية الحاكمة، ومن حرمان الأكثرية من الشعب حقها في الاشتراك العادل في الحكم وصنع القرار)[1].

فقد كان هذا المشروع (الميثاق) مشروعاً إصلاحياً يرتكز بالدرجة الأولى على حل العقدة الطائفية المستمرة بظهورها في أي وزارة تتشكل (توالياً)، وقد تكوّن المشروع من اثنتي عشرة مادة مقترحة، وما يهم بحثنا المادة الأولى بالدرجة الأولى ثم بقية الفقرات، إلاّ أن التوالي بعد المادة الأولى هي من فروع المادة الأولى والتي نصت:

«لقد تمشّت الحكومة العراقية منذ تأسيسها حتى اليوم، على سياسة خرقاء لا تتفق ومصالح الشعب واتخذت سياسة التفرقة الطائفية أساساً للحكم، فمثلت أكثرية الشعب بوزير واحد أو وزيرين ممن يسايرون السلطة في سياستها (على الأكثر) وعلى مثل هذا الأساس تمشت في سياسة التوظيف فظهر التحيّز صريحاً في انتقاء الموظفين وأعضاء مجلس الأمة، بينما القانون الأساسي لم يفّرق بين أبناء البلاد، كما نصت المادة السادسة من القانون الأساسي، فلإيجاد الاستقرار والطمأنينة في نفوس الشعب،

(١) الازري، عبدالكريم: مشكلة الحكم في العراق: ٦٥.

ورفع التفرقة بين أبناء الأُمة، يجب أن يساهم الجميع في مجلس الوزراء وفي مجلس الأمة وسائر وظائف الدولة كما يساهم في الجندية والضرائب»[1].

بعدما رفض عموم الشعب الاشتراك في الانتخابات أبّان وزارة النقيب الثالثة حاول علماء الشيعة مقاطعة الانتخابات ان لم تكن مبنية على النـزاهة وضمان الحرية المطلقة، وإعطاء ضمانات من قبل الحكومة لرفع التلاعب وعلى أن يكون المجلس المنتخب يمثل الشعب تمثيلاً عادلاً وصحيحاً.

فقد أكّد (ميثاق النجف) في مادته الثانية (أن طريقة الانتخابات أُسيء استعمالها، حتى أصبح مجلس الأمة لا يمثل الشعب تمثيلاً صحيحاً، وضماناً لرفع التلاعب من ناحية الحكومة، نرى وجوب تعديل قانون الانتخاب على أساس ضمان الحرية المطلقة، بوضع القيود بدرجة واحدة واعتبار كل لواء منطقة انتخابية مستلقة).

لقد أكد هذا الميثاق في المادتين الأولى والثانية منه على استفحال العمل السياسي الطائفي، وبعد مرور أكثر من خمسة عشر عاماً من تأسيس الدولة العراقية الجديدة.

وبقيت تستفحل بتعاقب الحكومات حتى جاءت ثورة ١٤

(١) السامرائي: الطائفية في العراق الواقع والحل: ٣٩٦.

تموز عام ١٩٥٨م فتوقع الشيعة وعلماؤها أن هذه الثورة سوف تغيّر الواقع السياسي، الاجتماعي، الطائفي، ولم تكن الأمور مثلما توقع الشيعة، وان ظهر بعض الغزل والاستمالة من قبل الزعيم عبدالكريم قاسم[1] نحو علماء الدين الشيعة والمرجعية المتمثلة بزعامة السيد آية الله الحكيمﷺ ثم بدأ الاستفحال الطائفي في أوجه أبّان حكومة عبدالسلام عارف.

٣ ـ موقف علماء الشيعة عام ١٩٦٥م:

بعد مرور خمسة وأربعين عاماً على تأسيس الدولة العراقية ومرور أكثر من خمسة عشر عاماً على ميثاق النجف، بقي الوضع العراقي مشحوناً بصيغة العمل السياسي الطائفي، وبالخصوص في هذه الفترة من حكم عبدالسلام عارف الذي عُرف بتعصبه الأعمى وحقده المقيت اللامحدود على الطائفة الشيعية، ـ فقد كتب الشيخ محمد رضا الشبيبي في ٢٨ / ١٠ / ١٩٦٥م إلى عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء في عهد عبدالسلام عارف مذكرة كانت تعبيراً عن مظلومية الأغلبية الشيعية ـ في العراق ـ .

(١) وبعبارة اكثر دقة لم يشهد العراق الحالة الطائفية اجتماعياً وسياسياً في عهد الزعيم قاسم، بيد أن عدم التوافق بينه وبين المرجعية راجع إلى اعتماده على الشيوعيين في فترة من فترات حكمةُ.

وكما في ميثاق النجف فإنّ مذكرة الشبيبي[1] أحاطت إحاطةً تكاد تكون شاملة بالشؤون العراقية: الزراعية، والإدارية، والنفطية، والمهنية، والسياسية، وما يهمنا في بحثنا سياسة التفرقة الطائفية التي انتهجتها الدولة ضمن بنود هذه المذكرة.

فقد ذكر الشبيبي في البند الثالث ما نصه: «ما أنفك حكم العراق في عصرنا هذا بالذات مشرباً بالأهواء والأغراض، وإن كانت تلك الأغراض مقنعة أو مغلفة بألفاظ خلابة، ولم يكن الطعن في الحكم المذكور سهلاً، لأنه في ظاهره مستمد من مبادئ بنيت عليها القوانين المرعية، وقد اعتبرت الطائفية بموجب هذه القوانين جريمة تعاقب عليها، ولكن العبرة ليست بالألفاظ المجردة والتشريعات المقنّعة، بل بالتطبيق السليم والإدراك الصائب لروح تلك القوانين، ولم تكن مصدراً باعثاً على القلق المستحوذ على الشعب طالما استنكرت التفرقة وكافحتها وطالبت بالإقلاع عن هذا الأسلوب الممقوت، وطالما تنادى المخلصون بإتباع نهج آخر تراعى فيها المساواة المطلقة التي أكّدت عليها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية».

ومن ثم أكّد الشيخ الشبيبي على صيغة الانتخابات كما أكد

(١) الشبيبي: عالم ديني شيعي، أديب، استوزر لأول مرة في وزارة ياسين الهاشمي وزيراً للمعارف في ٢١ / حزيران / ١٩٢٥م.

الشيخ كاشف الغطاء في مشروعه (ميثاق النجف)، فقد تمثل قول الشبيبي في المادة .. من مذكرته: «... إننا نؤكد على ضرورة القيام عاجلاً بوضع أسس قانون الانتخابات العامة وعرضها على الشعب ليبين رأيه فيها حتى تتم الانتخابات المباشرة خلال فترتها المحددة في الدستور المؤقت، على أن يجري ذلك بإشراف سلطة معروفة بالحياد والاستقامة، سلطة تضمن للجمهور حرية الصحافة والرأي والتعبير»[1].

مذكرة الشبيبي:

بعث الشيخ محمد رضا الشبيبي في ٢٨ / ١٠ / ١٩٦٥م بمذكرة إلى عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء في عهد الرئيس عبد السلام عارف الذي كان معروفاً بطائفيته الشديدة، و كانت المذكرة تعبيراً عن مظلومية الأغلبية الشيعية في العراق، ولكن القضاء عاجل الشيخ الشبيبي فقد توفي بعد شهر من تقديم المذكرة، وبعد عودته من فلسطين حيث ذهب لحضور احتفالات المعراج في القدس الشريف.

وكما في ميثاق النجف فإنَّ مذكرة الشبيبي، علاوة على التنبيه على سياسية التفرقة الطائفية التي تنتهجها الدولة، والتي زادت في عهد

(١) أُنظر: (نص مذكرة الشبيبي).

عبدالسلام عارف، تضمنت أموراً عامة؛ بل أحاطت إحاطةً تكاد تكون شاملة بالشؤون العراقية مثل الشؤون الزراعية والإدارية والنفطية والمهنية والسياسية، وكذلك موضوع الوحدة العربية.

نص المذكرة[1]

«تحية طيبة، وبعد ..

يسعدني أن أشير إلى محادثاتنا التلفونية الموجزة غداة اضطلاعكم بأعباء المسئولية، وما تضمنته من التمنيات الطيبة لكم بالتوفيق، ويطيب لي كذلك أن أعزز ذلك الحديث بهذه المذكرة الموضحة لطائفة من القضايا والمشكلات الخطيرة التي تواجهها البلاد، راجين أن يحالفكم التوفيق في درسها فقرة فقرة، تمهيداً للأخذ بمضامينها قدر الإمكان، ومما شجع على تقديم هذه المذكرة في هذا الظرف بالذات أن رئاسة الحكومة يشغلها أحد رجال القانون، وتلك خطوة حسنة، وأحسن منها أن يكون المسئول ذا سند شعبي متين، وهو أمر يساورنا الشك فيه الآن.

كان الشعور الوطني في العراق يتجلى بالغيرة الوطنية والحب العميق لأرض الآباء والأجداد، وكان هذا الشعور الحافز الأول

(١) جريدة «الحياة»البيروتية الصادرة في ٥ / ١١ / ١٩٦٥م نقلاً عن مشكلة الحكم في العراق: ١٨٠.

لصيانة وحدة البلاد. ولكن الأحداث والكوارث التي حلّت بها نتيجة تصارع الأهواء وتشجيع التفرقة، عصفت بهذا الشعور النبيل وأقصته إلى أبعاد وأعماق سحيقة، يخشى أن تتيح للأجنبي المتربص الفرصة للنيل من وحدتنا الوطنية المقدسة، ولم يعد خافياً على أحد أن البلاد العراقية تجتاز في ظروفها الحالية مرحلة لا تحسد عليها من مراحل حياتها، وكيف تحسد على مراحل موسومة بكثرة مخاوفها ومشكلاتها، وما يتخللها من شكوك واحتمالات.

وقد تسنّى لي أخيراً أن اتصل بجمهرة من أبناء البلاد، وأن ألمس مواقع الألم منهم والإحساس بما يخالجهم من سخط وتذمر، وفي وسعي، بل أرى من واجبي أن أُسجل ملخصاً مظاهر ذلك في الفقرات التالية:

١ـ جاء على لسان السيد رئيس الوزراء في مؤتمره الصحفي قوله: «إنَّ الحكومة عازمة على إعادة الحياة الدستورية للبلاد وإجراء انتخابات حرة، وبهذا كما لا يخفى ستنتهي الفترة الانتقالية وتستقر الأوضاع في البلاد، ويتمكن الشعب من ممارسة حقه القانوني في انتخاب من يراه صالحاً لإدارة البلاد، وتحمل مسئولياتها الجسام».

وإننا نؤكد على ضرورة القيام عاجلاً بوضع أُسس قانون الانتخابات العامة وعرضها على الشعب ليبين رأيه فيها حتى تتم

الانتخابات المباشرة خلال فترتها المحددة في الدستور المؤقت، على أن يجري ذلك بإشراف سلطة معروفة بالحياد والاستقامة، سلطة تضمن للجمهور حرية الصحافة والرأي والتعبير.

٢ـ تناول السيد رئيس الوزراء في مؤتمره الصحفي موضوع الوحدة العربية والإتحاد، وأجاب عن التساؤلات الكبيرة التي أُثيرت حول تصريحاته. وفي رأينا أنه مهما كانت اتجاهاتنا السياسية والاجتماعية في القضايا العربية فإن الوحدة الجغرافية ووحدة التاريخ والمصير قادرة في أي وقت على أن تخلق بيننا وحدة عمل، نواجه بها التحديات والمخاطر.

إنَّ الوحدة العربية في رأينا هدف يتم باستفتاء الشعب عليه، وأن التضامن العربي وسيلة لحمايته.

٣ـ ما انفكَّ حكم العراق في عصرنا هذا بالذات مشرباً بالأهواء والأغراض، وإن كانت تلك الأغراض مقنّعة أو مغلّفة بألفاظ خلابة، ولم يكن الطعن في الحكم المذكور سهلاً، لأنه في ظاهره مستمد من مبادئ بنيت عليها القوانين المرعية، وقد اعتبرت الطائفية بموجب هذه القوانين جريمة تعاقب عليها، ولكن العبرة ليست بالألفاظ المجردة والتشريعات المقنّعة، بل بالتطبيق السليم والإدراك الصائب لروح تلك القوانين.

ولم تكن التفرقة الطائفية مشكلة سافرة من مشاكل الحكم

كما هي اليوم، ولم تكن مصدراً باعثاً على القلق المستحوذ على الشعب طالما استنكرت التفرقة وكافحتها وطالبت بالإقلاع عن هذا الأسلوب الممقوت، وطالما تنادى المخلصون بإتباع نهج آخر تراعى فيها المساواة المطلقة التي أكّدت عليها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

الانتفاض على سياسة التفرقة

ومن الواضح أن الشعب العراقي انتفض أكثر من مرة على سياسة التفرقة النكراء، وعمل منذ ثورته الأولى عام ١٩٢٠م على إقامة حكم وطني ديمقراطي يسهم بإقامته، وينعم في خيراته أبناء الشعب كافة لا يفرقهم عنصر أو دين أو مذهب.

وقد بارك الشعب ثورة الرابع عشر من تموز، وعلّق عليها آمالاً كبيرة وتوقع المخلصون أن تستأصل جذور النعرات المفرقة باستئصال قواعد الاستعمار وركائزه، غير أن الأحداث الأخيرة برهنت مع بالغ الأسف على انبعاث روح التفرقة بشكل أشد وأعنف من ذي قبل بكثير.

ولا نذيع سراً إذا قلنا أن كثرة الشعب ساخطة جداً من جراء ذلك، وأنها تعتبر كرامتها مهانة وحقوقها مهضومة، ولاسيما وقد رافق ذلك سوء اختيار بعض من يمثلونها في جهاز الحكم، وإذا كان من الممكن أن تغض هذه الكثرة الشعبية نظرها عن بعض

حقوقها في وظائف الدولة، وترك شبابها المثقف من حملة الشهادات العالية وغيرهم من دون عمل، إذا كان من الممكن أيضاً أن تغض هذه الكثرة النظر عن التقصير المتعمد في إنعاش مرافقها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وإذا كان من الجائز أن تغض نظرها عن مواقفها المشرفة في الجهاد والتضحية، فإنها لا يسعها غض النظر عن التعريض بعروبتها وأصالتها وكرامتها وإخلاصها للوطن وللدولة التي أقامتها على جماجم شهدائنا الأبرار، ذلك التعريض المثير الذي يلوح به بعض المسئولين والصحف الأجيرة.

هذا وما دامت الحكومة الحاضرة قد أعلنت عن التزامها الصراحة في القول، وتصحيح الأوضاع المنحرفة، بادرنا إلى تذكيرها بهذه الحقيقة، إذ أن الدولة وأجهزتها ووظائفها ومجالات العمل فيها ليست وقفاً على طائفة دون أُخرى، إنّما توزّع واجباتها حسب الكفاية، ولعلَّ نظرة فاحصة إلى الدواوين الكبيرة في الدولة ومن يشغلها تكفي دلالة على سياسة محاباة، خصوصاً وإن كثيراً من المقربين محرومين غالباً من المؤهلات والكفايات والإخلاص.

٤ ـ لاشكَّ أن صيانة الوحدة والوطنية وحقن الدماء وإعادة الطمأنينة والسلام إلى ربوعنا في الشمال العزيز يتطلب منّا درساً دقيقاً للقضية الكردية التي طال عليها الأمد.

ولما كان العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن يتقاسمون

غرمه وغنمه، فإننا نرى أن لإخواننا الأكراد حقاً في التمتع بحقوقهم المشروعة، وذلك عملاً بالإدارة اللامركزية ضمن الوحدة العراقية، هذا الأساس الذي تقضي ضرورة الأخذ به أسلوباً للحكم في العراق من الناحية الإدارية.

٥ ـ تعرضت النقابات في العراق لمختلف أوجه الضغط السياسي، الأمر الذي حرفها عن خدمة منتسبيها في حدود صلاحياتها وأغراضها المهنية، كما تحملت الفئات العاملة تبعات ذلك ففصل وسجن كثير منهم، وحرمت عوائلهم من مصادر عيشها، لذلك وجب على الحكومة أن تعيد النظر في أحكام قانون العمل، آخذة بنظر الاعتبار الأخطار التي ظهرت لدى تطبيق القانون المذكور، وأن تفسح المجال لقيام نقابات مهنية تراعي مصالح المنتسبين إليها رعاية حقة.

٦ ـ لا نريد الدخول في جدل عن الاشتراكية من حيث كونها صالحة أو غير صالحة للعراق، ولكننا نكتفي بالرجوع إلى حقائق الأشياء، وبما حصل فعلاً من نتائج؛ ليصدر الحكم مبنياً على الواقع دون الخيال، فعند تطبيق القرارات الاشتراكية في ١٤ تموز ١٩٦٤م نلاحظ أن أوضاع العراق المالية والاقتصادية تزداد تخبطاً وارتباكاً: زيادة في البطالة وقلة في الإنتاج وتبذيراً في أموال الدولة وتهريباً لرؤوس الأموال الوطنية وعجزاً في الموازنة.

لقد أشار السيد رئيس الوزراء إلى طبيعة هذه الاشتراكية بقوله في مؤتمره الصحفي: «إنَّ هذه الاشتراكية لم تغير الوضع الاقتصادي والاجتماعي في البلاد بقد ما تحسنت أحوال طبقة معينة من الموظفين والمنتفعين على حساب الآخرين.

إننا نؤمن بأن الديمقراطية الاقتصادية هي النظام الذي يلائم ظروفنا وحاجاتنا، وإننا نؤمن بالعدالة الاجتماعية، ونعتبر الفروق الاقتصادية في مجتمعنا خرقاً لقواعد هذه العدالة، فلهذا يمكن العمل على تقليل هذه الفروق عن طريق توزيع الضرائب وزيادة مكاسب الطبقة العاملة، ووضع خطة شاملة للتنمية الاقتصادية وزيادة الدخل العام.

إننا نطالب الحكومة بتدارك ما أدت إليه تلك السياسة المرتجلة من بطالة، وذلك بإيجاد عمل للعاملين يكفل لهم مستوى من المعيشة يتلاءم وكرامة الإنسان، كما نطلب إعادة النظر في الأوضاع الاقتصادية مع تعيين مجالات القطاع العام والقطاع الخاص، لكي ينصرف المواطنون إلى مزاولة أعمالهم بحرية تامة واطمئنان كامل.

القطاع الزراعي

إنَّ القطاع الزراعي في العراق يمثل مصدراً أساسياً من مصادر الثروة العامة، ولقد ظهرت في قانون الإصلاح الزراعي أخطاء

أدّت إلى تخلف الزراعة، لهذا نطلب إعادة النظر في أسس القانون المذكور، وذلك في ضوء الأخطاء التي ظهرت في مرحلة التطبيق، وندعو للعمل على تطوير شؤون الزراعة وحماية الإنتاج وتحديد واجبات الزرّاع، والعمل على تعويض المستولى على أراضيهم، ومنهم أصحاب حق اللزمة، إذ أننا لا نقر مبدأ المصادرة مطلقاً.

ونطالب بإعادة النظر في موضوع الضرائب، خاصة ضريبة الدخل وضريبة الشركات والتعديلات التي جرت عليها أخيراً، ونحث على دراسة علمية مبنية على التجارب التي مرت بها تلك القوانين لدى التطبيق، ونطالب بإعادة النظر في القوانين الأخرى التي شرّعت في ظروف مستعجلة، فجاءت مخالفة لأحكام شريعتنا الإسلامية، وغير ملائمة لأوضاعنا وتقاليدنا الاجتماعية. إنّ الشريعة الإسلامية هي الأساس الراسخ الذي يقوم التشريع عليه، وأن أي قانون أو نظام يتعارض معها يعتبر تحدياً لشعور الأُمة وعقيدتها الراسخة.

٧ ـ لا تزال مفاوضات النفط بين الحكومة العراقية والشركات العاملة في العراق طي الكتمان، ولم تعرف تفاصيلها بعد. ومع تقديرنا للجهود التي تبذل لاستخلاص حقوق العراق من الشركات الأجنبية، إلاّ إننا في القانون رقم ٨٠ سنة ١٩٦٣م[١] حققنا مكسباً وطنياً يلزم الحفاظ عليه، لذلك نهيب بالسلطة أن

(١) وهو القانون الذي أصدرته الحكومة العراقية آخر عهد الزعيم عبدالكريم قاسم.

تعرض نتيجة المفاوضات قبل الالتزام بها على ممثلي الشعب حيث تعود الحياة الدستورية إلى البلاد ليقول الشعب كلمته فيها.

٨ ـ كان الهدف الأساسي من تكوين الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق أن يضم منتسبي النقابات ومختلف الفئات العاملة، غير أن هذه المنظمة لم يحالفها التوفيق على الرغم من إسناد السلطة لها مادياً ومعنوياً؛ ذلك لأن الأهواء تنازعتها منذ البداية، يضاف إلى ذلك أنها قامت على مبدأ احتكار العمل السياسي، وفكرة الحزب الواحد، ولا نقرّ ذلك منهجاً للحكم في البلاد، ولهذا نطالب بأن تبادر الحكومة إلى تعديل القانون الذي قامت بموجبه هذه المنظمة لتتمكن الفئات الوطنية التي تستمد آراءها من صميم هذا البلد من ممارسة نشاطها السياسي.

هذا، ووفاءً لأُمتنا ووطننا وقياماً بالواجب المفروض علينا، وإبراءً لذمتنا، بادرنا إلى بيان أهم مشاكل الساعة التي تخالج أفكار الجمهور، مؤملين أن تعنوا بدراستها وبذل الجهود في سبيل الوصول إلى الحلول السليمة للمشاكل المذكورة كافة. وختاماً نبتهل إلى الله العلي القدير أن يسدد خطانا جميعاً إنّه ولي التوفيق». انتهى.

٤ ـ مواقف آية الله السيد الحكيم من الطائفية:

تميزت مرجعية آية الله الحكيم﵀ بمرحلة عصيبة من الصراعات السياسية لاسيما وان مرجعيته منذ عام ١٩٤٦م يوم كان العالم

يخوض صراعات بالغة الأهمية، وبالخصوص العالم الإسلام الذي يئن تحت وطأة الاستعمار، ففي هذه المرحلة بدأ المشروع الاستعماري والدولة العلمانية بالتفكك وتكشفت الكثير من عوراته.

فقد بدأت المرجعية الدينية بمرحلة النهوض للتصدي، والوقوف أمام مجريات الأحداث وطبيعة الصراع الفكري، والذي تصدت له المرجعية بنوعية جديدة من خطاب نهضوي حداثوي استطاع بعض العلماء استثماره بشكل ملموس في بعض البلدان الإسلامية، وبالخصوص في إيران، لطبيعة ظرفها المختلف عن باقي البلدان الإسلامية الأُخرى.

ففي العراق كانت المشكلة الإسلامية والشيعية مركبة، وليست أحادية، ومما يدعم هذه المشكلة نظام الحكم ـ المتعاقب ـ والسائد منذ تأسيس الدولة العراقية الجديدة عام ١٩٢١م.

فالجمهور الشيعي في العراق كان يعاني من طائفية مقيتة استخدمت نشاطاً سياسياً للدفاع عن مواقع السلطة اللاشرعية الضيقة في الولاء والانتماء الشعبي.

وهنا نوجز مجالات النقد للطائفية من قبل المرجع الحكيم ـ

ألف ـ البيانات التي كان يوجهها للمسلمين.

لقد تمثلت الحقائق التاريخية الناصعة من الخطاب النقدي ـ العلني ـ وبالخصوص في عقد الستينات حينما اشتدت صبغة

التعامل الطائفي في كافة المجالات الحياتية أبّان حكم عبدالسلام عارف، يوم لم يتمكن الكثير من التصريح والنقد ـ علناً ـ خشية تقاذف الاتهام بالطائفية!!.

لكن السيدقدس سره لم يخشَ هذا الاتهام حينما وصلت الأمور إلى تحجيم المذهب، والتعامل اللاإنساني مع الشيعة، فعمد إلى وضع الاتجاه المتطرف وقوانين السلطة والنظام القائم آنذاك كلهم في زاوية المساءلة والاحتجاج والنقد والإدانة فقوله: «... نحن نرى الحالة المزرية والهوة السحيقة التي وصل إليها المسلمون، وندرك المسافات الشاسعة البعيدة التي تفصل بينهم وبين إسلامهم وعقيدتهم، فقد تكالبت عليهم قوى الضلال والانحراف وتناهبتهم أيادي الدمار والبوار وعبثت فيهم مبادئ وآراء ما أنزل الله بها من سلطان، واستبدت بهم في معظم أفكارهم وديارهم حكومات طاغية عابثة، أثقلت كاهلهم وأنهكت قواهم وفرقت جماعتهم، فعادوا أمة مقطعة الأوصال ممزقة الأشلاء لا تعتمد على قوة ولا تأوي إلى ركن شديد»[1].

الخطابات السياسية الموجهة من قبل المرجع كانت صواعق محرقة، لكي تدرك الجماهير حجم الظلم الذي لحقها من جراء

(١) مجلة الإيمان السنة الأولى العدد ٣ ـ ٤: ٢٢٩ ـ ٢٣١ كلمة الافتتاح ألقاها العلامة السيد الشهيد محمد مهدي الحكيم قدس سره.

تلك السياسات المعتمدة للحكام اللاشرعيين، والذين مارسوا الضغوط العنصرية والطائفية ضد الأغلبية الشيعية في العراق.

لقد حاولقدس سره في كل بياناته الخطابية أن لا يفهم أن الشيعة تطمح بممارسة المثل وأنها تأمل نفسها باستلام الحكم لتقوم هي أيضاً بممارسة رد الفعل، وهذا مما صرّح بهقدس سره إن الحاكم السني العادل هو أفضل من الشيعي غير العادل، فإن فهمهقدس سره للطائفية لا يقوم على أساس انتماء الحاكم لطائفة معينة؛ بل أن الأساس هو ممارسة السلوك والمنهج السياسي الذي يعتمد التفرقة والظلم ضد طائفة أخرى، لاسيما وان الشيعة هم ممن عاشوا المأساة على مرّ العصور تحت زيف الممارسة الديمقراطية والمساواة ونبذ الطائفية! يوم وضع الاستعمار آنذاك المخطط الرهيب بتشريع القوانين الكافرة التي استهدفت إبعاد الأُمة تدريجياً عن أصالتها الفكرية ودينها القويم، وإشاعة عوامل الفرقة والبغضاء في صفوفها، وإخماد معاني العزة والكرامة والرفعة في نفوس أبنائها[1].

وأخذ المرجع في العديد من بياناته وخطبه مؤكداً على تسنن قوانين الدولة العلمانية محفزاً الأمة للتصدي لهذه القوانين الجائرة، والتي لا تنم عن وحدة المسلمين التي لم تنم ببنائها على القواعد

(١) من كلمة السيدقدس سره في الاجتماع الجماهيري بحرم الإمام عليعليه السلام في ٢٧ صفر ١٣٨٩هـ

الإسلامية من أفكار ومفاهيم الشرع الإسلامي فقوله: «.. وهذا الاحتفال بما يتبناه من أفكار ومفاهيم إسلامية وما يتمثل فيه من إدراك ووعي لواقع الأمة وظروفها ليؤكد ويطلب بإلحاح تنفيذ هذا الطلب وبناء الدستور الجديد على القاعدة الإسلامية الصلبة»[1] ومن ثم يخاطب النظام ـ آنذاك ـ علناً وبصراحته المعهودة وشجاعته المعروفة من أن النظام العارفي ـ نظام عبدالسلام عارف ـ لم يمثل التمثيل الحقيقي للأُمة ولم يستمد شرعية قوانينه من شرعية الأفكار والمفاهيم الإسلامية الحقيقية، وبذلك وضع النظام في زاوية حرجة، كاشفاً عن عوراته وبواطن سياسته الطائفية المقيتة فقوله: «وبهذا العمل يمكن للسلطة الحاضرة أن تدعي تمثيل الشعب وتبرر للأُمة وجودها في كرسي الحكم، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»[2].

ولا يخفى للمتتبع لبيانات المرجع أهميتها لتقوية الجبهة الداخلية من حيث التركيز على نبذ السياسة الطائفية التي هي الأساس في تمزيق وحدة المسلمين، وكذلك وحدة الصف الوطني.

فالشيوعية والقومية والوطنية تيارات ثقافية سرعان ما ينسلخ

(١) من كلمة في احتفال البصرة بميلاد الإمام الحسين عليه السلام ١٠ شعبان ١٣٨٣هـ ألقاها نيابة عنه آية الله السيد محمد باقر الحكيم، مجلة الإيمان السنة الأُولى العدد ٣، ٤ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

منها الفرد الشيعي أمام التنابز والاتهام بطائفيته أو السلوك الطائفي الممارس ضده.

ولعلنا نجد في قول المرجع من أهمية نبذ الطائفية في بناء جبهة داخلية قوية تقف بوجه الاحتلال الصهيوني قوله: «وهناك شيء بالغ الأهمية بهذا الصدد يجب التأكيد عليه هو بناء الجبهة الداخلية والتصدي لمعالجتها، وحل مشاكلها المختلفة المتزايدة، إذ من الواجب القضاء على جميع عوامل التفكيك والتفرقة والتصدع والانهيار، وإمداد هذه الجبهة بعناصر القوة والعزيمة والصمود، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالتأكيد على القيم الروحية والرجوع إلى القاعدة الإسلامية، ورفض الأفكار الضالة والانحرافات الاجتماعية والقضاء على الفساد الاجتماعي والأثرة والتفرقة والطائفية والعنصرية، وإشعار المواطنين بحقوق المواطنة العامة، وبالعزة والكرامة، وبدون ذلك فسوف نواجه العدو الصهيوني بمواطنين متفككين، تعودوا الظلم والاضطهاد والاستسلام، ولا يمكن لمثل هذا المواطن المنهار روحياً واجتماعياً أن يصمد أمام الغزو وان يثور على الظلم ويثأر من الظالم المغتصب»[1].

(١) كلمة المرجع الحكيم قدس سره في التجمع الجماهيري في الصحن الحيدري الشريف ٢٧ صفر ١٣٨٩هـ

ب ـ لقاءاته مع المسئولين

تحذيراته المباشرة إلى حكام عصره من مغبة توسيع الفتنة الطائفية.

١ـ لقاؤه بالملك فيصل الثاني وولي العهد عبدالإله، تم ذلك في الصحن الشريف جوار ضريح الإمام علي عليه السلام، وبالتأكيد كان هذا اللقاء لا يخلو من عرض الواقع المرير الذي تعيشه الطائفة الشيعية من جراء السياسة الملكية في العراق.

٢ـ لقاؤه مع عبدالكريم قاسم أبّان زيارة الأخير له مقبّلاً يده الكريمة ماثلاً لنصيحته، وقد أبدت سياسة عبدالكريم نوعاً من إلغاء العمل الطائفي في سياسة البلد، وهذا ما أكدته رسالة المرجع إلى الزعيم: «ولقد سرني ما يبلغني من خطوات سديدة جبارة في هذه الآونة القصيرة، الأمر الذي يستوجب لكم الإكبار والإعظام، لذلك أبارك لكم فيما أولاكم الله به، وأدعو لكم بحسن التوفيق لخدمة الدين والإسلام، والمحافظة على الصالح العام...»[1].

٣ـ وفي لقائه مع طاهر يحيى رئيس وزراء حكومة عبدالسلام عارف بعد نجاح انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م قال قدس سره ما نصه: «لقد سبق منّا أن قلنا لبعض الحاكمين الذين انتقم الله منهم

(١) من رسالة المرجع الحكيم قدس سره إلى الزعيم عبدالكريم قاسم بعد إصرار شديد من متصرف لواء كربلاء ـ آنذاك ـ الزعيم فؤاد عارف في ٦ محرم ١٣٧٨هـ عن كتاب الإمام الحكيم السيد محسن الطباطبائي / أحمد الحسيني.

ان الشعب العراقي شعب مسلم متدين لا يرضى بغير الإسلام شريعة ونظاماً، وكل تشريع تشرعه الحكومة يخالف الإسلام لا يمثل رأي الأمة ويوجب نفورها وابتعادها عن الحكومة، فاللازم على الحكومة ـ وهي تريد على ما يبدو من بعض تصرفاتها أن تحقق الاستقرار والهدوء ـ ملاحظة عقيدة الأمة في سن الأنظمة والقوانين، فإننا لا نرتضي غير الإسلام ديناً ونظاماً ونبذل أموالنا ونفوسنا وما تحت قدرتنا في سبيل الدفاع عن ديننا وعقيدتنا»، ثم أردف المرجع قائلاً: «إنّ من واجب الحكومة أن تنظر مختلف أبناء الشعب بنظرة واحدة دون تمييز أو تفريق بين قومياتهم أو مذاهبهم، حتى يشعر الجميع بأنهم يعيشون في ظل حكومة تسهر على مصالحهم .. ويؤسفني أن أرى الآن فجوة بين الشعب والحكومة عمل على إيجادها شرذمة تحاول إثارة الأغراض والنعرات الهدامة بين الشعب، فلربما يقول القائل بأن المفهوم السائد في الدولة في هذه الأيام بأن معاملات عبدالقادر تنفذ ومعاملات عبدالحسين تؤخر وتترك، كما أن هناك نعرات بلدية ضيقة مثل هذا عاني، وهذا تكريتي، وهذا نجفي، وهذا كوفي، وهذه بسيطة للغاية في ظاهرها، ولكن ربما استغلها البعض طريقاً لأمور أكبر وأوسع، وأن صح ما يبلغني فذلك ما يثير الحزازات في النفوس، ويبعد الأمة عن الحكومة، وما هذه الاضطرابات والانقلابات التي عشناها مدة من الزمن إلا نتيجة لعدم مراعاة

حق الشعب والمحافظة عليهم»[1].

٤ ـ لقاءاته مع البعثيين في عام ١٩٦٣م، وكذلك في عام ١٩٦٨م، وبالخصوص مع من مثلهم محسن الشيخ راضي، كانت هذه اللقاءات هي الأخرى لا تخلو من النصح في التعامل السياسي، والعمل بالمساواة لجميع الطوائف خدمة للصالح العام.

٥ ـ لقاءاته المستمرة مع علماء السنة والشيعة، ويكفي أن الشيخ الشهيد عبدالعزيز البدري ـ وهو من علماء أبناء العامة ـ كان قد اشترك في عدة وفود كُلِّف بمهام خاصة من قبل مرجعية آية الله السيد الحكيمﷺ ، فقد اشترك مرة في الوفد العلمائي الإسلامي الذي زار باكستان عام ١٩٦٦م، واشترك أيضاً في الوفد العلمائي الذي قابل أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية عام ١٩٦٨م، حيث جرى تسليمه مذكرة تحمل مطالب الأمة الإسلامية في العراق.

جـ ـ الفتاوى

هناك فتاوى عديدة للمرجع في كافة الجوانب الحياتية، ونلخص ما جاء في المشهور منها:

* فتواهُ بحرمة قتال الأخوة الأكراد، كان ذلك في أواخر عام ١٩٦٤م، حينما أراد الاستعمار خلق ثغرة في وسط الشعب

(١) مجلة الإيمان: العدد ٥ ـ ٦ رمضان / شوال ١٣٨٣هـ

العراقي المسلم في إشعال حرب الشمال، وحاول عبدالسلام عارف أن يلبس حربه ضد الأكراد المسلمين رداءً قومياً إسلامياً، ظناً منه إن المرجعية سوف لن تقف إمام ذلك باعتبار أن الأكراد من السنة، ولهذا جمعت الحكومة وعاظ السلاطين، وأفتى هؤلاء بجواز قتل الإنسان الكردي المسلم، فما كان من المرجع الحكيم‌ﷺ إلاّ أن يفتي بحرمة القتال، فقد زرعت هذه الفتوى حُباً متبادلاً بين العرب والكرد، بشكل لم يتوقع، وبذلك فهو موقف تقاربي بين أبناء العامة من الكرد والشيعة العرب، وفي ذات الوقت أعطت الفتوى بعداً آخر لاحترام القوميات وإعطاء روح التآخي والتآلف فيما بينهما.

* كما أن هناك العديد من الفتاوى التأريخية، ومنها السياسيَة، حيث أفتى بحرمة الانتماء إلى الحزب الشيوعي، كما مرّ في البحث.

د ـ الرسائل المتبادلة

١ ـ منهقُدِّسَ سِرُّهُ إلى سفير الباكستان في العراق السيد سجاد حيدر، وكذلك إلى السيد مظفر علي قزلباش[1] حول ما تركته الطائفية من أحداث مأساوية في يوم عاشوراء من منطقتي لاهور وخيربور.

٢ ـ رسالتهقُدِّسَ سِرُّهُ إلى جمال عبدالناصر يحذره من مغبة اعدام سيد

(١) وهو من الشخصيات الكبيرة اللامعة في الباكستان، وقد اعتزل مؤخراً السياسة، ولكنه بقي محترماً عند الحكومة والشعب.

قطب، ويطلب منه إطلاق سراحه، مع أن عبدالناصر لم يأخذ بهذه الرسالة، إلا أنها تركت أثراً طيباً في التقريب بين الصف الإسلامي السني والشيعي.

وقفة مع المشاريع الأربعة

١ ـ التعليقة التي يقول فيها السيد الخراساني (بعثته إليه، فكان أثقل عليه من الجبال الرواسي، فلم يتكلم بشيء بعد ذلك، وأخبرني الواسطة بأنه إلى شهرين كان متغيظاً مختنقاً).

وهذا يعني أن الشيعة لا يستطيعون أن يطالبوا بحقوقهم نتيجة الاضطهاد والقوة المسلطة عليهم، ومن ذلك تتضح حقيقة الوزارات المثالية في الحكم تجاه الشيعة.

٢ ـ قوة علماء الدين والمرجعية في إصدار تلك المواثيق والبيانات في اغتنام الفرص المناسبة.

٣ ـ العلماء هم الجهة المسئولة عن رغبة الشعب، ويظهر من خلال (ذلك)، قوة التلاحم بين الشعب وعلمائه، ونزول العلماء إلى رغبة الشعب بعد تعيين الصالح العام أولاً.

٤ ـ ضرب كل مطاليب الشعب وعلمائه دون التحقيق والنظر بها، وذلك تماشياً مع الخطة المبرمجة التي وضعها الإنجليز عام ١٩٢٠م، من اضطهاد مستمر للشيعة بشكل خاصة.

٥ ـ أثبت الشيعة خلاف الرأي القائل بأنهم لا يستطيعون مواجهة السلطة، ولا أن يطالبوا بحقوقهم فضلاً عن أنهم محجمين في بث عقائدهم وإظهارها علناً من خلال المناقشات والحوارات الحاصلة بينهم وبين أصحاب المذاهب الأخرى.

٦ ـ ومن النتائج المبكرة في محاربة الطائفية تكوين (حزب النهضة العراقي)، وكان واضع هذا المشروع السيد محمد الصدر، ويقول النفيسي: «إنَّه يدرك فوراً ما كان لهذه السياسة في التعيين من ردة فعل عنيفة لدى الشيعة، ولقد كانت ردة الفعل عندهم فورية، ولكن بتحفظ وضبط نفس وتقدم عالم شيعي، عرف بنشاطه السياسي من مجلس الدولة طالب البحث والترخيص لحزب سياسي اسمه (حزب النهضة العراقي)»[1].

(١) النفيسي، عبدالله: دور الشيعة في العراق: ١٩٩.

مرجعية آية الله السيد محمد باقر الصدر قدس سره

ولد الشهيد محمد باقر الصدر في مدينة الكاظمة ببغداد في يوم الأحد من الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من عام (١٣٥٢هـ) الموافق للثامن والعشرين من شهر شباط / فبراير من عام (١٩٣٥م)، وهو الوليد الثاني بعد السيد(إسماعيل الصدر) وتوفي والده (السيد حيدر الصدر) في عام (١٣٥٦) وقد مضى على ولادته ما يزيد على ثلاثة أعوام.

فقد عدم الصدر من الحنان الأبوي وعملت والدته الطاهرة من آل ياسين على تعويضه هذا الحنان، وخاله الكبير عميد أسرة آل ياسين المرجع الديني الشيخ محمد رضا آل ياسين، وأخوه الشيخ مرتضى آل ياسين، وكان للأخير ـ الشيخ مرتضى ـ تأثير مهم وكبير في حياة الشهيد الصدر ليس في بواكير حياته إنما في حياته فيما بعد، كما كان لأخيه الكبير السيد إسماعيل الفضل الأكبر في هذا التعويض، كما وصفه الشهيد الصدر قدس سره في ترجمة

أخيه بخطه الشريف يقول:(...رافقته أكثر من ثلاثين سنة كما يرافق الابن أباه، والتلميذ أستاذه، والأخ أخاه في النسب وأخاه في الآمال والآلام، وفي العلم والسلوك...)، وكان الشهيد الصدر قد كتب على نسخة من كتابه(اقتصادنا) إلى أخيه الشهيد إسماعيل الصدر:(أخي بل أبي أفديه نفسي...).

نسبه الشريف

يتصل نسبه إلى رسول اللهﷺ وبالتحديد إلى الإمام موسى الكاظمعليه السلام عن طريق ابنه إبراهيم المرتضى (٢١٠هـ). فيكون تسلسل نسبه كالآتي: (محمّد باقر بن حيدر بن إسماعيل بن صدر الدين بن صالح بن محمد بن إبراهيم (شرف الدين) ابن زين العابدين بن علي (نور الدين) بن (نور الدين) علي بن (عز الدين) الحسين بن محمد بن الحسين ابن علي بن محمد بن تاج الدين، المعروف بأبي الحسن ابن محمد ولقبه (شمس الدين) بن عبد الله ويلقب بـ (جلال الدين) ابن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن (أبي السعادات) محمّد بن (أبي محمد) نقيب نقباء الطالبيين في بغداد بن (أبي الحارث) محمد بن (أبي الحسن) علي المعروف (بابن الديلمية) بن (أبي طاهر) عبد الله بن (أبي الحسن) محمد المحدّث بن أبي الطيب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى (أبو سبحة) بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر بن الإمام الصادق بن

الإمام الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام».

وعرفت أسرته بآل الصدر، نسبة إلى صدر الدين(١٢٦٣هـ) ويلقب بالكاظمي أحياناً نسبة إلى الكاظمية موطن الأسرة مؤخراً، ولذا عدّ الدكتور حسين محفوظ في كتاب «العتبات المقدسة» ج١: ٧١ أسرة آل الصدر من بيوتات الكاظمّية.

وعرفت أسرته في بعض الأزمان القديمة بعدة تسميات منها:

١ـ (آل سبحه) نسبة إلى موسى (أبو سبحة) بن المرتضى إبراهيم ابن الإمام الكاظم عليه السلام و بـ (موسى) هذا تلتقي أسرة آل الصدر مع آل الشريفين المرتضى والرضي، فيما يفترق آل الشريفين بـ (محمد الأعرج) والد (موسى الأبرشي) الذي أعقب ثلاثة أبناء أحدهم أبا أحمد الحسين النقيب والد الشريفين.

٢ ـ (آل القطعي) نسبة إلى الحسين القطعي بن موسى (أبو سبحة).

٣ ـ (آل أبي الحسن) واسمه عباس كما ذكر الميرزا النوري في خاتمة مستدرك الوسائل عن بغية الراغبين ج١: ١٣.

٤ ـ (آل شرف الدين) نسبة إلى إبراهيم المعروف بـ (شرف الدين) المتوفي عام (١٠٨٠هـ) وهو الجد الخامس للسيد الشهيد، واليه تنسب الأسرة العلوية المعروفة في العراق وجبل عامل، عدا

(آل الصدر) حيث انتسبوا إلى جدهم السيد محمد المعروف بـ (صدر الدين) بن صالح بن محمد بن إبراهيم (شرف الدين) المشار إليه آنفاً.

والمعروف اليوم إن أسرة آل الصدر لبنانية الأصل، وبالتحديد من (جبل عامل)، إلا أن الأصح أنها عراقية قبل ذلك، فقد كان العراق موطن الأجداد منذ أصبح موطن الأئمةعليهم السلام.

ويقول الخاقاني في(شعراء بغداد)[1] «وآل الصدر من الأسر العلوية والعلمية الشهيرة في العراق، وقد كان موطنها الأول في بغداد وكربلاء، وتعرف يومذاك بآل الحسين القطعي، ومن هذه الأسرة العلمان الشهيدان السيد المرتضى والسيد الرضي، يجمعها جّد واحد هو السيد موسى المعروف بأبي سبحة، وأسرة آل الصدر موسوية تنسب إلى الإمام موسى الكاظمعليه السلام عن طريق ولده السيد إبراهيم المرتضى وهو مدفون في مشهد الإمام الحسينعليه السلام قريباً من الضريح. وهو غير السيد إبراهيم المجاب الذي له ضريح في الرواق».

وقد عُرّف عن رجال هذه الأسرة شغفهم وحبهّم للعلم والمعرفة وبذل مهجهم في طلبه، وهو ما يفسر انتشارهم في عدد من المراكز العلمية المنتشرة والبعيدة المسافات عن بعضها، فكان

(١) الخاقاني، علي ، شعراء بغداد ج١ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ط بغداد ١٩٦٢م.

لهم الأثر الكبير في إثراء الفكر والثقافة الإسلاميين في النجف وكربلاء والكاظمية وقم وخراسان وأصفهان ومكة وسامراء ومصر واليمن والهند، ويمكن القول بثقة عالية انه لم يخل مركز علمي منهم على الإطلاق[1].

وهذا ما ظهر بشكل واضح في كتابات المؤرخين والباحثين، وبهذا الخصوص تحدثت الجاسوسة البريطانية (المسل بيل) في إحدى رسائلها عن الصعوبات التي واجهت الاحتلال البريطاني ومحاولة البريطانيين الاتصال بالعلماء الشيعة وفي المراكز الشيعية بالتحديد، فتقول:«وهناك مجموعة من هؤلاء الذوات في الكاظميّة، المدينة المقدسة الواقعة على بعد ثمانية أميال من بغداد المتطرفة في إيمانها بالوحدة الإسلامية والمتشددة في مناوأة الانجليز وفي مقدمة هؤلاء اسرة الصدر التي قد تكون أبرز أسرة عرفت بالتعليم الديني في العالم الشيعي كلّه...»[2].

سيرته الطاهرة

عاش الشهيد الصدر حياة الفقر والعوز، يكابده بجلد وصبر،

(١) محمد الحسيني الإمام الصدر ... سيرة ذاتية ٥١، محمد باقر الصدر دراسات في حياته وفكره/نخبة من الباحثين ـ دار الإسلام ـ لندن.

(٢) انظر، الخياط، جعفر، الكاظمية.

في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة ج١: ٢٧٥.

ويقارعه بجد واجتهاد، ويلويه بكبرياء وأنفة وعناد، فلم تكن أحوال أخواله آل ياسين وأخيه إسماعيل رغم زعامة المرجعية لخاله «محمد رضا آل ياسين» لم يكن ظاهراً عليهم الترف، بل كانوا أحوج إلى المال لسد احتياجاتهم الضرورية.

ولذا رسم السيد الشهيد أهدافاً كبيرة، وانشد إليها بقوة هائلة أشبه بالجاذبية، فترنم بأنشودتها التي ملأت طريقه وأضاءت أمامه السُبل. بعد أن عزم منذ لحظة المسار الأولى على إحياء صور الآباء والأجداد ببطولاتهم وتفانيهم في سبيل العلم والجهاد والدين.

أ- العاطفة:

تميّز السيد الشهيد بعاطفة حارة وأحاسيس صادقة وشعور أبوي نحو كل من يلتقيه، يقول النعماني[1]:

تراه يلتقيك بوجه طلق تعلوه ابتسامة، تشعرك بحب كبير وحنان عظيم، حتى يحس الزائر أن السيد الشهيد لا يحب غيره، وأن تحدث معه أصغى إليه باهتمام كبير ورعاية كاملة. وإن سأله أجابه بمقدار استيعابه وتحمله، فتحصل حاله يحسّ الزائر من خلالها بحبٍ وعاطفة تملك قلبه.

هذه الميزة ـ العاطفة ـ في نظر البعض يعتقد أنها نقطة ضعف،

(١) النعماني، محمد رضا، سنوات المحنة وأيام الحصار: ٩٦.

وكان يلام السيد الشهيد وينتقد عليها، ومن العجيب أن ينتقد الإنسان على حسناته والتمثل بأخلاق أهل البيت عليهم السلام ويقول النعماني: هذه السمة ممن أرهبهم شموخ السيد الشهيد وامتداده في الأمة بعد أن عجزوا على العثور على سلبيّة في شخصيته أو سلوكه،فشنوا حملات كبيرة من الانتقاد والتشهير تثير العجب وكانوا يقولون:«أن السيد عاطفي لا يصلح للمرجعية وقيادة الأمة»؟!.

والحقيقة إننا نعتزّ ونفتخر حينما نقرأ في كتب السيرة أن الإمام الحسين عليه السلام بكى في يوم العاشر من المحرّم حينما رأى الجيش الذي حشده عبيد الله بن زياد لقتاله، وعندما سئل عن سبب بكائه أجاب: «إن هؤلاء سيدخلون النار بسببي»، فلنا الحق إن نفتخر بعاطفة السيد الصدر؛ لأن أئمتنا يمتلكون هذا القدر الكبير من العاطفة الهادفة. ويضيف النعماني:

كما أننا نبكي حينما نقرأ أن الإمام الحسين عليه السلام هدَه مقتل ولده علي الأكبر عليه السلام فعجز عن حمله، فقال لأصحابه: أحملوه فلا طاقة لي على حمله، وكذلك حاله مع أخيه العباس عليه السلام أو نتأثر حينما نقرأ إن النبي صلى الله عليه وآله رقّ لولده إبراهيم فعاتبه البعض على ذلك، فقال لهم: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرَّب.

ولا ندري ما هي الضرورة التي تفرض إن يكون المرجع

غليظ القلب مع شعبه، يعيش معهم بلا أحاسيس ولا مشاعر ولا عواطف؟[1].

ب- المواساة والزهد

مثلث حياة الشهيد امتداد حياة علماء الورع والتقوى والزهد، رغم تقدم الحياة وزيادة متطلباتها وضرورة التكيف مع واقعها ، فهو لم يجارِ الاستفادة من التقدم التكنولوجي في حياته الذاتية والحاجة الملحة لهذا المطلب كحجده علي عليه السلام حينما يبيت ويمشي وهو جائع رغم مايؤهل له وضعه، فكان للصدر بجده أسوة في التربية ومصاديق التأهيل القيادي.

ومن تلك المصاديق... يقول الشيخ النعماني الملازم له: في يوم من الأيام حاولت أن اشتري جهاز تكييف من دون إذنه؛ لان والدته مصابة بمرض في جهازها التنفسي، وكان الدكتور المشرف على علاجها(ضياء العبيدي) قد أخبرني بأن حالتها ستستمر بالتدهور ألا إذا استبدل جهاز تبريد الغرفة المائي بجهاز غازي، وفي اليوم التالي ذهبت إلى السوق لأسأل عن سعر الجهاز كي

(١) اعتمدنا بشكل رئيسي على ما قاله النعماني وبأسلوبه وكما جاء في كتابه دون حذف أو إضافة أحياناً، إيماناً منا بأن انسيابية قلم كاتب السطور قد لا تمثل –أو هكذا يعتقد البعض–التوثيق الدقيق وأن أعتمد النعماني مصدراً، أو لربما إن أسلوب النعماني القريب من الصدر يكون ابلغ في التوثيق والاطمئنان للحقيقة.

استأذن السيد الشهيد في شرائه، ولم أكن أخبرته برأي الطبيب، وان علاج والدته منحصر بهذا. ولكن أخبرته بأمر ذهابي إلى السوق لغرض معرفة سعر جهاز التكيف، وهنا كانت المفاجأة، لقد غضب غضباً شديداً، وتغيرت ملامح وجهه، واعتقد أني لو كنت ابنه لصلبه لضربني في تلك الساعة، ثم خاطبني منفعلاً بقوله:

هل مات إحساسك؟ هل تريد أن أنعم بالهواء البارد وفي الناس من لا يملك حتى المروحة البسيطة؟.

ألم تعلم بأني أريد لهذه المرجعية حياة البساطة والاكتفاء بأبسط مظاهر العيش بل الضروري منه.

ومن الغرابة أيضاً وأنا أتصفح كتاب النعماني فأجده يذكر بعض معالم زهد السيد الشهيد فيقول: «رأيت العجب في يوم من الأيام، وذلك بعد جريمة إعدام الشهداء الخمسةعليهم السلام حيث أصيب بخدر شديد في رجله أعجزه عن الحركة عدّة أيام، فلما أراد الاستحمام طلب مني مساعدته، فلما دخل الحمام رأيت ما نسمّيه بـ (الفانيلة) وفيها أكثر من مزق، فقلت له سيدي هذه(الفانيلة) ممزقة، فهل اشتري لك غيرها؟ فقال كلا، هذه لا يراها أحد، ولقد رأيته مراراً يصلح ملابسه بنفسه. يضيف النعماني أيضاً: في يوم من الأيام دخل عليه خادمه الوفي (محمد علي

المحقّق) في وقت لم يتوقع دخول أحد عليه، وكان رحمه الله جالساً في مكتبه، فوجده يأكل خبزاً يابساً وبيده قدح من الماء، ولم يكن يتوقع دخول الأخ المحقق في تلك الساعة، فخجل رحمه الله خجلاً شديداً وأدار وجهه إلى الحائط وهو لا يدري ما يفعل. وحدثني الأخ محقق(حفظة الله) أنة سمع السيد الشهيد يخاطب خادمة كانت عندهم تعرف بأم صالح بقوله: «إذا بعثتي بوجبة الغذاء لآقاي محقق، فابعثي معه الخبز الحار، واتركي لنا الخبز البارد».

ويقول النعماني: سمعت السيد الشهيد يقول: «يجب عليّ وأنا في هذا الموقع ـ يعني المرجعية ـ أن أكون في مستوى العيش؛ بمستوى الطلبة الاعتياديين».

وكان رحمه الله كذلك، فإن مافي بيته بمستوى ذلك إن لم يكن أدنى.

فمحتويات منـزله عبارة عن غرفة الاستقبال وفيها سجادة لا أعلم هل أهديت له أم قد اشتراها- كما يقول النعماني- لأنها قديمة، وعلى يسار غرفة الاستقبال غرفة أخرى مفروشة هي مقبرة آل المامقاني رحمه الله ليس للسيد الشهيد فيها قليل أو كثير، وإذا صعدت إلى المكتبة وجدتها مفروشة بقطعتين ممّا نسميه بـ (البسط) وهي جزء من صداق والدة السيد الشهيد. وفي الداخل ـ مسكن العائلة ـ توجد غرفة للنوم وللضيوف ولجلسة العائلة الاعتيادية لا تحتوي إلا أبسط المفروشات، وتوجد غرفة فوقها خاصة بالسيد

الشهيدرحمه الله مفروشة بما نسمّيه بـ (الكنبار) مع منادر للنوم، وهذه الغرفة اقرب إلى المخزن من غرفة الاستراحة والنوم.

وأما مع ولده الوحيد (جعفر) يقول النعماني:

«أتذكر أني في السوق وكان معي ولده جعفر وكان طفلاً، فرأى الموز بلونه الأصفر الجميل، فأحب إن يأكل منه فاشتريت له كيلوغرام واحد من مالي الخاص، فأكل منه وأعطى لأخته الصغيرة أيضاً وانتهى كل شيء، وحسبت أن الأمر قد انتهى، ولكن بعد ساعة من ذلك جاء السيد الشهيد يلومني على ما فعلت عندما لاحظ قشور الموز في سطل النفايات فعرف الأمر، ثم عاد إلى ولده ينصحه بكلمات جميله ورقيقه أحفظ منها هذه العبارة:«ولدي إن موز الجنة أطيب وألذّ من هذا الموز».

يقول النعماني ـ أيضاً ـ : كنت معه في الحجاز لأداء العمرة، وكانت العائلة برفقته أيضاً، لم نذق اللحم خلال كل تلك المدة، وكان معظم طعامنا الخبز والبيض واللبن، ولما مازحتهرضي الله عنه عن هذا الأمر قال لي: جئنا لنعتمر لا لنأكل «ويضيف النعماني: استشهدرضي الله عنه وهو لا يملك داراً ولا عقاراً ولا سيارة ولم أره يفكر إلا بشراء مقبرة له ولطلابه.

ويذكر النعماني: أن احد تجار مدينة البصرة علم بأن داراً تقع إلى جانب منـزل الشهيد معروضة للبيع، فحاول شراءها وأخبره

بأن مال الشراء مال شخصي وليس حقوقاً شرعية، فرفض السيد الشهيد قبول هذا العرض وقال له:

«إذا اشتريت هذه الدار فإني سوف أوقفها لسكن الطلاب ولن أسكنها أبداً».

فقال المتبرع: أريدها داراً لكم.

فقال السيد الشهيد: «أنا لن أمتلك داراً حتى يتمكن كل الطلبة من شراء دور لهم، وحينئذ سأكون آخر من يشتري».

ج- أخلاقه:

حينما يريد المرء الوقوف على مصاديق الأخلاق يجدها متجسدة بوضوح في تعامل السيد الشهيدﷺ فهي ميزة جبلت عليها فطرته الإيمانية فعكست نقاء قلبه الصافي والواسع بحب الناس، وأي الناس؟ أولئك الذين رموا سهامهم الخبيثة وكلماتهم المريضة في مجلسه ومجالس الآخرين، وحول هذه الميزة الطيبة يذكر الشيخ النعماني بعض ما رآه وسمعه، فيقول: في إحدى المرات جاء أحد الطلبة محتاجاً لمال ينفقه على علاج زوجته، فأعطاه السيد الشهيد رغم ضيق يده (مئة دينار) فسمع آخر بهذه القصة فجاء إلى السيد الشهيد لا لحاجة به إلى المال، فاعتذر منه السيد الشهيد، فأخذ يصرخ بوجه السيد ويقول له: أنكم تجمعون المال لشراء الذهب لنسائكم، وتنعمون وترغدون ونحن جياع، فيقول

النعماني: أني لم أتمالك أعصابي وعزمت على أن ألقّنهُ درساً، فقرأ السيد الشهيد ذلك في ملامح وجهي، وبعد أن خرج هذا الرجل، قال لي السيد الشهيد: ماذا كنت تريد أن تعمل؟ فقلت له بما كنت أضمر، قال: لا بأس عليك، إنني أسمع أكثر وأقسى ممّا سمعت، ويجب عليك أن ترتفع بأخلاقك وصبرك إلى مستوى المسؤولية، فأني بالرغم ممّا سمعت من تهم وشتائم، فأني لا احمل عليه حقداً ولا كرهاً؛ لأنه لو أطلع على أوضاعي لما صدر منه ما صدر، وسوف يأتي اليوم الذي يندم فيه، ويصلح خطأه، ويقول النعماني: شاء الله أن يأتي هذا اليوم ويعتذر من السيد الصدر ويقبل يده ورجله وعندها ذكّرني.بما نصحني بهﷺ وقال: هكذا يجب أن نتعامل مع الناس.

ومصداق آخر، يقول النعماني: بلغه أن احد أبناء المراجع قال لمدير أمن النجف: «ماذا تنتظرون بالصدر هل تريدونه خمينيّا ثانياً في العراق، لماذا لا تعدمونه...».

فقالﷺ لّما بلغه ذلك: (غفر الله لك يا فلان، أن قتلوني اليوم قتلوكم غداً ...» ولم يزد على ذلك شيئاً.

ومن مذكرات السيد الحائري[1] بهذا الخصوص يقول: انفصل أحد طلابه عن درسه وخطه الفكري الإسلامي، ثم بدأ يشتمه

(١) مباحث الأصول ج١: ٤٦و٤٩.

وينال منه في غيابه أمام الناس، وكان كثير من كلماته يصل إلى مسامع استاذنا العظيم، وكنت ذات يوم جالساً بحضرته الشريفة، فجرى الكلام عن هذا الطالب الذي ذكرناه فقال﵀: «أنا لا زلت اعتقد بعدالة هذا الشخص،وأن ما صدر منه ناتج من خطأ في اعتقاده وليس ناتجاً من عدم مبالاته بالدين»[1].

ويذكر السيد الحائري ـ أيضاً ـ عند تسفير الإيرانيين في زمن حكومة البعث ومن ضمنهم طلبة العلوم الدينية، رأيت أحد الطلبة في النجف مودعاً لاستأذنا الشهيد، فرأيت الأستاذ يبكي في حالة وداعه إياه بكاء الثكلى، رغم أنه كان يُعرف أن هذا الرجل يُعد في صفوف المناوئين له[2].

د- عبادته﵀

هذه الخصيصة تعتبر من الجوانب الرائعة في حياة السيد الشهيد، فهو يهتم بالكيف وليس بالكم[3].

فكان يقتصر على الواجبات وبعض المستحبات، وقد أمتاز﵀ بالاستحضار الذهني والصفاء القلبي قبل أداء الصلاة، ولذا كان يتأخر عن موعد الصلاة ما يقارب نصف ساعة وهو جالس في

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) النعماني، مصدر سابق: ١١٩.

مصلاه مطرق برأسه ثم فجأة ينهض فيؤدي الصلاة، فيقول الصدرﷺ حول هذه الظاهرة: «أني آليت على نفسي منذ الصغر أن لا أصلي إلا بحضور قلب وانقطاع، فأضطر في بعض الأحيان إلى الانتظار حتى أتمكن من طرد الأفكار التي في ذهني، حتى تحصل لي حالة الصفاء والانقطاع، وعندها أقوم للصلاة».

ويضيف الشيخ النعماني: لم تكن هذه الحالة خاصة بالصلاة فقط، بل كانت تمتد إلى كل أشكال وصور العبادة الأخرى، ولقد سمعته خلال فترة الحجز ـ ولم أسمعه قبل ذلك ـ يقرأ القرآن في أيام وليالي شهر رمضان بصوت حزين وشجي، ودموع جارية، يخشع القلب لسماعه، تسمو النفس لإلحانه، وهو في حالة عجيبة من الانقطاع والذوبان مع معاني القرآن، أنه مشهد عجيب يعجز القلم عن وصفه وما فيه من معنويات كبيرة.

أساتذتهقدس سره

١ـ الشيخ محمد تقي الجواهري، حضر عنده كتاب الكفاية لم يثبت القطع فيه[1].

٢ـ الشيخ محمد باقر الشخص، حضر عنده قسماً من كتاب الكفاية.

٣ـ السيد محمد الروحاني، حضر عنده الكفاية والمكاسب كما

(١) الحسيني، محمد، الإمام محمد باقر الصدر... سيرته ومنهجه:٦٧.

أكده السيد الروحاني للباحث محمد الحسيني[1] ولكن امتنع الروحاني عن الإجابة كتابةً، غير أن الشهيد السيد محمد باقر الحكيم، نفى أن يكون السيد الشهيدقدس سره درس عند الروحاني ولكن كانت بينهما مباحثه، وأظنّه يقول الحكيم كان يدرس عند الشيخ محمد تقي الجواهري.

يبدو أن السيد الشهيدقدس سره أعتمد اعتماداً كليّاً على طاقاته الذاتية وحضورهُ عند هؤلاء الأساتذة كان حضوراً لاستكشاف ومحاولة لاختبار إمكانيات الأساتذة فيما إذا كانوا يشبعون رغبته العلمية. ولا يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن سيره الثقافي إلا على هؤلاء الأساتذة في هذه المرحلة العلمية.

وحضر بحوث الخارج على يد الشيخ محمد رضا آل ياسين، وبحث الشيخ عباس الرميثي وهو من تلامذة الشيخ آل ياسين[2]

---

(١) المصدر نفسه: ٦٧.

(٢) كان الشيخ عباس الرميثي من ابرز المجتهدين فقهاً وأصولاً ومن ابرز تلامذة الشيخ محمد رضا آل ياسين، وكان أستاذه يرشد إلى تقليده، وقد أرجع جماعة من أهل بيته في المسائل التي يحتاط بها إلى الشيخ الرميثي، وقد قلّده جملة من شباب آل ياسين في قضية جواز حلق اللحية، وكان الرميثي يقول بجواز حلق اللحية على كراهة ولا يقول بالتحريم فيما كان شيخه يحتاط بهذه المسألة، فرجع إليه كثير من وجهاء آل ياسين كالدكتور عباس عز الدين آل ياسين والدكتور محمد علي آل ياسين والأستاذ عبد الرسول آل ياسين والدكتور جعفر آل ياسين(انظر مذكرات السيد طالب الرفاعي ١: ٢)

وحضر ايضاً عند خاله الشيخ مرتضى آل ياسين في تلك الفترة، ثم انتقل إلى بحث السيد الخوئي ويقول السيد الحائري: انه رضي الله عنه حضر عند السيد الخوئي ابتداءً عام ١٣٦٥هـ وانتهاء عام ١٣٧٨ هـ أصولاً والعام ١٣٧٩هـ فقهاً[١].

علميته رضي الله عنه

احتل السيد الشهيد محمد باقر الصدر صدارة الفقه الشيعي بجداره، وفي سنين مبكرة من عمره الشريف، فكان نابغاً، وذا عقلية غير اعتيادية، بل كان النبوغ عنده موهبة ضمن تركيبته. ومما يؤكد ذلك تأليفه البكر: (غاية الفكر) في مرحلة شبابه وهو من البحوث الأصولية الذي لا يخفي في مقدار الغموض والتعقيد والصعوبة فيها، وقد بقيت فيه الكثير من آرائه متطابقة مع آرائه العلمية في بحوثه الأصولية، وإن لم تكن جميعها متطابقة، ولا نجد في محاضراته حول تعارض الأدلة الشرعية تلك المخالفة الكثيرة للمشهور ولا يعد خلافة لهم إلا نادرا مع أنه ألقى هذه المحاضرات بعد ما ترامت آفاق تفكيره أبعد فأبعد[٢].

وقد ساهم نبوغه في استطلاع الحاجة الماسة للمفكر الإسلامي لتنويع ثقافته التي تجعله يفهم الآخر ويقف على محنته

(١) الحائري، اية الله السيد كاظم، مقدمة مباحث الأصول:٤٤.

(٢) انظر مقدمة (غاية الفكر)،ص٧.

ويتناول اهتمامه من زاوية التأثير عليه، ولذا جعل السيد الشهيد من الثقافة والوعي أداة للتغير، وليس أداة من أدوات الابتزاز أو التفوق على الآخر، فان اهتمامات الناس وعوامل الضغط المحسوسة تجعلهم يتطلعون إلى المنقذ الذي يملك القدرة على التشخيص والكفاءة بإجراء الحلول. ولذا في مرحلة الحاجة الماسة للمجتمع نراهﷺ يكتب: (اقتصادنا و فلسفتنا) وتميزت هذه بأستشهادات فقهية ذات نكهة خاصة متميزة في قوة القاعدة والدليل وأحكام الصياغة وايضاً في كتابة (الأسس المنطقية للاستقراء) فهي نظرية جديدة ذات أفق واسع تناول فيها قواعد وأصول الفكر الإسلامي وهي من النظريات التي تعالج قضايا مهمة في قواعد الفكر الفلسفي، وإن كانت نظريته في الاستقراء لم تشق طريقها بالشكل المناسب في الأجواء العلمية في العالم، ولكن سيأتي الوقت المناسب التي تطرح فيه هذه النظرية بالصورة المناسبة لها وبالحجم العلمي المناسب، وايضاً كتابه (البنك اللاربوي في الإسلام) فهو جهد فقهي جديد ومقارن يتصف بالعمق في مرحلة الاستنباط والخبرة في مرحلة المقارنة والأصالة مع كل المراحل التاريخية، مع ما امتاز به من الصياغة والتعبير.

هذه العبقرية العلمية الفريدة أرادت أن تطرح الإسلام مفهوماً عملياً في الميدان، وسلوكاً متميزاً عند الفرد، ولذا يمكن أن نقرأ من مجمل نتاجاته الجانب الهدفي الأسمى:

١ـ أكدت براءته من صيغ التحدي، لأنه صاحب رسالة، ولذا اختفت تلك الشرطية الافتراضية المشهورة (إن قلت، قلت) وحلّت مكانها لغة الصرح المسؤول الذي يعبر عن الفكرة والمضمون بأعلى شفافية.

٢ـ ترفّعه عن صيغ وأساليب الاستفزاز المباشر وغير المباشر ايضاً، فلم تجد تلك النبرة الآمرية القاسية التي تفترض أسبقية الجهل أو الآخر المسكين، التي يستبطنها النداء المشهور ...(فأفهم)!!.

٣ـ ابتعادهﷺ عن صيغ الاستدراج السقراطي التي غزت المباحث الأصولية والكلامية والفقهية.

٤ـ البرهان المحاجج به لا يقوم على المباغتة أو المفاجئة وإنما على الوضوح والإبانة والصراحة، ويشعر القارئ منذ البداية أنه هادف وقاصد وليس لاعباً أو مبارياً، ولذا فهوﷺ لم يشعر القاريء بنوع من الضوضائية في الطرح ولا الاستدراج، وإنما يشعره بالخلاف العلمي.

٥ـ ولم يلمس من نتاجه الفكري إدعاء أنه استوعب التاريخ وأنه جمد حركة الفكر، بل بالعكس تتضح صورة إيمانه بالطاقة الإنسانية والقدرة على الإبداع المستمر، ولذا لم نقرأ في نصوصه ادعاءات تجميع التاريخ وتكريسه إلى الأبد، لقد غابت في

طموحاته هذه العبارة (..وهذا ما بيّناه بما لا مزيد عليه!) أو (..والقول الفصل!!) أو (..هذا لم يسبقنا إليه أحد) حقاً أنه تواضع المفكرين والعلماء الأتقياء.

٦ـ تنـزه﵀ في كل بيانه وخطابه عن أي عملية بتر أو تشويه، وحرص على أن تكون الإحالة إلى المصادر الأم أو إلى ينابيع المصادر بكل شرف وأمانه، ولعل كتاب(فلسفتنا) يكشف عن هذه الحقيقة بوضوح جلي، أنه أدرج أكثر من عشرين نصاً ماركسياً أصيلاً دون حذف أو تحوير، وحرص على ذكر النصوص التي بإمكانها إن تجلي جوهر الماركسية وحقيقتها، وتبلغ هذه الأمانة الذروة عندما يرى أن الماركسيين طلبوا الفردوس للإنسان ولكنهم أخطأوا الطريق،الأمر الذي يذكرنا بقول جده الإمام علي﵇ عندما قيّم الخوارج بكلمته الخالدة «ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه[1]» ولذا كان السيد الشهيد محمد باقر الصدر﵀ بحد ذاته مدرسة تميزت عن باقي المدارس الفكرية بميزتين أساسيتين هما: الشمول والأصالة، فهي من ناحية شملت آفاقاً متعددة ومتنوعة من المعرفة الإسلامية والإنسانية، فلم تقتصر على التطرق إلى حقل فكري واحد من حقول المعرفة،

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع ج١: ٢١٨. المازندراني شرح أصول الكافي ٨: ١٠٦ العلامة المجلسي بحار الأنوار٤٤: ١٣و١٩. والشيخ النمازي في مستدرك سفينة البحار ٣: ٤٨

بل طرقت أبواب حقول مختلفة كالفقه والأصول والمنطق والفلسفة وأصول الدين والاقتصاد والتفسير و التاريخ الإسلامي والقانون والمسائل المصرفية ومناهج التعليم والتربية ومناهج العمل الاجتماعي والسياسي ومناهج الحكم وغير ذلك من حقول المعرفة البشرية . هذه الشمولية نابعة من ما كان يتمتع به السيد الشهيدﷺ من موسوعة علمية عملاقة ومن نبوغ قذفه الله في قلبه، فضلاً عن جهد عملي متواصل يمكن اعتباره على هذا الأساس أنه فلتة من تاريخ العلم والنبوغ، أما خاصية الأصالة والاستيعاب، فهي شملت عندهﷺ كلّ الاحتمالات والجوانب وبمنهجية علمية رصينة وفائقة في انتظام الأفكار وجدة المعطيات «فالعالم والمفكر في رحاب هذه المدرسة لا يجد نفسه إلا أمام الجديد والنظريات وبوجه الإبداع الفني الباهر. أما في أسلوب الطرح والمنهجية العلمية أو في الموضوع أو المستوى والنظرية مما يحيّر ألباب العلماء والمفكرين ويدهش الباحثين ويحمل الجميع على الإعجاب والتقدير والتبجيل لهذه الشخصية الفذة»[1].

محمد باقر الصدر... والوحدة الإسلامية

الملاحظ: أنَ كتابات السيد الشهيد، تخلو من النفس والحس الطائفي، فإنّ كتبه الأربعة (فلسفتنا و اقتصادنا و البنك اللاربوي

(١) آية الله الهاشمي، محمود، صحيفة الجهاد العدد ٨٠، ١٩٨٣م.

في الإسلام و الأسس المنطقية للاستقراء) تخلو من أي إشارة طائفية فضلاً أنه أخذ في كتاب (اقتصادنا) من مصادر سنية وشيعية على حد سواء، وبما إن السيد الشهيد كان متصدياً سياسياً، فهذا ما يتطلب منه إن يخفف من لهجته الشيعية واندكاكه المذهبي،وهذا لا يعني أن السيد الشهيد يجب عليه التخلي من معتقده وإيمانه بسبب تصديه السياسي، ولكن كانﷺ يحرص على أن يكون إسلامياً بالدرجة الأولى، فالإسلام هو الغاية والهدف، أما الطائفية فهي أسلوب من أساليب السياسة العلمانية القاتلة لروح الوحدة الإسلامية وشل طاقة المجتمع بالصراع الذي لا جدوى منه، وبما أن العالم الشيعي قد لا يستطيع التغاضي عما هو مطلوب منه مذهبياً في صياغة البحث المذهبي، نرى إن السيد الصدرﷺ في كتابه الأول (فدك في التاريخ) ظهرت عليه النـزعة الشيعية في بحث المسألة تاريخياً، فهو يدرس قضية فدك، ارث فاطمة الزهراءعليها السلام من والدها النبي محمدصلى الله عليه وآله ويدور بحث السيد الشهيد حول حقيقة حق الإمام عليعليه السلام في الخلافة، ويرىﷺ في فدك مظهراً من المظاهر الذي تجلى فيه افتراق السياسة الجديدة عن خط الرسولصلى الله عليه وآله.

كان صدور هذا الكتاب في عام ١٩٥٦م، وعلى امتداد عشر سنوات قادمة، لم يطرحﷺ قضية شيعية بشكل مفصل سوى مقال

منفرد في (مجلة الأضواء) وانه ذكر التقية في مقال آخر[1] ولكنه في عام ١٩٦٦م ألقي محاضرة بعنوان (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) شرح فيها المبادرات الايجابية للائمة في الحفاظ على الإسلام في عصور مختلفة توالت فيها أنظمة جائرة. وكانت هذه بداية سلسلة محاضرات جديدة في الفترة من ١٩٦٨-١٩٦٩م أي مع بداية مجيء زمرة حزب البعث. ثم جمعت هذه المحاضرات وطبعت تحت عنوان (أهل البيت تنوع أدوار ووحده هدف) وكان القصد منها أظهار الجانب التربوي والإعداد الروحي عند الأئمة في مقابل الدور السياسي، وهي محاضرات علمية تاريخية في بناء الفرد وتسلحه الإيماني في مواجهة الطواغيت. فالأئمة عند السيد الشهيد هم المنابع الحقيقية للإسلام وهم خط الإسلام الصحيح الذي لا يقاتل الشيعة وحدهم في سبيله. بل كل المسلمين من أتباع المذاهب الأخرى، فالأئمة ليسوا مصاديق الخط الشيعي فحسب، وإنما هم منار ومنهج الإسلام الحقيقي بعد الرسول كما أن الأئمة عند السيد الشهيد يمثلون خطاً فكريا لا يتحدد بزمنهم، وإنما يمتد على

(١) انظر الإمام الشهيد محمد باقر الصدر مراجعة لما كتب عنه باللغة الانجليزية، الدكتور عبد الرحيم حسن مجلة الفكر الجديد العدد ١٦ تموز ١٩٩٣م: ٢٨٦- ٣٢٩.

مساحة زمنية عريضة تشمل تتابع الأجيال القادمة.

فالسيد الشهيد في هذه المحاضرات طرح منهجية وطريقة غاية في الدقة بعد أن أشرك جماعة السنة وعدم اثارة النـزاع الشيعي ـ السني التقليدي، بل كان منهجه طرح الصور التاريخية التي تضعف من طابع المنافسة الشيعية ـ السنية في بعض المواقف التاريخية الأساسية. في الوقت ذاته يكشف منهجه لحياة الأئمة رأيه الشيعي العميق ويخلص في تفكيره أن الانحراف في التاريخ الإسلامي جاء من أخذ أشخاص آخرين لمقام خلافة النبيﷺ من الإمام عليعليه السلام ولذا فان السيد الشهيد الصدررضي الله عنه هو العالم الذي امتاز بتأثيره في الوسط السني العراقي، وهذه من خصال القيادة الحقيقية لرجل يطمح بتغير الواقع السياسي المتهرء في بلد مثل العراق. حينما يراعي مشاعر كل الأقليات الدينية على الأقل.

وكلّما كان الإنسان أكثر وعياً وحِلماً وصبراً، وراسماً لهدف أكبر وأشمل في فهم حركة الإسلام وجوهرِه، كان أكثر انفتاحاً على الأمة الإسلامية، بمختلف مذاهبها وأطيافها. فقد دلّت خطاباته وبياناته، واهتماماته الشخصية بالعديد من أبناء المذاهب الأخرى على سعة شموليته ونظرته العادلة لجميع المسلمين.

ولذا يقول من نداءٍ له للشعب العراقي: «يا شعبي العراقي

العزيز ... أيها الشعب العظيم.. أني أخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك، وحياتك الجهادية بكل فئاتك، وطوائفك، بعربك وأكرادك، بسنتك وشيعتك، لأن المحنة لا تخص مذهباً دون آخر، ولا قومية دون أخرى، وكما أن المحنة هي محنة كل الشعب العراقي فيجب أن يكون الموقف الجهادي، والرد البطولي، والتلاحم النضالي هو واقع كل الشعب العراقي».

ثم يقول: «وإني منذ فترة وجودي ومسئوليتي في هذه الأُمة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء، ومن أجل العربي والكردي على السواء، حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً، وعن العقيدة التي تهمهم جميعاً، ولم أعش بفكري وكياني إلا للإسلام طريق الخلاص وهدف الجميع»[1].

(١) وحول هدفية الخطاب السياسي عند الشهيد الصدرقدس سره علّق الشهيد محمد باقر الحكيمرحمه الله قائلاً: «كان له دور عظيم في تعبئة الأمة، ويجب علينا أن نقوم بعمل مدروس للخطاب السياسي من أجل تعبئة الأمة بهذا الاتجاه، خصوصاً وإن النظام سجّل تراجعات واضحة في سياساته الداخلية.

إن المنهج والخطاب السياسي الذي حدّده الشهيد الصدرقدس سره لم يكن أمراً غريباً واجتهاداً بعيداً عن الواقع، بل كان يتطابق مع الظروف السياسية التي يعيشها الشعب العراقي، ولذا كان له هذا التأثير الكبير ولا سيما أنه خطاب قد ضمخه الشهيد الصدرقدس سره بدمائه الزكية»، انظر موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية / ج٤ (الشهيد الصدر) / مؤسسة تراث الشهيد الحكيم: ٣٠٤.

لاحظ ماذا يقول بعد ذلك: «فأنا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي، أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام، وبقدر ما تحملون هذا المشعل العظيم لإنقاذ العراق من كابوس التسلط والاضطهاد».

ثم يروح موضحاً واقع الصراع مع النظام: «إنّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا من السُنّة إن المسالة مسألة شيعة وسنة، وليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضد العدو المشترك».

ويستطرد سماحته بهذا المنهج التوحيدي لصفوف العراقيين قائلاً: «وأريد أن أقولها لكم يا أبناء علي والحسين، وأبناء أبي بكر وعمر، إنَّ المعركة ليست بين الشيعة والحُكم السُني، إن الحكم السني مثلهُ الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل حمل علي السيف للدفاع عنه، إذ كان جندياً في حروب الردّة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر، وكلنا نحارب تحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي، إن الحكم السني الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج الآلاف من الشيعة، وبذلوا دمهم رخيصاً من أجل الحفاظ على راية الإسلام، ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام»، ثم يعلق سماحته على سياسة النظام البعثي قائلاً: «إنّ الحكم الواقع اليوم

ليس حكماً سنياً، وإن كان الفئة المتسلطة تنتسب تاريخياً إلى التسنن، فإن الحكم السني لا يعني حكم شخص ولد من أبوين سنيين؛ بل يعني حكم أبي بكر وعمر الذي تحداه طواغيت الحكم في العراق اليوم في كل تصرفاتهم، وهم ينتهكون حُرمة الاسلام ، وحرمة علي وعمر معاً في كل يوم وفي كل خطوة من خطواتهم الإجرامية ... ألا ترون يا أولادي وإخواني أنهم أسقطوا الشعائر الدينية التي دافع عنها علي وعمر معاً؟.

ألا ترون أنهم ملئوا البلاد بالخمور وحقول الخنازير وكلّ وسائل المجون والفساد التي حاربها علي وعمر معاً؟».

بهذا الخطاب الموجّة إلى الشعب العراقي من عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م[1]، دلّ الخطاب على أن شمولية السيد الصدر تبحث عن مواقع المشتركات بين المذاهب الإسلامية، وليس البحث عن مواقع الخلاف والتصعيد المذهبي، وهكذا سجّل السيد الصدر معلماً هاماً في الحفاظ على وحدة الشعب العراقي ودعوة كل العراقيين لوحدة الصف أمام الأخطار الداهمة والهادمة لكيانهم، وفي ذات الوقت ترك بصمته على بصمات ومسار مراجع التشيع

(١) انظر الخطابات السياسية للشهيد الصدر قدس سره في ملاحق كتاب (محمد باقر الصدر... حياة حافلة .. فكر خلاّق) للباحث محمد الحسيني: ٧٣٤ ـ ٧٤٠.

لهذا المنهج الجامع لوحدة المسلمين[1] والحاقن لدمائهم تحت خيمة هذا الوطن الحُر الذي يُرجى لشعبه الخير والسعادة.

(١) واستمرت المرجعية الدينية بهذا التوجه في حفظ وحدة الشعب العراقي، ونبذ كلّ السياسات الطائفية والتفرقة القومية، وقد ظهر ذلك جلياً في حركة مرجع الميدان آية الله السيد محمد محمد صادق الصدر﵀ في العديد من خطبه وبياناته حتى استطاع بمشروع ـ صلاة الجمعة ـ استقطاب الكثير من أبناء المذاهب الأخرى وأجاز الصلاة وراء أئمتهم، مبتغياً وحدة الهدف ورص صفوف العراقيين في التوجه نحو الخطر الأكبر الذي يهدد وطنهم، وما يعانونه من واقع سياسي استبدادي رهيب.

كما مثلت بيانات وتوجيهات المرجع آية الله السيد علي السيستاني بعد مرحلة سقوط نظام صدام حسين، ذات المسار والتوجه الذي سار عليه مراجع الشيعة لحقن دماء العراقيين بمختلف مذاهبهم ودياناتهم أمام ما حصل ويحصل من فتن يُراد منها توظيفاً سياسياً، في وقت يلتهب فيه العراق ناراً ربما لا تطفأ إلا بلطفٍ إلهي، هذا في الوقت الذي سجل فيه العراقيون منذ تشكيل الدولة العراقية ١٩٢٤م جواً وديعاً من التعايش السلمي بين كل مقوماته المذهبية والدينية والقومية، ولم يسجل لنا تاريخ هذه الحقبة من مؤشر طائفية اجتماعية بتاتاً، ولكن يمكن القول: إن السياسيين في كل الأنظمة المتعاقبة حاولوا تفعيل الطائفية السياسية، وهذا ما ظهر بشكل واضح في حكومات العهد الملكي والنظام الجمهوري الأخير.

التحرك السياسي عند السيد الشهيد رضي الله عنه

لم يكن السيد محمد باقر الصد رضي الله عنه بالمثقف العالم دون العمل، ولا المنظر دون التطبيق، ولا كان القاريء للحدث ، ويمر عليه دون أن يعيه، بل كان انساناً رساليّاً حركيّاً. عاش همَ الرسالة وهمّ الحوزة ومحنة العراق ومحنة الإسلام وخضم الصراعات من اجل إن يعلو صوت العدالة وصوت الحق شاهقاً يملأ رحاب الكون الفسيح و تشيع أنواره وفيوضاتة القُدسية، فكانت ولادة الصدر ولادة مع القدر، ولادة مع الدور الذي ينتظره.

اختزل المسافات وعلا أعتاب التاريخ، فارتقى القمة، فكان الفكر المحمدي الأصيل والصوت الحسيني الخالد.

انطلق الصدر حركياً منذ عام ١٩٥٧م مع بدايات بناء اللبنة الأولى لتأسيس حزب الدعوة الإسلامية وتشكيل جماعة العلماء في النجف الأشرف، وبعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم في فترة اعتماده على الحزب الشيوعي، طرحت الماركسية بقوة وسط الشارع العراقي مع شيوع ظاهرة الإلحاد،

ومن الأمور التي استفزت الفرد المسلم وجاءت خلاف النصوص القرآنية: إصدار قانون الأحوال المدنية(الشخصية) الجديد وخصوصاً بعض بنوده التي تعالج الإرث وحقوق المرأة، ثم استمر بعض الشيوعيين في هجومهم على المؤسسة الدينية وعلماء الدين مع حملة إعلامية مركزة على الفكر الديني باعتباره عقبة كأداء في طريق النهضة، وتطور الشعوب، فكانت المؤسسة الدينية عاجزة عن صدّ هذه الهجمة الإعلامية، وقد اتسعت دائرة النفوذ الماركسي حتى في أوساط الأهالي في المدن المقدسة كالنجف الأشرف وكربلاء والكاظمية، والأنكى إن الشيوعيين قد نجحوا حتى في كسب وتنظيم أبناء عوائل معروفة بتدينها ومحافظتها على التقاليد الدينية وحتى من بعض بيوتات زعماء الدين[1].

المؤسسة الدينية في هذه الفترة انقسمت إلى مجموعتين، احداهما ترى عدم التدخل في الشؤون السياسية وتفضَل إبقاء الحوزة العلمية بمنأى عن المداخلات السياسية وتعقيداتها، وهم جماعة العلماء التقليديين، أما المجموعة الثانية فكانت ترى عكس ذلك تماماً، فنظمت نفسها تحت اسم (جماعة العلماء) في النجف الأشرف.

(١) انظر تفاصيل ذلك في مذكرات السيد مهدي الحكيم﵀ (التحرك الإسلامي في العراق): ٢٨.

وهنا كان السيد الشهيد الصدر﵀ لايزال عالماً شاباً ولم يكن عضواً في هذه الجماعة التي ضمت كبار العلماء والمجتهدين المعروفين، ولكنه استطاع تمرير تأثيره على هذه الجماعة من خلال موقع الشيخ مرتضى آل ياسين وأخيه الأكبر السيد إسماعيل الصدر الذي كان يحتل مركزاً مرموقاً في الجماعة، وأن الهدف من تشكيل هذه الجماعة هو وضع برنامج سياسي للتصدي للنزعة العلمانية السائدة في مجتمع العراق المسلم، وقد أصدرت هذه الجماعة عدة بيانات أذيعت من إذاعة الحكومة العراقية، أظهروا فيها تضامنهم ومساندتهم من الزعيم عبد الكريم قاسم، وهي محاولة لاستمالته إليهم أو لإدراكهم شعبيته الواسعة في المجتمع، وعند اصدار المرجعية الدينية فتوى تحريم الانتماء إلى الحزب الشيوعي انتهى دور الجماعة الإعلامي مع العلاقة الطيبة بينهم وبين الزعيم قاسم.

السيد الشهيد﵀ رأى أن أسلوب الفتوى لم يكن وحده علاجاً ناجعاً لتقليص أثر المد الشيوعي في صفوف المثقفين والطبقات الكادحة، فعكف على تأليف كتابه الشهير (فلسفتنا) كأسلوب علمي يفند به الرؤية الماركسية في سعادة الإنسان، وعلى أثر هذا الإصدار استطاع الدعاة في الوسط الجماعي أن يكون لهم تأثير كبير ومساحة واسعة من الحرية الثقافية في الرد العلمي على الفكر

الماركسي، وقد اهتدى الكثير من أبناء العراق أثر هذا الإصدار الذي يعدّ حقيقة انجازاً علمياً قلّ نظيره في دحض الماركسية الشيوعية، فهوﷺ بيَّن فيه العيوب والثغرات في القواعد الاساسَية للمادية الجدلية، كما تضمن الكتاب دراسة لأهم المدارس الفلسفية منذ عهد (بلاتو) وحاول بيان عدم ترابط المدرسة الفلسفية المادية وافتقارها إلى الدقة في تفسير تطور المعرفة الإنسانية وحقيقة الطبيعة المحيطة بالإنسان، وأوضح أن النـزعة الحديثة في المدرسة المادية، وهي المادية الجدليّة، تعاني من نواقص كثيرة وكبيرة لا تؤهلها لأنب تكون الحقيقة النهائية عن الإنسان، وعلية فان الشيوعية لا يمكن أن تكون حلاً ناجعاً لمشاكل المجتمع عندما تكون فرضياتها الأساسية خاطئة

في الواقع إن الشهيد الصدرﷺ مارس الكتابة في مجلة الأضواء، ومارس نشاطاً واضحاً مع جماعة العلماء، وأصدر كتابيه الشهيرين (فلسفتنا واقتصادنا)، أراد من كل هذه الحركة الفكرية محاولة ذكية لنقل الصراع مع الماركسيين من حالة الشعارات وأبواق الدعاية إلى حالة السجال الفكري والفلسفي والعقائدي والسياسي، كما أنه كان يهدف إلى إثبات أن الإسلام هو قوة عظيمة لاستثمار تعاليمه في حل مشاكل العصر والمجتمع الحديث، وبالتالي الرقي الذي يخدم الإنسان الفرد والمجتمع ككلّ.

مع كلّ هذه الحركة الفكرية الثقافية، كان﵀ المرجع الأول لحزب الدعوة الإسلامية وساهم بكل طاقاته في دعمه، وأشار بضرورة الحفاظ على هذا الكيان التنظيمي، واستقطب إلية الكثير من الطاقات الفكرية والعلمائية المعروفة آنذاك، فقد شارك الصدر ﵀في اجتماع تأسيسي للحزب في مدينة كربلاء[1] ومنذ ذلك الحين وطبقاً لمصادر حزب الدعوة بذل السيد الصدر نشاطاً بارزاً ومهماً في صياغة تركيبة الحزب وكتابة منهاجه السياسي، ثم أصبح فقيهاً للحزب[2]، وأكّد الشهيد محمد باقر الحكيم﵀: «وتبنى شخصياً ـ في بعض الأدوار الأولى ـ إدارة بعض الحلقات الخاصة، أو توجيهها، وحتى مخاطبة بعض الأشخاص، للإنتماء إلى التنظيم»[3].

محمد باقر الصدر وحزب الدعوة

إن السنين الأخير ه من عقد الخمسينات، شهدت إرهاصات سياسية خطيرة، وقد تركت في الشارع العراقي حالة من

(١) من لقاء مع العلامة العسكري ٢٠٠٢ ميلادية مع كاتب السطور.

(٢) انظر محمد الحسيني: محمد باقر الصدر ... حياة حافلة .. فكر خلاّق/ دار المحجة بيروت/ ط١: ٧٥.

(٣) محمد باقر الحكيم: موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية/ ج٤ الشهيد الصدر/ مؤسسة تراث الشهيد الحكيم: ١٧١.

الاضطرابات المعبرة عن الرفض للسياسة الملكية، وبالأخص بعد إن دخلت بغداد في حلف يحتم عليها الخضوع للسياسة البريطانية في المنطقة، سمي بحلف بغداد. ومن جهة أخرى كانت قوى الشيوعية لها نفوذها الكبير وسط الشارع العراقي، بل امتد تأثيرها حتى في بيوتات بعض العلماء بواسطة أبنائهم، جراء تأثير قوة التيار وخلو الساحة العراقية من تنظيمات وأحزاب إسلامية، بل إن الإسلاميين ـ في ذلك الوقت ـ لم يمتلكوا نظرية عمل وتصور كامل لكيفية إدارة مثل هذا البلد فيما لو أتيحت لهم الفرصة لإستلام الحكم.

وفي هذه الفترة بالذات حاولت الأنظمة الجائرة منع تأثير الإسلاميين في الوسط السياسي العراقي[1] وحصرهم في مدن العتبات المقدسة،

وقد تميزت هذه الفترة بوضوح منهجين أو مدرستين مختلفتين فكرياً: المدرسة الرأسمالية والمدرسة الاشتراكية، إما الإسلام فكان رسالة تعبد موضوعة على رفوف المكتبات.

(١) المقصود خلو الساحة العراقية من التنظيم الحزبي إلا إذا استثنينا حركة الإخوان المسلمين وحزب التحرير وحركة الشباب المسلم، وهي جميعها حركات غير جماهيرية وبقيت تعمل في نطاق ضيق جداً في أوساط الطبقة المثقفة من أبناء السنة وبعض مثقفي الشيعة.

يعلق السيد العسكري[1] قائلاً: في هذه الفترة كنت أعيش عدم الاستقرار مع التفكير المستمر.. ماهو العمل؟ أو ماذا نعمل؟ ولم أصل إلى ما ينقذني من حيرتي ودوامة تفكيري (كنت أعاني من حالة يأس من جدوى العمل في وجه التيار العلماني الماركسي والقومي العربي الجارف المضاد للإسلام: حيث بدأ أواخر الحرب العالمية الثانية، والحقبة التي تلتها تأسيس الأحزاب غير الإسلامية، فأصبح الشباب ينتمي إلى الحزب الشيوعي مثلاً رفضاً للتمييز والتعسف الذي يتعرض له، أو إلى الحركات القومية مثل ا لبعث الذي لم يكن ظاهرا بصورة واضحة، إضافة إلى الحزب الوطني الديمقراطي وغيره من الأحزاب، فكانت الحاجة تقتضي القيام بنمط آخر من العمل يحفظ الشباب من الانحراف والضياع[2] ويضيف العسكري: ولكن من محاسن الصدف ألتقيتُ شخصاً معمماً من أبناء العوائل العلمية المعروفة بنسبها العلوي، وقد سمعت عنه أنه منتمٍ إلى الحزب الشيوعي، فأثار انتماؤه هذا اندهاشاً لم أتمالك نفسي إزاءه، وهو من ذرية رسول الله، فكيف به ينتمي إلى فكرة الشيوعية الملحدة؟ فصارحته الخبر،

(١) السيد العسكري: هو السيد مرتضى العسكري أحد أبرز قيادات حزب الدعوة الإسلامية سابقاً، ووكيل مرجعية آية الله الحكيم في الكرادة الشرقية ببغداد حينها.

(٢) انظر صحيفة صوت العراق- لندن- العدد ١٢٨، ١٥ نيسان ١٩٩٣م.

وأجابني بحقيقة ارتباطه وقال: وجدت أن الشيوعية (الاشتراكية) هي أفضل من الرأسمالية. بل هي أقرب إلى ما يدعو إلية الإسلام من العدالة وتوزيع الحقوق، ولكن لم أنكر وجود الله، ثم إني لم أجد في الإسلام حزباً أو تنظيماً يدعو إلى تنظيم أمور الأمة ويدعو إلى حاكميه الإسلام كمنطق سياسي. ثم يقول: وهذا الكلام قدح في ذهني المرام الذي ابتغيه من دوامة تفكيري المستمر، فقلت في نفسي: حان الآن أن نؤسس حزباً يحفظ للأمة دينها ومعتقداتها وقيمها ويحقق غاية ما يطمح له الإسلام والأئمة عليهم السلام.

التقاء الخواطر:

يقول العلامة العسكري ـ مكملاً حديثه ـ: في اليوم التالي جاءني الشهيد السيد مهدي الحكيم إلى بغداد وهو يحمل رسالة من السيد محمد باقر الصدر رضي الله عنه فقرأتها، فأذا به يقول رضي الله عنه: «السيد مهدي يحمل إليك رسالتي (شفهياً) فقال السيد مهدي: أنا والسيد الصدر نفكر في تشكيل حزب إسلامي لإقامة حكومة إسلامية. وان السيد الصدر قال: إذا وافق السيد العسكري فإننا نستطيع السير في ذلك، ويعلق العسكري: طبعاً استبشرت وابتسمت وقلت: كنت أفكر في هذا الأمر، أرجع وسوف ألتحق

بكما في النجف، واجتمعنا وتأسس حزب الدعوة الإسلامي» ولم يكن للمراجع أي دور في ميلاد حزب الدعوة الإسلامي، أما في تأييده فالأمر يختلف، وكان أكثر من أيد الحزب المرجع الحكيم الذي كان يؤيد أي تحرك إسلامي منُظم، إما الدعوة فكانت لها مكانتها الخاصة لديه، حيث يمكنني القول ـ والقول لا زال للسيد العسكري ـ بأنه كان يتبنى الدعوة وكان يعلم أنني عضو فيها مع كوني أشهر ممثليه في بغداد»[1].

أما عن أول اجتماع للمؤسسين فيقول، العلامة العسكري: تم الاجتماع الأول في مدينة كربلاء بدار السيد المرجع ـ الحكيم ـ ليلاً، وقد ضم كلاً من الشهيد الصدر والسيد مهدي الحكيم ومحمد هادي السبيتي وعبد الصاحب دخيل ومحمد صادق القاموسي وأنا، وقد تم في هذا الاجتماع أداء القسم، فكان الشهيد الصدر يريدني أبدا بالقسم أولاً، وأنا كنت أريده هو أن يبدأ أولاً، طبعاً كان في فهمي ـ والقول للعسكري ـ إن الذي يبدأ باليمين ـ القسم ـ هو المسؤول عند الله عما يجري، أما الشهيد الصدر وبخلقه الفذ احتراماً لي، وبقينا دقائق يفضلني وأفضله بعد ذلك كنت أنا أول من أدى (اليمين)، ثم بدأنا نجتمع في النجف، وكل من هؤلاء الخمسة الذين حضروا اجتماع كربلاء الأول بدأ يتحرك

(١) انظر صحيفة صوت العراق-لندن-العدد ١٢٨ نيسان ١٩٩٣م.

لكسب من يليق قياماً بهذه المسؤولية، بعد ذلك قسَّمنا العمل على المناطق، فمثلاً كان على كربلاء المرحوم محمد صالح الأديب (إنا الذي عرفته) وعن بغداد والكليات كنت أنا ومحمد هادي السبيتي، وفي النجف كان هناك (لا اريد أذكر أسماءهم لأنهم لا زالوا أحياء)[1].

ويستدرك العلامة العسكري قائلاً: كنا نحن (الخمسة) نريد أن نقيم الحكم الإسلامي في العراق، وكان دوري في هذه المرحلة من عمر الحزب أن أتحرك على المراجع لهذا الأمر، فتحدثت مع المرجع محمد هادي الميلاني ومع العلامة الطباطبائي، أما بالنسبة لآية الله الحكيم فكان جوابه «نحن نريد إجراء الأحكام الإسلامية ولما لم يردنا من المعصوم نوع مخصوص من الحكم، فنرجع الى أهل الخبرة» وأهل الخبرة هو العاملون في السياسة وفي الجيش.

ثم يضيف العسكري موضحاً رجالات الرعيل الثاني بعد أن انضم الى الاول كل من السيد طالب الرفاعي ومحمد صالح الاديب، وهم:

١ـ السيد محمد بحر العلوم. ٢ـ السيد عدنان البكاء. ٣ـ السيد فخر الدين العسكري. ٤ـ الشيخ عبد الهادي الفضلي. ٥ـ السيد علي العلوي. ٦ـ الحاج خضر. ٧ـ محمد حسين الأديب. ٨ـ

(١) من لقاء كاتب السطور مع العلامة العسكري في طهران، كلية أصول الدين ٢٠٠٢م قبل سقوط نظام صدام.

السيد إبراهيم المرياتي. ٩ـ السيد حسن شبر. ١٠ـ الشيخ مهدي السماوي. ١١ـ السيد داود العطار.

كما ترأس الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله حلقات حزبية عديدة وكذلك السيد مهدي الحكيم الذي «كان أكثر أعضاء القيادة كسباً للأفراد»[1].

السيد الصدر.. وحزب البعث

بعد عودة البعثيين ـ الثانية ـ إلى السلطة، لجأ النظام البعثي إلى محاربة الإسلاميين بعد أن رفع في البدء شعارات مناهضة للصهيونية وإسرائيل ودعا إلى تحرير فلسطين و تمتين علاقاته مع المعسكر الشرقي ـ الاتحاد السوفييتي سابقاً ـ .

وأولى خطوات النظام في محاربة المد الإسلامي قيامه بتقليص نفوذ المؤسسة الدينية الشيعية بإغلاق المدارس الدينية وبالتحديد مدارس (الجوادين) الابتدائية منها والثانوية وكذلك كلية أصول الدين ومصادرة الأرض والأموال المخصصة لبناء جامعة الكوفة ومنعهُ إصدار (مجلة رسالة الإسلام) ومنع مواكب الطلبة، وتسفير مئات الطلبة غير العراقيين الذين كانوا يدرسون في الحوزات العلمية في مدن العتبات المقدسة، وتطبيق قانون الخدمة العسكرية

(١) صلاح الخرسان من مقابلة مع السيد العسكري: حزب الدعوة حقائق ووثائق: ٩١

على طلبة الحوزة العراقيين الذين كانوا معفويين منها سابقاً.

وكان أول رد فعل من الإسلاميين إن تجتمع جماعة علماء بغداد والكاظمية للتشاور باتخاذ إجراء إمام هذه الممارسات التعسفية. فقررت الجماعة دعوة المرجع الحكيم السفر إلى بغداد وتعبئة الجماهير ضد إجراءات حكومة البعث وتقررت الزيارة.

أما موقف السيد الصدر من هذه الأحداث، فقد قرر الذهاب إلى لبنان لممارسة الضغط الدولي على حكومة البعث من خلال استغلال نفوذ ابن عمه السيد موسى الصدر رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، فأبرق إلى رؤساء الحكومات والمؤسسات الإسلامية يحثهم فيها على التدخل ضد المضايقات التي يتعرض لها أبناء الطائفة الشيعية ومؤسساتها الحيوية. ولكن كان الردّ مخيباً للآمال سوى بعض برقيات التضامن والتعاطف من قبل جمال عبد الناصر وملك السعودية الملك فيصل والرئيس اليمني، والإيراني، ورئيس الجماعة الإسلامية في باكستان، أبو الأعلى المودودي.

ثم عاد السيد الصدر من لبنان رغم خطورة عودته، فقام بتنسيق بين جماعة علماء النجف وجماعة علماء بغداد والكاظميّة بتنظيم تحشد جماهيري واسع في صحن الإمام علي عليه السلام تضامناً مع المرجع الحكيم الذي حاول النظام ان يستهدفه سياسياً وشعبياً من خلال اتهام نجله السيد مهدي (بالجاسوسية).

بداية المواجهة من حزب البعث

شنت السلطة البعثية عام ١٩٧٢م حملة قاسية تمثّلت في اعتقال وإعدام العديد من الرموز، الشخصيات العلمائية ذات التوجه السياسي، وقاد هذه الحملة مدير الأمن العام آنذاك المجرم المقبور (ناظم گزار) وأعدم على أثر هذه الحملة الشهيد (المجاهد العنيد) عبد الصاحب دخيل، فقد ألقي حياً في حوض التيزاب، بعد أن عجز المجرمون عن أخذ الاعتراف منه، وقال كلمته المشهورة بوجوههم: الدعوة في صدري أتحداكم أن تخذوها».

وعلى اثر هذه الحملة تعرض السيد الشهيد رحمه الله لمحاولة اعتقال لولا رحمة الله التي أنقذته من يدهم. ويذكر قصة هذا الاعتقال المرجع السيد كاظم الحائري، فيقول: ابتلى صدفة بالتسمم ممّا أوجب إدخاله مستشفى النجف فحاول أفراد جهاز الأمن أن يعتقلوه بعد نقلة إلى مستشفى الكوفة حيث هناك «ردهة الاعتقال» ولكن الأطباء أشاروا عليهم بأن السيد مريض وحالته خطرة ونحن لا نتحمل مسؤولية نقله إذا ما مات بين أيديكم. وأخيراً نقل السيد تحت إشراف رجال الأمن إلى مستشفى الكوفة ووضعوه في ردهة المعتقلين ووضعوا على يده الكريمة قيد الحديد.

في هذه الحالة بدأت وفود الطلبة والعلماء تتوافد على المستشفى ومنعهم رجال الأمن من الدخول فدخل بعضهم عنوةً وكاد أن

يستفحل الاضطراب في وضع الناس فخشيت الحكومة من نتائج الأمر فرفع القيد عن يد السيد.

وبعد خروجه من المستشفى حاول النظام أن يُحسن علاقته بالسيد الصدرﷺ فزاره (زيد حيدر) عضو القيادة القومية في الحزب و (حسن علي العامري) وزير التجارة و(فاضل البراك) مدير الأمن العام، ولم تستمر هذه العلاقة طويلاً حتى حصل الاعتقال الثاني بعد انتفاضة صفر ١٩٧٧م واعتقد النظام إن السيد الشهيد وراء هذه الإحداث، فطلب منه الذهاب إلى بغداد ولقاء وزير الداخلية (عزة الدوري) فأخذ الأخير يوجه رسالة حقد قاسية وشديدة تضمنت التهديد والوعيد بألوان من الانتقام، ثم اقتيد إلى مديرية الأمن لينال من الحاقدين أنواع التعذيب، وعن قساوة هذه التعذيب يقول السيد الشهيدﷺ كنت احرص على كتمان ما كنت قد نلته من التعذيب لئلا يؤدي إلى انهيار أو خوف من لا يملك القدرة على الصبر والصمود.

وفي عام ١٩٧٩ م بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران عبّر المؤمنون عن رأيهم بهذه الثورة، فخرجت أكثر من مظاهرة في مدينة النجف الأشرف تدعم الثورة الإسلامية وتبايع السيد الشهيد، وقد عبر عن الحدث (بوفود البيعة) وكان من المتوقع أن السيد الشهيد يتعرض للاعتقال، ولكنهﷺ صمم على الشهادة في

هذا المرة، وقرر أن يواجه مدير الأمن بقسوة وعنف، وبالفعل حينما جاء مدير أمن النجف لاعتقاله قال له «أي سلطة هذه، وأي نظام هذا، إنكم كممتم الأفواه وصادرتم الحريات وخنقتم الشعب بقوة الحديد والنار تريدون شعباً ميتاً يعيش بلا أرادة، تريدون شعباً بلا كرامة، وحين يعبر شعبنا عن إرادته، وحين يتخذ موقفاً من قضيّة ما، وحينما تأتي عشرات الآلاف من أبناء شعبنا لتعبر عن ولائها للإسلام والمرجعية، تقوم قائمتكم فلا تحترمون شعباً، ولا ديناً، ولا قيماً، بل تلجؤون إلى القوة لتكموا الأفواه، وتصادروا الحريات وتسحقوا كرامة الشعب، أين الحرية التي تدعونها، وجعلتموها شعاراً من شعاراتكم؟ أين هذا الشعب الذي تدّعون أنكم تدافعون عنه، وتحمون مصالحه؟ أليس هؤلاء الآلاف الذين جاءوا ليعبروا عن ولائهم للمرجعية هم أبناء العراق؟.

لماذا يستولي الرعب والخوف على قلوبكم إن عبَّرت الجماهير يوماً عن إرادتها ورغبتها؟».

بعد ذلك اقتيد السيد الشهيد إلى الأمن العامة في بغداد وبدأ فاضل البرّاك بالتحقيق معه ويقول السيد الشهيد: إن أسلوب فاضل البرّاك كان قاسياً ولهجته فظّه حينما كان يستجوبني، وفي أثناء ذلك دخل عليه شخص فسلّمه ورقة صغيره، فلمّا قرأها غيّر من أسلوبه معي في التحقيق، وبعد ذلك بدقائق دق جرس

الهاتف، وبدا لي إن المتحدث معه كان شخصية كبيرة، إذ كان فاضل البراك يجيب بعبارات من مثل: نعم سيدي أمرك سيدي، وما شابه ذلك، وقد علمنا فيما بعد إن المتحدث كان هو المقبور احمد حسن البكر رئيس الجمهورية آنذاك، بعد ذلك قال البراك للسيد الشهيد: ماذا فعلنا حتى تخرج تظاهرات في النجف والكاظمية احتجاجاً على ما يسمّونه اعتقالاً لكم، إن هذه زيارة وليس اعتقالاً!! وحينما أُفرج عنه لم يدعه النظام حُرّاً في حركته وحياته.

فقام النظام بأربعة عمليات اغتيال فاشلة، مع رقابة أمنية بمختلف الوسائل والأساليب الدنيئة[1] بعد هذا الاعتقال الذي صادف في يوم ١٧رجب ١٣٧٩هـ ١٩٧٩م والذي فرض الإقامة الجبرية (الحجز) علية بعد عودته إلى النجف بساعات قليلة، وطوق منـزله من كل الجهات ومُنع الناس من المرور في الزقاق الذي يقع فيه المنـزل وضيقوا الخناق على المنطقة كلّها، كما وضعوا جهازاً للمراقبة فوق بناية مطلة على منـزل السيد الشهيد والمنطقة لتصوير ما قد يحدث، وكانت تعمل ليل نهار، وهكذا بدأ الحجز الذي استمر تسعة أشهر وانتهى بالشهادة.

(١) راجع تفاصيل ذلك في كتاب « الشهيد الصدر، سنوات المحنة وأيام الحصار» للشيخ النعماني: ٢٢٩- ٢٤٣.

اليوم الأخير:

يقول النعماني: في اليوم الخامس من شهر نيسان الأسود عام ١٩٨٠ م وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، جاء المجرم مدير أمن النجف ومعه مساعده الخبيث (أبو شيماء) فالتقى بالسيد الشهيدﷺ وقال له: إن المسئولين يودّون لقاءك في بغداد.

فقال السيد الشهيد: إذا أمروكم باعتقالي فنعم، اذهب معكم إلى حيث تشاء، فقال مدير الأمن: نعم، هو الاعتقال، فقال: السيد الشهيد: انتظروني دقائق حتى أودع أهلي.

مدير الأمن: لا حاجة لذلك ففي نفس هذا اليوم أو غدا ستعود.

السيد الشهيد: هل يضركم أن أودع أطفالي وأهلي؟.

مدير الأمن: لا ولكن لا حاجة لذلك، ومع ذلك فافعل ما تشاء.

فقامﷺ وودع أهله وأطفاله، وهذا هي المرة الوحيدة التي أراه يودعهم من بين الاعتقالات التي تعرض لها. ثم عاد والابتسامة تعلو وجهه ، فقال لمدير أمن النجف: هيا بنا نذهب إلى بغداد. وذهب السيد الشهيدﷺ إلى بغداد لينال الشهادة ويفي لشعبة بوعده حينما خاطبه قائلاً: «وأنا أعلن لكم يا أبنائي أني صممت على الشهادة، ولعل هذا آخر ما تسمعونه منّي وإن أبواب الجنة فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتى يكتب الله لكم النصر، وما

ألذ الشهادة التي قال عنها رسول اللهﷺ: أنها حسنة لا تضر معها سيئة، والشهيد بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت..».

وهكذا استشهد الصدرﷺ، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعثُ حياً.

الخاتمة

إنَّ النظر في عمر المرحلة من عام ١٩١٤م .. إلى شهادة المرجع السيد محمد باقر الصدر قدس سره، (وهي المرحلة التي بحثها هذا الكتاب): مرحلة عصيبة من الأحداث التي مرَّ بها المسلمون في العراق، فمنذ دخول المستعمر البريطاني واجه المسلمون الشيعة ـ بالخصوص ـ أبشع سياسات التنكيل والاضطهاد والتجاهل لدورهم البارز في أحداث العراق، بعد أن تمثل بالتصدي للمواقف والمخططات المصيرية من أحداث العراق، ولا يعني ذلك أنّهم كانوا على ما يرام في طبيعة حقوقهم وممارساتهم العبادية والسياسية أبّان الدولة العثمانية، ولكنهم كانوا يغضون الطرف ألماً على سياسة هذه الدولة التي رفعت شعارات الإسلام منهجاً في عملها! وهذا ما كانت تعيه السياسة البريطانية من أنها سوف تجد من يساندها في العراق ـ ظناً منها ـ في كسب عطف الشيعة قبال سياسة الأتراك!!.

الرجل الشيعي العراقي أكثر تمسكاً وثباتاً في تطلعه للنظرة

المثالية وما تمليه مبادؤه ومعتقداته عليه، فله مصداق ومصاديق عديدة من رجالات التشيع- وبعيداً عن عصمة الأئمةعليهم السلام تمثلاً بالصحابي أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد ومالك الأشتر وغيرهم، هذه الصفة خلقت نماذج من شخصيات إسلامية رائعة في قيادتها وحكمتها في إدارة المسلمين وتصديهم للأطماع الاستعمارية، فقد كان للحوزة العلمية نشاط بارز في خلق وتربية هذه الشخصيات الإسلامية، ولذا استطاعت هذه الشخصيات أن تُعبئ الجماهير في أحداث عام ١٩١٤م بحركة الجهاد.

وكذلك في أحداث عام ١٩٢٠م وانتهاءاً إلى زيارة المرجع الحكيمرضي الله عنه عام ١٩٦٩م التي كانت بحق تشييعاً مليونياً وحدثاً بارزاً في تاريخ العراق رغم عنف السلطة وحقدها[1].

(١) ولم يتوقف العطاء السياسي الجهادي للحوزة العلمية على مرّ التأريخ ومختلف المراحل العسيرة من حياة الأمة، فقد جسّد المرجع الديني الشهيد آية الله السيد محمد محمد صادق الصدرقدس سره أواخر التسعينات صورة مثالية رائعة من الترابط الوثيق بين الأمة والمرجعية، وبهذا التلاحم الجماهيري استطاع أن ينجز أكبر مشروع سياسيّ إصلاحيّ وتغييري؛ إذ حرّك الأمة نحو أهدافها وأحيا بها ضميرها وأوجب عليها تصحيح مسيرتها بما يملي عليها عودتها إلى الإسلام العظيم، وعمل من خلال خطبه على إحياء روح المقاومة والثورة في وجه أعتى طاغية عرفه تاريخ العراق المعاصر. هذه الروح هي التي ما زالت تحرّك التيار الصدري للمقاومة ورفض الاحتلال.

أما الجهد الذي بذله المرجع الديني آية الله السيد علي السيستاني في توجيه الأمة

فمن خلال هذه المرحلة نرى بوضوح موقف الحوزة العلمية وعلمائها في تصديها ومساهماتها الكثيرة في المجابهة لكل المخططات التي يشم منها رائحة النكوص في الفكر والمعتقد، فبعد دخول البريطانيين إلى العراق وفرض سيطرتهم وإقامة حكمهم، تصدى العلماء لسياستهم التغييرية في مسخ هوية الفرد المسلم واستلاب حقوق المسلمين بشكل عام، فمقاطعتهم انتخابات المجلس التأسيسي ورفضهم بقاء القوات البريطانية داخل العراق، وغيرها كان للعلماء بذلك مواقف ومواقف أمام جميع الحكومات التي مارست سياسية البطش والتمييز الطائفي بحقّ مسلمي العراق، فقد كانت تعليقة السيد الخراساني ومشروع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاءقدس سره، ومذكرة الشبيبي ومواقف آية الله الحكيمرحمه الله ومواقف السيد الشهيدقدس سره، جميعها سهام في قلوب الحكومات الحاكمة المستبدة، هذه المواقف السياسية تركت آثاراً عظيمة في الصحوة الإسلامية، ونمو الوعي

لمشروع سياسي متكامل، منع على المحتل أن يفرض على الشعب العراقي حكومته وأجندته وسعى لإعادة السيادة إلى أهلها سعياً نحو الخلاص الكامل، وبنفس الوقت شخّص النصابات الصحيحة والمعادلات الحقيقة داخل الأمة التي غيبتها قوى الاستبداد.

فهذا الرجل هو الذي منع بحكمته السياسية وتوجيهاته من أن ينزلق العراق نحو المجهول الدموي لما أُريد له من فتنة طائفية عمل الظلاميون لها بكل قوة، وحريٌّ أن نقول أنه صاحب مشروع سياسي هو امتداد لمشروع الحوزة عبر مسيرتها.

الفردي والجماعي عند المسلمين العراقيين إضافة إلى ما قام به المصلحون من العلماء من مشاريع ثقافية عديدة صُبت جميعها في بودقة الوعي وفي فهم الدين الإسلامي، حتى أنها أثمرت نتائج طيبة بولادة حركات وتجمعات وأحزاب إسلامية قارعت أذناب الاستكبار.

فالنظر إلى الحوزة العلمية، وبالخصوص الكيان المرجعي ـ لفترة مرجعية العالم الديني ـ وما ينجم عنه من إنجازات سياسية وثقافية واجتماعية هي حصيلة حياتية استودعت في جيل تكمل ثمارها في أجيال لاحقة برعاية واهتمام المراجع المتعاقبين، لذا فتباشير الوعي الإسلامي والحركة الصالحة للأُمة هي ثمرة مقتطفة من ثمار انجازات السلف الصالح من المراجع العاملين الصالحين.

ومن خلال هذه الأحداث أثبتت المرجعية موقعها السياسي الفاعل في قيادة الأُمة، وحققت شرعيتها في الحفاظ على المبادئ والحفاظ على أرواح المسلمين، فكانت قلباً نابضاً وامتداداً روحياً في وجدان وضمير الأُمة.

والحمد لله رب العالمين

الملاحق

أسماء الثوار المنفيين إلى الهند

أثر ثورة النجف عام ١٩١٨م

الملحق رقم (١)

١ ـ السيد محمد علي بحر العلوم.
٢ ـ الشيخ محمد جواد البلاغي.
٣ ـ عبدالله الرّوازق. (الرازقي).
٤ ـ ياسين الروّازق. (الرازقي).
٥ ـ عبدالرزاق. الروّازق. (الرازقي).
٦ ـ جدوع الروّازق. (الرازقي).
٧ ـ السيد إبراهيم البهبهاني.
٨ ـ راضي الحاج سعد.
٩ ـ مغيض الحاج سعد.
١٠ ـ عيدان الحاج سعد.
١١ ـ عطية أو گلل.
١٢ ـ كردي بن عطية أبو گ گلل.
١٣ ـ جاسم أبو گلل.
١٤ ـ الحاج حسين أبو گلل.
١٥ ـ حسن حاجي أبو گلل.
١٦ ـ كريم أبو گلل.
١٧ ـ حسين الصراف.
١٨ ـ أحمد الصراف.
١٩ ـ عزيز الأعسم.
٢٠ ـ محمد مطر عكايشي.
٢١ ـ عطية عكايشي.
٢٢ ـ زاير عكايشي.

٢٣ ـ طلال عكايشي.
٢٤ ـ حسن علوان عكايشي.
٢٥ ـ خطّار العبد (عكايشي).
٢٦ ـ نجم العبودي العامري.
٢٧ ـ محمد آل جبر العامري.
٢٨ ـ سعد الحاج راضي.
٢٩ ـ هادي أبو شبع.
٣٠ ـ عباس حسن آل شبع.
٣١ ـ الحاج محمد أبو شبع.
٣٢ ـ خليل أبو شبع.
٣٣ ـ عبود يوسف أبو شبع.
٣٤ ـ غازي طوبه.
٣٥ ـ صالح كرماشه.
٣٦ ـ كريم كرماشه.
٣٧ ـ مجيد كرماشه.
٣٨ ـ غني كرماشه.
٣٩ ـ مجيد طالب.
٤٠ ـ عبدالرزاق عوده.
٤١ ـ تومان عدوه.
٤٢ ـ حتروش عدوه.
٤٣ ـ مصلط الحار.
٤٤ ـ حمود الحار.
٤٥ ـ مهدي الحار.
٤٦ ـ سعيد الحار.
٤٧ ـ عبد عيسى حبيبان.
٤٨ ـ علي عيسى حبيبان.
٤٩ ـ عطية صبي.
٥٠ ـ سلمان صبي.
٥١ ـ حامض صبي.
٥٢ ـ تومان بقر الشام.
٥٣ ـ فنجان بقر الشام.
٥٤ ـ متعب بقر الشام.
٥٥ ـ حسبن بقر الشام.
٥٦ ـ علي الحاج حسين الصنم.

٥٧ ـ محمد الحاج حسين الصنم.
٥٨ ـ الحاج رديف ثالثة.
٥٩ ـ محمد الحاج مهدي ثالثة.
٦٠ ـ السيد هادي السلطاني.
٦١ ـ خضير عباس البهّاش.
٦٢ ـ محمود وهاب البهّاش.
٦٣ ـ عبدالكريم وهاب البهّاش.
٦٤ ـ حسن كصراوي.
٦٥ ـ سويدان كصرواي.
٦٦ ـ حميد آل صكر.
٦٧ ـ جواد مطرقانه.
٦٨ ـ حسوني العلوان.
٦٩ ـ عبود عبدالكريم جيلاوي.
٧٠ ـ مطشّر الرماحي.
٧١ ـ حنتوش الرماحي.
٧٢ حسون أبو جحيفة الرماحي.
٧٣ ـ حساني المختار.
٧٤ ـ مجيد المختار.
٧٥ ـ طماطة سعيدان.
٧٦ ـ حسون بادرنك.
٧٧ ـ شعلان أبو نصيحة.
٧٨ ـ السيد أحمد العذاري.
٧٩ ـ مسلم الدريعي.
٨٠ ـ مهدي الدريعي.
٨١ ـ ناصر آل حسون.
٨٢ ـ عراك عزيز كور.
٨٣ ـ كاظم عزيز كور.
٨٤ ـ قلوم ملكي.
٨٥ ـ عمران جبرين.
٨٦ ـ جبر جبرين.
٨٧ ـ جاسم جبرين.
٨٨ ـ السيد مهدي دخيل.
٨٩ ـ محمد حطبان.
٩٠ ـ سلطان حمادي شبيب.

٩١ ـ عبدالله الرويشيدي.
٩٢ ـ إبراهيم الرويشيدي.
٩٣ ـ مجيد عربو.
٩٤ ـ الحاج مهدي الخباز.
٩٥ ـ محمود الحاج حمود.
٩٦ ـ السيد جاسم طبار الهوا.
٩٧ ـ حسن نجم الشمرتي.
٩٨ ـ محمد حسن الشمرتي.
٩٩ ـ حلوس محمد الصبار.
١٠٠ ـ حميد أبو السبزي.
١٠١ ـ علوان أدليهم.
١٠٢ ـ علي جوزه.
١٠٣ ـ السيد سلمان الفحام.
١٠٤ ـ السيد جبر الفحام.
١٠٥ ـ عزيز الحارص.
١٠٦ ـ الحاج وداي العبد.
١٠٧ ـ عبدالله سابوح.
١٠٨ ـ إبراهيم المؤمن.
١٠٩ ـ بشير العبد.
١١٠ ـ عبد حميمه النداف.
١١١ ـ عبود صخيلة.
١١٢ ـ عبود نوريه.
١١٣ ـ عبد نوريه.
١١٤ ـ إبراهيم جريان.
١١٥ ـ علون الملا علي.
١١٦ ـ طنوش آل علي.
١١٧ ـ عباس عجمي.
١١٨ ـ مجيد عزوز.
١١٩ ـ حسين علي كور.
١٢٠ ـ الحاج حبيب أبو الجاموس.
١٢١ ـ السيد سلمان الحجاز.
١٢٢ ـ حسن شاهين.

الملحق رقم (٢)

فتاوى العلماء بجهاد الإنجليز عام ١٩٤١م

فتوى السيد أبو الحسن الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم أخواننا المسلمين وأخص العراقيين منهم.

إنّ الواجب الديني يقضي على كل مسلم بحفظ بيضة الإسلام وبلاد الإسلام بقدر استطاعته، وهذه البلاد العراقية المشتملة على مشاهد الأئمة ومعاهد الدين يجب علينا جميعاً حفظها من تسلط الكافر والمدافعة عن نواميسه الدينية فإلى هذا أحثكم وأدعوكم وفقنا الله وإياكم لخدمة الإسلام والمسلمين إن شاء الله تعالى.

أبو الحسن الموسوي الأصفهاني

٦ ربيع الثاني ١٣٦٠هـ

فتوى الشيخ عبدالكريم الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة إخواننا المؤمنين المسلمين المتدينين بشريعة سيد المرسلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا يخفاكم ما قام به فخامة رئيس الوزارة وأبناؤنا في الجيش العراقي الباسل في الحال الحاضر من النهضة المباركة لحفظ استقلال العراق البلاد الإسلامية وقطع تصرف الأجانب فيها فبما أعهده فيكم يا معاشر العراقيين من الشمم والحمية والغيرة الإسلامية، ولكم السابقة في تشييد هذه الحكومة الإسلامية أحثكم وأدعوكم للمساعدة لهذه النهضة الدفاعية ما استطعتم فإنّها نصرة للدين وحماية للمسلمين والله يرعاكم بتأييده.

عبدالكريم الجزائري

٦ ربيع الثاني ١٣٦٠هـ.

فتوى آية الله الهادي كاشف الغطاء

أُذيعت من دار الإذاعة العراقية، ونشرتها جريدة البلاد البغدادية بعدد ١٧١٣ وبتأريخ ٢٣ آيار ١٩٤١م وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدُ لله والصلاة على محمد وآله الطاهرين، ثم السلام عليكم وعلى جميع إخواننا المسلمين ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، فمن تركه رغبة منه، ألبسه الله ثوب الذل والهوان، وشمله البلاء والخسران، فجاهدوا في سبيل الله أعداء الله المعتدين الآثمين، الذي يريدون أن يستعبدوا الأحرار، ويملكوا نواصي العباد بغير حق مبرر، ولا وسيلة مشروعة، فسارعوا إلى كبح جماحهم بحزم ثابت، وقد راسخ:

وهمّة دونها العيون منـزلة وساعد ليس تثنيه الملمات

﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ فإنَّ الدفاع عن الدين وعن بيضة الإسلام وبلاد المسلمين من أفضل الأعمال، وأهم الفرائض، وقد ورد الحث عليه في الكتاب المجيد والسنة النبوية، فيجب على كل

مسلم قادر عليه، من غير فرق بين الحر والعبد والذكر والأنثى مع الحاجة إلى ذلك، والعاجز بدناً لا مالاً وجب عليه البذل، ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ**﴾، فاصبروا وصابروا، ورابطوا حتى يتجلى عمود الحق، وأنتم الأعلون إن شاء الله تعالى.

من الراجي عفو ربه المدعو بالهادي كاشف الغطاء

نداء النجف العام إلى العالم الإسلامي

فتوى الحجة الكبير الشيخ محمد الجواد الجزائري

وقد ألقاها من دار الإذاعة الباحث المعروف علي الخاقاني بتأريخ ٢٨ آيار ١٩٤١م ، ونشرتها جريدة الزمان بعددها ١١٢٥ وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم المسلمون أن الطيش البريطاني دفع الإنجليز للهجوم على العراق قاعدة الدين، وعاصمة العرب، يريدون السلطة والاستيلاء على مقدراته، فنهض العراق مربض الأسود وعرينها، وعلى رأسه رجال الدين وأبطال السياسة، وهب جيشه الباسل في وجه الاعتداء البريطاني للدفاع عن سيادته واستقلاله اللذين امتلكهما بدماء أبنائه الطاهرة، فكانت الحرب العراقية التي تعمدتها بريطانيا الغاشمة على رغم القوانين الدولية، والواجبات الإنسانية.

من هنا انفتح مجال وجوب الجهاد المقدس عن الثغور الإسلامية، الأمر الذي قام به الإسلام وحفظ كيانه، وتحتم على كافة المسلمين جهاد الإنجليز ودفاعهم في هذه الحرب العراقية، فإن الجهاد لدفع هجوم الكفار على البلاد الإسلامية مما قام إجماع المسلمين جهاد الإنجليز ودفاعهم مما قام إجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه، وكان في صحاح الأحاديث من أفضل الطاعات وأعظم القربات.

قال الله تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾ وقال تعالى ﴿**وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ**﴾ وقال تعالى ﴿**فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلاً**﴾ وقال: ﴿**وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾ وقال تعالى: ﴿**فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ**

أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ وقال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**.

أيُّها المسلمون: إنَّ الحرب العراقية البريطانية، قد سجلت سطورها النارية على صفحات العالم، ودوي صوتها في آفاق الشرق والغرب، ومثلها المذياع العالمي أمام كل سامع، دموية هائلة، ونوعها جواً وبراً وبحراً، فلا ريب أنكم لسامعون لها، وأنكم الواثقون. فلا يفوتنكم أداء ما حتّمه الإسلام عليكم من جهاد الإنجليز خصوم الإسلام والعرب ودفاعهم عن العراق بيضة الإسلام وحوزة المسلمين.

أيُّها المسلمون: أن الأُمّة العراقية التي أسست دولتها الإسلامية عام ١٣٣٩هـ بين مخلب الأسد ونابه، وفي أشد الظروف حراجة، قد قامت اليوم بواجبها الديني والوطني، وامتشقت حسامها، وبرزت إلى ميدان النضال، وعبرت بجهودها الدموية حدوداً ذلت لها ساسة بريطانيا، وكان وسام جيوشها الخزي والعار.

فانفروا خفافاً وثقالاً إلى ما افترضه الله سبحانه عليكم من الجهاد في سبيله، وانصرفوا إلى صفوف الجيش العراقي ومدّوا له

يد المساعدة والنجدة على حسب استطاعتكم، فمن كان عنده جاه بذل جاهه، أو مال بذل ماله، أو سلاح بذل سلاحه، أو حيلة أو تدبير صرفهما في سبيل إسعافه، تلبية لداعي الإسلام، ونزولاً عند أوامره وليحذر الذين يخالفون من أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

ليعلم المسلمون: إنّ بريطانيا كانت ولا تزال، شاهرة سيف نقمتها على المسلمين، منذ عرف كيانها، وعاملة جهدها في تفريق كلمتهم، وتشتيت شملهم، فكم من كوارث وويلات، أنتجتها ثورات وانقسام بينهم، خلفتها بريطانيا للحصول على أسس مادية، ومناهج اقتصادية.

وهذا العراق قد أعلن جهاده المقدس، في وجه اعتدائها المشهود، وتوثب على سحق هيكلها الخائر، متذرعاً بعناية الله ورعايته، ومتدرعاً بعقيدته الإسلامية بالحفاظ العربي، فساهموا في تمزيق أشلائها، وتقطيع أوصالها، واجتثاث جرثومتها الفتاكة، واغتنموا فرصة اللحاق به، والتحموا في صفوف أبنائه أبطال العرب، وعشاق التضحية من الأوطان فليس للمسلمين والعرب أسنح من هذه الفرصة للقضاء على بريطانية الجائرة، وللفوز بما وعد الله المجاهدين من الحسنى بقوله تعالى ﴿**لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ**

أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنى وَ فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

محمد جواد آل الشيخ أحمد الجزائري

فتوى المجاهد الكبير الشيخ عبدالحسين الشيرازي

نجل آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠م.

بسم الله الرحمين الرحيم

لا يخفى على كافة إخواننا العراقيين وفقهم الله لنصرة الدين وأيّدهم لحفظ بيضة المسلمين أن الحكومة البريطانية الغاصبة عدوّة الإسلام تحارب الآن إخواننا المسلمين وجيوشنا المحافظين لثغور المسلمين، وبما أن الدفاع فريضة الهية على جميع المسلمين وتطهير العتبات المقدسة والبلاد العراقية من رجس البريطانيين ومساعدة الجيش العراقي الباسل والحكومة الإسلامية الوطنية، وعلى رأسها فخامة الزعيم السيد رشيد عالي الگيلاني نصره الله وليسلك سبيل أسلافه المجاهدين، وقد قال عزَّ شأنه ﴿**فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾ ولسنا أعز نفساً من نبينا محمدصلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين بالدفاع عن حوزة المسلمين، اللهم أنصرنا على القوم الكافرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. حرر في كربلاء المقدسة بتاريخ ١٠ ربيع الثاني / ١٣٦٠هـ.

عبد الحسين نجل المرحوم آية الله الميرزا

محمد تقي الحائري الشيرازي

فتوى آية الله المصلح الأكبر حجة الإسلام والمسلمين السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ**﴾ خافضة للمنكر ورافعة للمنتصر، وإنّما المنتصر حزب الله ﴿**فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ**﴾ فالنصر غايتنا المنشودة وحليفنا في البداية والنهاية إن شاء الله.

النصر لنا ما دامت النيات معقودة على الإخلاص في القول والعمل، وما دامت الغايات صالحات، وهل أبعاد الظلم والظالمين قال سبحانه ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾، والنصر لنا ما دامت الغاية حماية العشائر الإسلامية ومراقد أولياء الله الصالحين، وحماية حوزة الدين قال سبحانه ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ**﴾ وأي ظلم علينا أفظع من أن يهجم لكافرون بأنعم الله على ديارنا وأوطاننا يقتلون النفوس البريئة ولا يراعون إلاّ ولا ذمة ولا احتراماً لحقوق الأمة.

فهل أن غزانا العدو في عقر دارنا واقتحم الثغور من أوطاننا نقف أمامه وقفة المتفرج ووقفة مكتوف اليد؟.

كلا، ثم كلا.

قال ربّنا: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾.

من كاظمية بغداد / الأحد / السابع من ربيع الثاني ١٣٦٠هـ

هبة الدين الحسيني

نداء الكاظمية العام إلى العالمين الإسلامي والعربي يصدره أعلام الأسرة الخالصية مؤيدين ثورة الجيش المباركة.

الرسالة الخالصة إلى الأُمة الإسلامية للدفاع عن الوطن المقدس، وحفظ بيضة الإسلام، وقد نشرتها جريدة العالم العربي بتأريخ ١ آيار / ١٩٤١م العدد ٤٧٥١:

قال الله تعالى: ﴿**قاتلوا أئمة الكفر أنّهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾ وقال عزّ من قائل: ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويذهب غيظ قلوبهم ويشف صدور قوم مؤمنين * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.

فإلى الأمة الإسلامية، والشعوب العربية خاصة، نحثكم بوجوب المساعدة والمعاضدة بالدفاع عن الوطن المقدس شعب العراق الأبي العربي، ومؤازرة أبنائه الغيورين، وبما أن هذا الجهاد، وهذه النهضة هي نهضة إسلامية بحتة ونصرة الله، وان من ينصر الله ينصره، ندعو إخواننا المسلمين للمؤازرة والمساندة لإخوانهم

الناهضين لدفاع أعداء الدين، فانهضوا لإعلاء شرفكم ومجدكم، والثأر من عدوكم المناوئ لكم، والغاصب لحقكم، والدافع عن تراثكم وسارعوا للذب عن وطنكم المقدس محط أنبياء الله ورسله، ومهبط ملائكة الله ووحيه والسهر على مصالح المسلمين، كما قال سيد المرسلين وعملاً بما صح عنه،: «من أصبح وأمسى ولم يهتم لأمور المسلمين فليس منهم» فهلموا لمشاطرة إخوانكم المسلمين المجاهدين في سبيل الله والوطن والدين باليد والمال واللسان ﴿**وإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم الشرع الإسلامي مرتضى آل الشيخ الخالصي، ونجل آية الله عبد الحسين الخالصي، ونجل حجة الإسلام الشيخ راضي محمد تقي، وسبط الإمام علي النقي الخالصي، ونجل آية الله الإمام محمد حسن الخالصي.

فتوى العالم الجليل الأستاذ السيد إسماعيل الواعظ

نداء عام

﴿**إِنَّ اللهَّ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهَّ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ**﴾.

يا أيّها المسلمون يا أيُّها العراقيون ذودوا عن دينكم وشعبكم ووطنكم ضحوا بأنفسكم ونفيسكم لكم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، وما النصر إلاّ من عند الله لنقطع طرفاً من الذين كفروا فينقلبوا خائبين.

ابشروا بالنصر المبين والفتح القريب كونوا أنصار الله، كونوا يداً واحدة على من عاداكم اعتصموا بحبل الله جميعاً توكلوا على بركة الله انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم أن للجنة باباً حدوده تطهير الأعمال وتشييده أنفاق الأموال وساحته زحف الرجال إلى الرجال ومفاتحه الثبات في معترك القتال وطريقه مقارعة الأبطال، ومدخلة من مشرعة القنابل والصوارم والنبال هبوا جميعاً أيُّها الشجعان البواسل سيروا يمددكم الله بالملائكة الكرام اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

السيد إسماعيل الواعظ

فتوى حجة الإسلام العالم النحرير، والمصلح الكبير السيد عبدالحسين الحجة الطباطبائي الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على كافة إخواننا المسلمين المؤمنين سيما العراقيين ورحمة الله وبركاته.

لا يخفى عليكم أن من أهم الواجبات حفظ بيضة الإسلام وبلاد المسلمين والدفاع عنها والمحافظة على استقلالها والمساعدة للمجاهدين عنها بالنفس والنفيس بحسب القدرة والاستطاعة ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وتعلمون أن العراق هو قاعدة الدين وعاصمة العرب والمسلمين المحتوي على مشاهد الأئمةعليهم السلام ومعاهد الدين يجب علينا عموماً حفظه وصيانته من استيلاء الأجانب عليه والمدافعة عن نواميسه الدينية وإلى هذا أدعوكم وأحثكم وما النصر والتوفيق إلا من عند الله تعالى.

حرر في التاسع من ربيع الثاني ١٣٦٠هـ.

السيد عبدالحسين الطباطبائي

فتوى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ أيُّها المسلمون في عامة الأقطار والأمصار ـ تعلمون ان العراق اليوم هو قاعدة الدين وعاصمة العرب والمسلمين ومعقل البلاد العربية ومعقد آمالها، ومفزع أبطالها.

ولما أحس رجالات العراق وساسته المخلصون بأنّ كرامته أصبحت على خطر وان صيانته من استيلاء الأجانب على مقدراته تحتاج إلى وثبة جبّارة وصلابة في مجابهة النازلة الغير العادلة والقضية الجائرة، لذلك نهضوا هذه النهضة التي يحفزها الحزم ويقودها العزم وترف عليها أجنحة النجاة والنجاح بعناية الحق جلّ شأنه وروحانية الإسلام المقدسة إن شاء الله، وبعد هذا ـ فهل يشك أحد من المسلمين فضلاً عن العراقيين في وجوب الموازرة والنصرة لهذه الحركة الحافظة لسلامة البلاد وكرامتها كالإنسان بقدر استطاعته واقصى ما في وسعه القريب والبعيد فيه سواء مع التعقل والرؤية والتمسك بأمراس الحزم على ضوء الحكمة والبصيرة وتعاضد المسلمين عموماً والعراقيين خصوصاً وشعباً، وليكونوا على ثقة من أن قضيتهم عادلة وان الله جلَّ شأنه منجز

لهم وعده بقوله {ان تنصروا الله ينصركم} وحرامٌ وأفظع من كلّ حرام ان يحارب المسلم أخاه المسلم من أي عنصر كان ومن أي بلاد يكون والسلام عليكم أيُّها المسلمون جميعاً ورحمة الله وبركاته.

حرره في ٥ ربيع الثاني ١٣٦٠هـ في مدرسته العلمية في النجف الأشرف

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

فتوى حجة الإسلام

العلامة السيد حسين القمي الطباطبائي الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله المعصومين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

السلام على كافة إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾ لا ريب إن وجوب الدفاع عن بيضة الإسلام وعن المسلمين من ضروريات الدين وهو من أفضل الطاعات وفيه الفوز بخير الدارين أحدى الحسنيين فلا تهنوا في ابتغاء القوم وكونوا يداً واحدة على أعدائكم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وتآزروا وتعاضدوا ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين.

السيد حسين القمي الطباطبائي الحائري

فتوى حجة الإسلام

العلامة الشيخ محمد الخطيب الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

إلى جميع أبنائنا العرب من تصلهم فتوانا من أخواننا المسلمين ينفروا خفافاً وثقالاً ويبذلوا النفس والنفيس دفاعاً عن الحقوق المهضومة ورفعاً لراية العرب والإسلام.

إنَّ علماء الإسلام الذين تفخر (بهم) الثورة الوطنية على ضفاف الفرات ودافعوا اضطهاد الأجنبي بتعسفه يدعونكم اليوم إلى الجهاد دفاعاً عن الحق والإسلام بدافع الثأر من الظالمين، ولا زالت القلوب حرى من شر ما ارتكبوه فإلى المجد في الدنيا وجزاء الله في الآخرة.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾.

كربلاء ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٦٠هـ.
الشيخ محمد الخطيب الحائري

خطاب نائب عميد جمعية الدفاع عن فلسطين السيد نجم الدين الواعظ

إلى الجهاد إلى المجد أيُّها الشعب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ الله أكبر الله أكبر وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده أيُّها المسلمون والعرب لقد حان يوم الجهاد فلبوا داعي الحق وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم لتنالوا الشرف الرفيع والمكانة العليا، فإنّا لم نخلق لنحيى ولكننا خلقنا لنموت في سبيل الله وحريتنا واستقلال بلادنا لنحيى حياة أبدية سرمدية قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فأما حياة بعزة وسؤدد وشرف، وأما موت بحياة وشهادة. الله اكبر الله أكبر إلى النصرة والسؤدد إلى الجهاد والمجد.

أيُّها الشعب الأبي إلى دحر العدو الغادر الذي لا يهمه سوى الغدر والخلف في الوعد والعهد، ولتعلم الأمم أن العراق اليوم غير العراق في الأمس، العراق كله جندي يفضل الموت على الحياة ويرخص أمام دينه وحريته كل غالٍ ورخيص.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

العراق الذي أثمرت أرضه هذا الجيش الباسل هي التي

عجنت طينتها بدماء أجداده الفاتحين الكرام.

الله أكبر الله أكبر أن أرواح قواده العظام لترفرف اليوم على رأس كل عراقي وكل عربي أبي لا يهمه إلا دينه ومجده.

أيُّها العرب الأمجاد إلى إحياء ذكرى السلف وإعلاء كلمة الله تعالى شمروا عن ساعد الجهد وطهروا بلادكم من إرهاق الاستعمار الغاشم وأيقنوا بان الجنة تحت ظلال السيوف ﴿**انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ اذكروا الخلفاء الراشدين وما عاهدوا قوادهم أن لا يهتكوا عرضاً ولا يقتلوا أسيراً ولا امرأة ولا صبياً ولا راهباً في صومعته ولا يهدموا لهم كنيسة ولا بين الفتح الحاضر والغابر والفتح الإسلامي وغيره.

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم ساد بالدم أبطح
وحسبكموا هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

أيُّها المسلمون لقد أصبح الجهاد فرضاً دينياً وواجباً إسلامياً أمام هذا الخطر الهائل الذي أصبح يهدد دينكم وبلادكم وأعراضكم فيجوز للمرأة أن تخرج بلا إذن زوجها وللمولى أن يدافع بلا إذن سيده فمن استطاع حمل السلاح فليبادر إلى الجنة دار الخلود، هذا هو الذي أجمع عليه علماء الإسلام سلفاً وخلفاً ومن لم يستطع ذلك فجهاده بماله أو قلمه أو لسانه وإلا فالمصير والعياذ بالله مظلم والنهاية سيئة.

فالحذر الحذر وكن أيُّها الجيش الحازم الباسل على ثقة أن النصر إن شاء الله حليفك وإن الأمة العراقية محيطة بك إحاطة الهالة بالقمر لا يحيدون عنك قيد شبر فاصبر ان الله مع الصابرين سيروا وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ومن ينصره الله فلا غالب له ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَّ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ إلى الجهاد إلى الجهاد سيروا فليحيا الجيش العراقي وليحيا قواده البواسل وليحيا زعيمه فخامة السيد رشيد عالي الگيلاني وليحيا العراق مستقلاً مرفوع الجبين وليحيا الملك والله أكبر والمجد للإسلام والعرب.

نائب عميد جمعية الدفاع عن فلسطين

السيد [illegible]بم الدين الواعظ

فتوى الخطيب المصلح العلامة الكبير
الشيخ قاسم القيسي

عضو مجلس التمييز الشرعي سابقاً، وخطيب الحضرة الكيلانية حالاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أمر بالتناصر والتعاضد وموالاة المؤمنين ونهى عن التخاذل والشقاق، وكل ما يؤذي ويشين سبحانه من لا إله إلا هو الملك الحق المبين.

أعلموا أخواني أنه قد ورد في الخبر عن سيد البشر أنه قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد إذ به تزال جراثيم أهل الكفر والفساد لاسيما الظالمين الناقضين للعهود المضمرين للمسلمين الشر بكل مجهود قال تعالى في محكم كتابه وعزيز خطابه: ﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ**﴾ لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون، وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾.

الشيخ قاسم القيسي

فتوى العلامة الكبير المجاهد

السيد علاء الدين النقشبندي (رئيس الطريقتين النقشبندية والقادرية)[1].

الحمدُ لله الذي أمر عباده المخلصين بالجهاد لإعلاء كلمة الحق والدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الباذل حياته الثمينة في تبليغ أوامر رب العالمين، وعلى آله وصحبه المجاهدين الحامين لحوزة المسلمين.

أيُّها الأخوان لا يخفى عليكم أن الجنة القويمة التي أسس عليها الإسلام هو اتخاذ طرق السلم بحسب الإمكان والاكتفاء بالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن فإذا لم يفد الوعظ الحسن والإرشاد الصحيح فلابد إذا من الأخذ بالسيف ومقابلة الأعداء.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

ولقد كان رسول الله ﷺ مأموراً أولاً بالتبليغ بقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقوله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ثم إذن له ولأتباعه بالقتال...

السيد علاء الدين النقشبندي

---

(١) الفتاوى الواردة في ملحق رقم (٢) مستلة من كتاب «أسرار ٢ مايس ١٩٤١م، أو الحرب العراقية الإنجليزية» ليونس بحري: ١٣٤ ـ ١٥٣ مطبعة الحرية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

فهرس المصادر

١ـ الأزري، عبدالكريم: مشكلة الحكم في العراق.

٢ـ الأسدي، حسن: ثورة النجف/ منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية.

٣ ابن النجف، الخطيب: تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في العراق/ دار المقدسي، بيروت ١٩٨١م.

٤ ـ البصير، محمد مهدي: تاريخ القضية العراقية / بغداد ١٩٢٣م.

٥ ـ الحسيني، أحمد: الإمام الثائر/ مطبعة الأداب في النجف الأشرف.

٦ ـ الحسيني، أحمد: الإمام الحكيم السيد محسن الطباطبائي/ مطبعة الأداب في النجف الأشرف.

٧ـ الحسيني ـ محمد، (محمد باقر الصدر حياة حافلة .. فكر خلاق والمحجة البيضاء . بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٨ ـ الحسني، عبدالرزاق: ثورة النجف بعد مقتل حاكمها

الكابتن ماشال، صيدا/ ١٩٧٢م.

٩ـ الحسني، عبدالرزاق: الثورة العراقية الكبرى/ مطابع دار الشئون الثقافية العامة ـ بعداد ١٩٩٢م.

١٠ ـ الحسني، عبدالرزاق: العراق في دوري الاحتلال والانتداب. مطبعة العرفان/ صيدا.

١١ ـ الحسني، عبدالرزاق: تاريخ الوزارات العراقية / مطابع دار الشؤون العامة ـ آفاق عربية ـ بغداد ١٩٨٨م عشرة اجزاء.

١٢ ـ الحكيم، مهدي: التحرك الإسلامي في العراق (مذكرات) . إعداد مركز شهداء آل الحكيم للدراسات التأريخية والسياسية.

١٣ ـ الحكيم، محمد باقر: بحث تاريخي حول مواجهة الإمام الحكيم لحزب البعث في العراق.

١٤ ـ الحكيم، محمد باقر: مقدمة كتاب دليل الناسك للإمام الحكيمﷺ تحقيق السيد محمد القاضي / مطبعة جاويد.

١٥ ـ الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية.

١٦ ـ الخطاب، رجاء حسني: تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١م ـ ١٩٤١م / دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٩.

١٦ ـ الرهيمي، عبدالحليم: تاريخ الحركة الإسلامية في العراق

الجذور الفكرية والواقع التاريخي/ الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٥م.

١٧ـ الروازق ، صادق جعفر ، امير المنابر الدكتور احمد الوائلي ،دار المحجة البيضاء ، بيروت ، الطبعة الاولى ٢٠٠٤م.

١٨ـ الروازق ،صادق جعفر ،الحسين عليه السلام يكتب قصته الأخيرة، لسان الصدق الطبعة الاولى ٢٠٠٦.

١٩ ـ السامرائي، سعيد: الطائفية في العراق ـ الواقع والحل مؤسسة الفجر لندن ١٩٩٣م.

٢٠ ـ شرويدر، د. بيرند فيليب: حرب العراق ١٩٤١م / مديريرة المطابع العسكرية بغداد ١٩٨٢م.

٢١ ـ الطعمة، سلمان هادي: تراث كربلاء.

٢٢ ـ العلوي، حسن: التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق. دار الزوراء ـ لندن ١٩٨٨م.

٢٣ ـ العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، ثمانية أجزاء في عدة مطابع.

٢٤ ـ العمر، فاروق: الأحزاب السياسية في العراق.

٢٥ ـ الفياض، عبدالله: الثورة العراقية الكبرى.

٢٦ ـ الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة.

٢٧ ـ فرج، لطفي جعفر: عبدالمحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر/ مطبعة الخلود ـ بغداد ١٩٨٨م.

٢٨ ـ فوستر، هنري: نشأة العراق الحديث / هنري: نشأة العراق الحديث / ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي / منشورات الفجر، نشر وتوزيع المكتبة العلمية، الطبعة الأولى بغداد.

٢٩ ـ فوتسر، هنري: التطور الفكري في العراق.

٣٠ ـ القصاب، عبدالمحسن: ذكرى الأفغاني في العراق / مطبعة الرشيد ـ بغداد ١٩٤٥م.

٣١ ـ كمال الدين، محمد علي: ثورة العشرين في ذكراها الخمسين / مطبعة التضامن ١٩٧١م.

٣٢ كبه، محمد مهدي: مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨م ـ ١٩٥٩م. درا الطليعة ـ بيروت ١٩٦٥م.

٣٣ ـ الكاتب، أحمد: تجربة الثورة الإسلامية في العراق منذ ١٩٢٠م ـ ١٩٨٠م درا القبس الإسلامي ـ ١٩٨١م.

٣٤ ـ محبوبة، جعفر باقر: ماضي النجف وحاضرها دار الأضواء بيروت لبنان / الطبعة الثانية ـ ثلاث أجزاء.

٣٥ ـ المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب ـ ترجمة جعفر الخياط ـ مطبعة دار الكتب بيروت ـ لبنان ١٩٧١م.

٣٦ ـ مغنية، محمد جواد: دولة الشيعة في التاريخ.

٣٧ ـ المخزومي، مهدي: خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني.

٣٨ ـ النفيسي، عبدالله فهد: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث/ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٧٣م.

٣٩ ـ النعماني، محمد رضا: الشهيد ا لصدر سنوات المحنة وأيام الحصار.

٤٠ ـ الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة أمير قم / الطبعة الأولى في إيران ـ ٦ أجزاء.

٤١ ـ الوائلي، إبراهيمي: الشعر العراقي وحرب طرابلس.

٤٢ ـ الياسري، عبدالشهيد: البطولة في ثورة العشرين / مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

الصحف

١ ـ صحيفة الحياة البيروتية الصادرة في ٥ / ١١ / ١٩٦٥م.

٢ ـ صحيفة لواء الصدر العدد ٩٧ السنة الثانية.

المجلات

مجلة العلم النجفية.

مجلة إلايمان النجفية

مجلة الجهاد لحزب الدعوة

اللقاءات

العلامة السيد مرتضى العسكري

السيد حسن شبر